

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

دار الكتب المصرية

نهاية تراجم

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الله بن يوسف

السفر الثالث

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

فهرست

السفر الثالث

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنوري

القسم الثاني من الفن الثاني

في الأمثال المشهورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن جماعة من الصحابة
رضي الله عنهم، والمشهور من أمثال العرب، وأوابد العرب وأخبار الكهنة،
والزجر، والغال، والطيرة، والفراسة والذكاء، والكليات،
والتعريض، والأحاجي، والألغاز وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

صيفة

- | | |
|---|---|
| ١ | في الأمثال |
| ٢ | ما تمثل به من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم |
| ٤ | ومن كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه |
| ٥ | ومن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه |
| ٦ | ومن كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه |
| ٦ | ومن كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه |
| ٦ | ومن كلام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما |

صفحة

ومن أمثال العرب المرتبة على حروف المعجم	٦
حرف الهمزة	٧
حرف الباء	١٩
حرف التاء	٢١
حرف الثاء	٢٣
حرف الجيم	٢٣
حرف الحاء	٢٦
حرف الخاء	٢٨
حرف الدال	٣٠
حرف الذال	٣٠
حرف الراء	٣١
حرف الزاي	٣٣
حرف السين	٣٤
حرف الشين	٣٥
حرف الصاد	٣٦
حرف الضاد	٣٨
حرف الطاء	٣٨
حرف الظاء	٣٩
حرف العين	٣٩
حرف الغين	٤٢
حرف الفاء	٤٣

صحيفة

- ٤٤ ... حرف القاف
- ٤٦ ... حرف الكاف
- ٤٨ ... حرف اللام
- ٥٠ ... حرف الميم
- ٥٤ ... حرف النون
- ٥٥ ... حرف الهاء
- ٥٦ ... حرف الواو
- ٥٧ ... ما جاء فيما أوله (لا) ...
- ٦٠ ... حرف الياء
- ٦١ ... ومما يتنزل به من أشعار الجاهلية ...
- ٦١ ... اسرؤ القيس بن حجر ...
- ٦١ ... زهير بن أبي سلمى
- ٦٢ ... النابغة الذبياني
- ٦٣ ... طرفة بن العبد
- ٦٣ ... أوس بن حجر
- ٦٤ ... بشر بن أبي خازم
- ٦٤ ... المنتمس
- ٦٤ ... الافوه الأودي
- ٦٥ ... تميم بن أبي مقبل
- ٦٥ ... حميد بن ثور
- ٦٥ ... عدى بن زيد

مصيفة

- ٦٦ الأسود بن يعفر ...
 ٦٦ علقمة بن عبدة ...
 ٦٦ عمرو بن كلثوم ...
 ٦٦ الحارث بن حلزة ...
 ٦٧ حاتم الطائي ...
 ٦٧ المرقش الأصغر ...
 ٦٧ النمر بن تولب ...
 ٦٧ مهلهل بن ربيعة ...
 ٦٨ طفيل الغنوي ...
 ٦٨ عروة بن الورد ...
 ٦٨ الاعشى (ميمون بن قيس) ...
 ٦٨ لقيط بن معبد ...
 ٦٩ تأبط شرا ...
 ٦٩ المثقب العبدى ...
 ٦٩ الممزق العبدى ...
 ٦٩ أفنون التغلبي ...
 ٦٩ الأضبط بن قريع ...
 ٦٩ سويد بن أبي كاهل ...
 ٧٠ ومما يمثل به من أشعار المخضرمين ...
 ٧٠ ليبد بن ربيعة ...
 ٧٠ كعب بن زهير ...

صفحة

٧١	الناطقة الجعدى
٧١	أمية بن أبي الصلت الثقفى
٧١	حسان بن ثابت
٧١	الخطيئة
٧٢	مقيم بن نورية
٧٢	أبو ذؤيب الهذلى
٧٢	الخنساء
٧٣	عمرو بن معد يكرب
٧٣	معن بن أوس
٧٣	زياد بن زيد
٧٣	أمين بن نعيم
٧٤	ومما يمثل به من أشعار المتقدمين فى صدر الاسلام
٧٤	القطامى
٧٤	الطرماح
٧٤	الكبت بن زيد الأسدى
٧٤	المساور بن هند
٧٥	عدى بن الرقاع
٧٥	الفرزدق
٧٦	جرير
٧٦	الأخطل
٧٧	السلطان العبدى

صفحة

٧٧	كثير عزة
٧٨	جميل
٧٨	عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة
٧٨	ومما يمثل به من أشعار المحدثين
٧٨	إبراهيم بن هرمة
٧٩	بشار بن برد
٨٠	أبو العتاهية
٨١	سلم بن عمرو الخاسر
٨٢	صالح بن عبد القدوس
٨٣	ابن ميادة
٨٣	أبو نواس
٨٤	أبو حينة المهلي
٨٤	عبد الله بن أبي حبة
٨٤	العباس بن الأحنف
٨٥	مسلم بن الوليد
٨٥	منصور الغنوي
٧٦	العتابي
٨٧	أشجع السلمي
٨٧	الجرهمي
٨٨	محمود الوراق
٨٨	محمود بن حازم الباهلي

صفحة

السمول بن عاديء	٨٩
محمد بن أبي زرعة الدمشقي	٨٩
أبو الشيص	٨٩
علي بن جبلة	٨٩
المجلاج الحارثي	٨٩
عبد الصمد بن المعلل	٩٠
الحمدوني	٩٠
العتي	٩٠
أبو سعيد الخزومي	٩١
دعبل بن علي الخزازي	٩١
إصحاق بن إبراهيم الموصل	٩٢
المؤمل بن أميل	٩٢
إبراهيم بن العباس	٩٢
أبو علي البصير	٩٣
سعيد بن حميد	٩٣
علي بن الجهم	٩٣
ابن أبي فنن	٩٣
يزيد بن محمد المهلي	٩٤
عمارة بن عقيل	٩٤
أحمد بن أبي طاهر	٩٤
أبو تمام حبيب بن أوس الطائي	٩٤

صفحة

أبو عبادة البحتري	٩٦
ديك الجن	٩٨
ابن الرومي	٩٩
عبد الله بن المعتز	٩٩
عميد بن عبد الله بن طاهر	١٠٠
ابن طياطبا الملوئي	١٠١
منصور الفقيه	١٠١
ابن إسام	١٠٢
جمضة	١٠٢
الصنوبري	١٠٣
أبو الفتح كشاجم	١٠٤
ومما يمثل به من أشعار المولدين	١٠٤
أبو فراس الحمداني	١٠٤
أبو الطيب المتنبي	١٠٤
السري بن أحمد	١٠٧
أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي	١٠٧
أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي	١٠٨
انخياز البلدي	١٠٨
أبو إسماعيل الصابي	١٠٨
عبد العزيز عمر بن نباتة	١٠٨
ابن لنكك البصري	١٠٩

من نهاية الأرب

(ك)

صيفة

أبو الحسن عبد الله ١٠٩

أبو الفرج البقاء... .. ١١٠

ابن سكرة الهاشمي... .. ١١٠

ابن الجحاج ١١٠

أبو الحسن الموسوي النقيب ١١١

أبو طالب المأموني... .. ١١٢

ابن العميد ١١٢

الصاحب بن عباد ١١٣

الحسن بن علي بن عبد العزيز القاضى... .. ١١٣

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي... .. ١١٣

بديع الزمان أبو الفضل الهمداني... .. ١١٤

إسماعيل الناشئ... .. ١١٤

أبو الفتح علي بن محمد اليسقي... .. ١١٥

الباب الثاني :

في أوابد العرب ١١٦

البحيرة ١١٦

الوصيلة... .. ١١٦

السائبة ١١٧

الحطاي ١١٧

الأزلام... .. ١١٧

المهسر... .. ١١٨

صحيفة

١٢٠	نكاح المقت...
١٢٠	رمى البقرة
١٢٠	ذبح العتائر
١٢٠	عقد السلع والمشر
١٢١	ذبح الظهي
١٢١	حبس البلايا
١٢١	خروج الهامة
١٢١	إغلاق الظهر
١٢١	التعمية والتفقتة
١٢٢	بكاء المقتول
١٢٢	رمى السن في الشمس
١٢٢	خضاب النحر
١٢٢	التصفيق
١٢٢	جز النواصى
١٢٣	كى السليم عن الجرب
١٢٣	ضرب الثور
١٢٣	كعب الأرنب
١٢٤	حيض السمرة
١٢٤	الطارف والمطروف
١٢٤	وطه المقاليت
١٢٤	تعليق الحل على السليم

صيفة

١٢٥ ... ذهاب الخدر

١٢٥ ... الحلا

١٢٥ ... التعشير

١٢٥ ... عقد الرثم

١٢٦ ... دائرة المهقوع

١٢٦ ... شق الرداء والبرقع

١٢٦ ... نوء السماك

١٢٦ ... النسيء

١٢٦ ... وأد البنات

الباب الثالث :

١٢٨ ... في أخبار الكهنة ويتصل به الزجر والفعال والطيرة والقراءة والذكاء

١٢٨ ... أخبار الكهنة

١٣٤ ... الزجر

١٤٣ ... الفعال والطيرة

١٤٩ ... القراءة والذكاء

الباب الرابع :

١٥٢ ... في الكفايات والتعريض

الباب الخامس :

١٦٢ ... في الألفاظ والأحاجي

١٧١ ... وما يتصل بهذا الباب مسائل العويس

القسم الثالث من الفن الثاني

في المدح، والمجود، والمجون، والفكاهات، والملح، والخمر، والمعاقرة
والندمان، والقيان، ووصف آلات الطرب
وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

صيفة	في المدح وفيه ثلاثة عشر فصلا	١٧٣
١٧٣	ذكر ما قيل في الاختصار	٢٠٠
٢٠٠	ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام	٢٠٤
٢٠٤	ذكر من آتته اليهم الجود في الجاهلية وذكر شيء من أخبارهم	٢٠٨
٢٠٨	ذكر ما قيل في الإعطاء قبل السؤال	٢١٨
٢١٨	ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام	٢٢٠
٢٢٠	ذكر ما قيل في وفور العقل	٢٣٠
٢٣٠	ذكر ما قيل في حد العقل وماهيته وما وصف به	٢٣٣
٢٣٣	ذكر ما قيل في الصدق	٢٣٧
٢٣٧	ذكر ما قيل في الوفاء والمحافظة والأمانة	٢٣٩
٢٣٩	ذكر ما قيل في التواضع	٢٤٤
٢٤٤	ذكر ما قيل في القناعة والزهادة	٢٤٧
٢٤٧	ذكر ما قيل في الشكر والثناء	٢٤٨
٢٤٨	ذكر ما قيل في الوعد والإنجاز	٢٥٤
٢٥٤	ذكر ما قيل في الشفاعة	٢٥٧
٢٥٧	ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف	٢٥٨

الباب الثاني :

في الهجاء وفيه أربعة عشر فصلا	٢٦٥
ذكر ما قيل في الهجاء ومن يستحقه	٢٦٦
ومما قيل في الهجاء من النظم	٢٧١
ذكر ما قيل في الحسد	٢٨٤
ذكر ما قيل في السعاية والبغى والفيية والنجمة	٢٨٩
ذكر ما قيل في البخل واللؤم	٢٩٤
احتجاج البخلاء وتحسينهم للبخل على قبحه	٣١٤
ذكر ما قيل في التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمؤاكلة	٣٢٣
ذكر آداب الأكل والمؤاكلة	٣٣٨
ذكر الاقتصاد في المطاعم والمفة عنها	٣٤٠
ذكر أخبار الأكلة	٣٤٣
ذكر ما قيل في الجبن والفرار	٣٤٦
ذكر ما قيل في الحق والجهل	٣٥٣
ذكر ما قيل في الكذب	٣٥٩
ذكر ما قيل في النذر والحيانة	٣٦٤
ذكر أخبار أهل النذر وغدراتهم المشهورة	٣٦٥
ذكر ما قيل في الكبر والعجب	٣٧٠
ذكر ما قيل في الحرص والطمع	٣٧٦
ذكر ما قيل في الوعد والمطل	٣٧٨
ذكر ما قيل في العي والحصر	٣٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الثاني من الفن الثاني

في الأمثال المشهورة



عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، والمشهور من أمثال العرب ، وأوابد العرب ، وأخبار الكهنة ، والزجر ، والقال ، والطيرة ، والفراصة ، والذكاء ، والكليات ، والتعريض ، والأحاجى ، والألفاظ ، وفيه خمسة أبواب .

الباب الأول

من هذا القسم

(في الأمثال)

ضرب الله عز وجل الامثال في كتابه العزيز في آى كثيرة ، فقال تعالى :
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ لِّمَا تَشْتُمُونَ لَهُ) وتكرر ذكر الأمثال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جنّ الصراط أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع يقول أدخلوا الصراط ولا تمزجوا " فالصراط : الإسلام ، والستور : حدود الله تعالى ، والأبواب : محارم الله ، والداعى : القرآن

قال المبرد : المثل مأخوذ من المثل وهو قول سائر ، شبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه . قال : وقولهم مثل بين يديه ، إذا آتتصبب ؛ معناه أشبه الصورة المتشعبة : وفلان أمثل من فلان ، أى أشبه .

والمثال : القصاص ، لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول .

وقال ابن السكيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه .

وقال إبراهيم النخاس : يجمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام : ليجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكفاية فهو نهاية البلاغة .

وقال ابن المقفع : إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للنطق ، وأنى للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث .

وأول ما نبدا به من ذلك ما تمثّل به من أقوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو مما لم يسبق إليه :

”لِيَأْكُم وخضراء الدّمن“ فهيل له : وما ذاك يا رسول الله ؟ فقال : ”المرأة الحسناء في منتهى السوء !“

”كل الصيد في جوف القرأ“ قاله لأبي سفيان يتألفه على الإسلام .

”مات فلان حتف أنه“ .

”لا ينقطع فيه عتران“ .

”إن المئنت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى“ المئنت : المتقطع عن أصحابه في السفر ، والظهر : الدابة ، قاله في الغزو في العبادة .

”الآن حَيَّ الْوَلَدِيسَ“ : ضربه في الحرب .

”يَا خَبَلُ اللَّهِ أَرْتَجِي“ .

”اشتدَّتْ أَرْمَةُ تَنْقِرِي“ .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ”الناس كأسنان المشطِ وإنما يتفاضلون بالعافية“ .

”الناس كعادس الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام

إذا فقهوا“ .

”الناس كوابل ، مائة لا تجدُ فيها راحلة“ .

”المؤمن هين لين ، كالجلل الأنيب إن أقبلت أقدامه ، وإن أبيع على محبرة أسفناخ“ .

”المؤمن للمؤمن كالبيان يشدُّ بعضه بعضا“ .

”أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم“ .

١٠

”مثل أصحابي كاللحم لا يصلح الطعام إلا به“ .

”أمتي كالطير ، لا يُلْزَمُ أَقْلُهُ خَيْرُ أَمِّ آخِرِهِ“ .

”مثل أبي بكر كالقطر أين وقع ضاع“ .

”عَمَلُكُمْ كَأَعْمَالِكُمْ وَكَمَا تَكُونُوا يُوتَى عَلَيْكُمْ“ .

وقال لما كتب كتاب المهادنة بينه وبين سهيل بن عمرو : ”والعهد بيننا كشرج

١٥

العينة“ يعنى إذا انحَلَّ بعضه انحَلَّ جميعه .

”المرأة كالضِّلَعِ الموجه إن قومتها كسرتها ، وإن داريتها أستممت بها“ .

”المتشيع بما لم يُعطَهُ كلابس ثوبَي زور“ .

”الدالُّ على الخير كفاعله“ .

”لو تولكتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو نحاصا وتروح بطانا“ .

٢٠



”وعد المؤمن كالأخذ باليد“ .

”مثل المؤمن كالنحلة، لا تأكل إلا طيباً ولا تطعم إلا طيباً“ .

”مثل المؤمن كالسنبلة تميل أحياناً، وتمتد أحياناً“ .

”مثل الجلوس الصالح كالعطّار، إن لم تصب من عطره أصبت من ريحه، ومثل

الجلوس السوء كالكبير إن لم يحرق ثوبك آذاك بذخانه“ .

”علم لا ينفع كثر لا ينفع منه“ .

وقال : ”المؤمن مرآة أخيه“ .

”قد جدّح الحلال أنف القرة“ .

”الأعمال بالنيات ولكل أمرئ ما نوى“ .

”نية المرء خير من عمله“ .

”إن من الشر لحكمة وإن من البيان لسحراً“ .

”من كثر سواد قوم فهو منهم“ .

”الأعمال بنواياها“ .

”ساقى القوم آخرهم شرباً“ .

”المرء على دين خليله فلينظر أمرؤ من يتّال“ .

”المستشير معان والمستشار مؤمن“ .

ومن كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه

إن الله قرن وعده بوعيده .

ليست مع العزاء مصيبة .

الموت أهون مما بعده وأشد ما قبله .

ثلاث من كن فيه كن عليه : البغي، والتكث، والمكر .
ذل قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة .

أحرص على الموت توهب لك الحياة ، قاله لطلحة بن الوليد حين بعته إلى أهل الردة .
كثير القول ينسى بعضه بعضا ، وإنما لك ما وعى عنك .
لا تكتم المستشار خيرا فتؤتى من قبل نفسك .

خير الخصلتين لك أبضهما إليك .

صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

ومن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

من كتم سره كان الخيار في يده .

أشقى الولاة من شقيت به رعيته .

اتقوا من تبغضه قلوبكم .

أعقل الناس أعدرهم للناس .

اجعلوا الرأس رأسين .

أخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم .

لو أن الشكر والصبر بيران لما باليت أيهما ركبت .

من لم يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه .

ما ألهم صرفا بأذهب للعقول من الطبع .

إلى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القوى .

اقتصاد في سنة خير من اجتهد في بدعة .

لا يكن حبك كلفا ، ولا بغضك تلقا .

١٠

١٥

٢٠

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

ما يَرْجُ اللهُ بالسلطان أكثرُ مما يَرْجُ بالقرآن .

الهدية من العامل اذا عُزِلَ، مثلها منه اذا عمل .

أثم إلى إمام فقال، أحوَجُ منكم إلى إمام قوال؛ قاله يوم صعد المنبر فأرْبَحَ عليه .

وقال يوم قُتِلَ : لأن أُقْتَلَ قبل الدماء، أحبُّ إلىّ من أن أُقْتَلَ بعد الدماء .

ومن كلام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه

من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه؛ ومن ضيَّعه الأقربُ أتبع له الأبعد؛

ومن بالغ في الخصومة أتمّ؛ ومن قصر فيها ظلم .

رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .

الناس من خوف النذل في النذل .

١٠

إن من السكوت ما هو بالغ من الجواب .

ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

لكل داخل دهشة فابدموه بالصحية؛ ولكل طالع حشمة فابدموه باليمين .

ومن أمثال العرب ما نقلته من كتاب " الأمثال " لليداني . [والميداني^(١) : هو

أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري] — والميداني : بفتح الميم

وسكون الياء المشتاة من تحتها وفتح الدال المهملة نسبة إلى ميدان زياد، وهي محلة

بنيسابور؛ توفي سنة تسع وثلاثين وستمائة [ووضعت على حروف المعجم .

فإن ذلك ما جاء منها على حرف الهمة :

(١) هذه زيادة في إحدى النسخ .

حرف الهمزة

تقول العرب : "إِنَّ الْمُوصِّينَ بَنُو سَهْوَانَ" قال الميداني : يُضْرَبُ مَنْ يَسْهُو عَنْ طَلَبِ شَيْءٍ أَسْرَبَهُ ، وَبَنُو سَهْوَانَ : بَنُو آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ عَهْدَ إِلَيْهِ فَسَهَا وَنَسَى .

وقولهم : "إِنَّ الرِّثِيَّةَ تَفْتَأُ الْغَضَبُ" قال : الرِّثِيَّةُ : اللَّبَنُ الْحَامِضُ يَخْلُطُ بِالْحَلْوَى ، وَالْقَفْءُ : التَّسْكِينُ ، وَزَعَمُوا أَنَّ رَجُلًا نَزَلَ بِقَوْمٍ وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ جَائِعًا فَسَقَرَهُ الرِّثِيَّةَ فَسَكَنَ غَضَبَهُ ، فَقَالَ هَذَا الْمَثَلُ : يَضْرِبُ فِي الْمَدِيَّةِ تَوْرَثَ الْوَفَاقِ .

وقولهم : "إِنَّ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يَفْلَحُ" أَيْ يَسْتَعَانُ فِي الْأَمْرِ الشَّدِيدِ بِمَا يَشَاكِلُهُ وَيَقَاوِيهِ .

وقولهم : "إِنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرَكُ مَا فِيهَا" فِي اللَّقْعَةِ وَفَتْمِ الدُّنْيَا .

وَالنَّفْسُ تَكَلِّفُ بِالدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْهَا تَرَكُ مَا فِيهَا

وقولهم : "إِنَّ الْعَصَا مِنَ الْعَصِيَّةِ" يُقَالُ : إِنْ أَوَّلَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ الْأَفْصَى الْجُرْهُمِيُّ ، ذَلِكَ أَنَّ نَزَارًا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَمَعَ بَنِيهِ : مَضَرَ ، وَإِيَادَا ، وَرَبِيعَةً ، وَأَنْتَارًا ، فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ! هَذِهِ الْقَبَةُ الْحُمْرَاءُ — وَكَانَتْ مِنْ آدَمَ — لِمَضَرَ ، وَهَذِهِ الْفَرَسُ الْأُدْهُمُ وَالْحَبَاءُ الْأَسْوَدُ لِرَبِيعَةٍ ، وَهَذِهِ الْخِلَادِمُ — وَكَانَتْ شَمْعَاءُ — لِإِيَادَا ، وَهَذِهِ الْبَدْرَةُ وَالْمَجْلِسُ لِأَنْتَارَا ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ كَيْفَ تَقْسِمُونَ ، فَأَتُوا الْأَفْصَى الْجُرْهُمِيَّ وَمَتَرَلَهُ بِخَيْرَانِ ، فَتَشَاجَرُوا

(١) فِي الْمِيدَانِي : وَمَعَا فِي بَيْتِ أَوَّلِهِ . وَالنَّفْسُ الْخُ .

- في ميراثه، فتوجهوا إليه، فبينما هم في سيرهم إذ رأى مضر أثر كلاب قد رعى، فقال :
- إن البعير الذي رعى هذا أعور، وقال ربيعة : إنه لأزور، وقال إباد : إنه لأبتر،
وقال أنمار : إنه لشروء، فساروا قليلا، فإذا هم برجل يوضع حمله فسألهم عن البعير،
فقال مضر : أهو أعور؟ قال : نعم، وقال ربيعة : أهو أزور؟ قال : نعم، وقال
إباد : أهو أبتر؟ قال : نعم، وقال أنمار : أهو شروء؟ قال : نعم، هذه والله صفة
بعيري، فدلوني عليه، فقالوا : والله ما رأيناه ، فقال : هذا والله الكذب كيف
أصبتكم وأتم تصفونه بصفته؟ فساروا حتى قدموا بحرات، فلما نزلوا، نادى
صاحب البعير، هؤلاء أصحاب جلي وصفوا لي صفته ثم قالوا : لم نره، فاختصموا
إلى الأضي، فقال لهم : كيف وصفتموه وأتم لم تروه؟ فقال مضر : رأيته قد رعى
جانبا وترك جانبا، فعلمت أنه أعور، وقال ربيعة : رأيته لاحدى يديه ثابتة والثانية
فاسدة، فعلمت أنه أزور لأنه أسدعا بشدة وطئه، وقال إباد : عرفت أنه أبتر
باجتماع بمره ولو كان ذيبا لمصح به، وقال أنمار : عرفت أنه شروء، لأنه رعى
في المكان الملتف نبتة ثم يحوزه إلى مكان أرق منه، فقال الأضي : ليسوا بأصحاب
جملك فاطلبه، ثم سألم : من أتم؟ فأخبروه بخبرهم، وبما جاءوا له، فأكرمهم، وقال :
- أنتما جاون إلى وأتم كما أرى؟ ثم أنزلهم وذبح لهم شاة، وأطعمهم بخمر، وجلس لهم الأضي
بجيت لا يرى، فقال ربيعة : لم أر كالسيوم أطيب لحما لولا أن شاته غذيت بلبن كلبة،
وقال مضر : لم أر كالسيوم أطيب نحرا لولا أن حُبْلته نبتت على قبر، فقال إباد : لم أر
كالسيوم رجلا أسرى لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له، فقال أنمار : لم أر كالسيوم
كلاما أنفع في حاجتنا من كلامنا، وكلامهم بأذنه، فدعا قهرمانه، فقال : ماهذه الخمر،

وبما أمرها؟ قال: هي من حُبلة غرستها على قبر أبيك؛ وقال للراعي: ما هذه الشاة؟ فقال: هي عناق أرضعتها يلبن كلبة وكانت أمها ماتت؛ ثم أتى أمه، فقال: أصدقيني، مَنْ أبى؟ فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له، نفقت أن يموت وليس له ولد، فأمكننت من نفسى ابن عم له كان نازلا عليه فولدتك، فرجع إليهم وقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال نزار فهو لمضر، فذهب بالإبل الحمراء والدنانير، فسميت: مضر الحمراء. وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شيء أسود، فصار لربيعة الخيل النعم وما شاكلها، قليل: ربيعة الفرس. وأما الخادم الشمطاء فلصاحبها الخيل البلق والماشية، فسميت: لإياد الشمطاء، وقضى لأثمار بالدرهم والأرض فصدروا من عنده على ذلك، فقال الأنفى: إن العصا من العصية، وإن خُشِينَا من أخشن؛ فأرسلهما مثلاً.

وقولهم: "إن العَوَانَ لَا تُعَلِّمُ الحِمْرَةَ": يضرب للرجل المجرب.

وقولهم: "إني لَا أكل الرأس وأنا أعلم بما فيه": يضرب للأمر تاتيه وأنت تعلم ما فيه مما تكره.

وقولهم: "أنف في السماء، وأست في الماء": يضرب للتكبر الصغير الشأن.


وقولهم: "إن الدليل الذى ليست له عَصُدٌ" أى أنصار وأعوان: يضرب لمن يَحْدُلُهُ ناصره.

وقولهم: "إن يَدَمَ أَظْلُكَ فَقَدْ نَقَبَ حُفِّي" الأظفل: ما تحت مَنِمِ البعير: والنخف: قائمته: يضربه المشكوا إليه للشاكي أى أنا منه فى مثل ما تشكوه.

وقولهم: "إِن تَسْلِمِ الْحِلَّةُ فَالْتَّيْبُ هَدَرٌ" الْحِلَّةُ: جمع جليل يعنى العظام من الإبل،
والتيب: جمع ناب وهى الناقة المستنة، معناه إذا سلم ما ينتفع به هان ما لا ينتفع به .

وقولهم: "إِن يَبِغْ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِغْ عَلَيْكَ الْقَمَرُ" يقال: إن بنى طلبة
أبن سعد فى الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة، فقالت طائفة:
تطلع الشمس والقمر يرى، وقالت طائفة: بل يغيب قبل طلوعها، فراضوا برجل
جعلوه بينهم، فقال رجل منهم: إن قومى يبغون على، فقال العدل: إن يبغ عليك
قومك لا يبغ عليك القمر، فذهبت مثلا: يضرب للأمر المشهور .

وقولهم: "إِن كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَأَقَيْتَ إِنْصَارًا" الإصصار: ريح شديدة
تهب فيما بين السماء والأرض: يضرب للدل بنفسه إذا صلب بمن هو أدهى منه وأشد.

وقولهم: "إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا" قالوا: قالته غنية الأعرابية لأبنها،
وكان عارما مع ضحفه، فواثب يوما فنى قطع أذنه فأخذت ديتها، فزادت حسن
حاي ثم واثب آخر قطع شفته فأخذت الدية فذكرته فى أرجوزتها فقالت
أَحْلِفْ بِالْمَرْوَةِ حَقًّا وَالصَّفَا * إِنَّكَ أَجْدَى مِنْ تَفَارِيقِ الْعَصَا 

ثقل لأعرابى: ما تفارقى العصا؟ فقال: العصا تقطع ساجورا والسواجير
للكلاب والأسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصير أوتادا ويقطع الودد
فيصير كل قطعة شظاظا وإن جعل لرأس الشظاظ كالقلعة صار للبختى مهارا وهو

العود الذى يدخل فى أهه، وإذا فرق المهار جاءت منه تَوَادٍ وهى الخشبة التى تشد على خَلْفِ الناقة .

وقولهم : " إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ " : يضرب للرجل الداهى، قال بعضهم : لِمَ تُؤْكَلُ الكتف من أسفلها ؟ قال : لأنها تنقشر عن عظمها وتبقى المرققة مكانها ثابتة .

وقولهم : " إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشَّوْكِ الْعَنْبُ " أى لا تجدد عند ذى ألمنيبت السوء جيلا، والمثل من قول أكرم قال : إذا ظلمت فاحذر الانتصار، فإن الظلم لا يكسبك إلا مثل فعلك .

وقولهم : " أَتُحَوِّ الظَّلْمَاءُ أُعْشَى بِاللَّيْلِ " : يضرب لمن يخطئ حجة ولا يبصر المخرج مما وقع فيه . ١٠

وقولهم : " إِنَّكَ لَتُكْثِرُ الْحَزَّ وَتُخْطِئُ الْمَفْصِلَ " : يضرب لمن يمتد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد .

وقولهم : " أَوَّلُ الشَّجَرَةِ النَّوَاةُ " : يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .

وقولهم : " إِذَا صَاَحَتِ الدَّجَاجَةُ صِيَاَحَ الدِّيكِ فَلْتَذَبْجْ " قاله الفرزدق فى امرأة قالت الشعر . ١٠

وقولهم : " إِذَا رَأَى رَأَى السَّكِينِ فِي الْمَاءِ " : يضرب لمن يخافك جدا .

وقولهم : "إِنَّكَ رَيَّانٌ فَلَا تَعْجَلْ بِشْرَبِكَ" : يضرب لمن أشرف على إدراك
بنيته فيؤمر بالرفق .

وقولهم : "أَبْطَشُ مِنْ دَوَّسَرٍ" هي إحدى كُتُب النملات أشدها بطشا
ونكاية ؛ قال بعض الشعراء

• ضَرَبْتُ دَوَّسَرُفِهِمْ ضَرْبَةً * أَثْبَتُ أَوْلَادَ مُلْكٍ فَاسْتَقَرَّ

وقولهم : "أَبْرَمًا قَرُونًا" البرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر لبخله ، والقرون :
الذي يقرن بين الشئتين ؛ وأصله أن رجلا كان لا يدخل في الميسر ولا يرى اللطم فجاء
إلى أمراءه وبين يديه لحم تأكله فأقبل يأكل معها بضعتين يقرن بينهما فقالت له :
أَبْرَمًا قَرُونًا : يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .

١٠ وقولهم : "الْتَيْبُ جُمَالَةُ الرَّاكِبِ" : يضرب في الحب على الرضا يسير الحاجة
عند إعواز جليلها .
وقولهم :

"الْبَسَ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا * إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُؤْسَهَا"

أول من قال ذلك تيسر : وهو رجل من بني غراب بن قزارة ، وكلّف سابع
سبعة إخوة ، فأغار عليهم أناس من بني أشجع ، وهم في إبلهم قتلوا منهم ستة وتركوا
١٠ يهسا لحقه فقال : دعوى أتوصل معكم إلى أهلي فأقبل معهم ، فلما كان من الغد
نحروا جزورا في يوم شديد الحر ، فقال بعضهم : أظَلُّوا لحكم لانفسده الضَّحُّ ، فقال

(١) في اللسان : وصوابه « فيه » لأنه عائد على يوم الحفر .

يهيس : لكن بالاثلاث^(١) لم لا يظلل ، فارسلها مثلاً ؛ ثم فارقه ثم وأتى أمه فأخبرها الخبر فقالت : ما جاء بك من بين إخوتك وأنت أخبثهم ، فقال : ما خيرك القوم فتصغاري ، فارسلها مثلاً ؛ ثم أعطته ثياب إخوته ومتاعهم ، فقال : يا حبذا التراث لولا الذلة ، فارسلها مثلاً ؛ وأخذ يوماً يبرم سكينا ، فقيل له : ما تصنع بها ؟ فقال : أقتل بها قتلة إخواني ، فقيل له : إنك لأحق ، فقال : ما يؤمنك من أحق في يده سكين ، فارسلها مثلاً ؛ ثم إنه مرّ بنسوة من قومه يصلحن امرأة يردن أن يهديها لبعض قتلة إخوته فكشف ثوبه عن آسته وغطى به رأسه ، فقيل له : ما تصنع ؟ فقال :

البس لكل حالة لبوسها ، * إما نصيحتها وإما بؤسها

١٠ وقولهم : "الصيف ضيعت اللبن" قال الأصمعي : معناه تركت الشيء في وقته ، وقال غيره : تركت الشيء وهو ممكن ، وقال أبو عبيدة : أول من قاله عمرو بن عدس ، وكان قد تزوج دختنوس بعد ما كبر ، فكان ذات يوم نائماً في حجرها فجحف وصال لعابه فتأففته فأنتبه وهي تتأفف منه ، فقال : أتحبين أن أطلقك ؟ قالت : نعم ، فطلقتها ، وتزوجها فتى ضرير حسن الوجه ، فحببتهم ذات يوم غارة والفتى نائم بغامت دختنوس فأنبته وقالت له : الخليل ، فجعل يقول : الخليل الخليل ، من الخلوف حتى مات قرقاً وسُيِّهت دختنوس فبلغ عمرو الخبر فركب ولحقهم وقاتل حتى استنقذ

(١) قال ياقوت في معجمه : اثلاث « بالياء » هو الموضع المذكور في المثل في بعض الروايات ؛ لكن بالاثلاث الخ . ثم قال : وأكثر الزملاء يقولون : الاثلاث « بالياء » جمع اثلة وهو صنف من الطراف . كبير يظلل فيه مائة قس .

جميع ما أخذوا وأستغنوا فوضمها فقامه على السرج ورتعا إلى أهلها ، ثم
اصابهم سنة فبعثت إليه تقول : نحتاج اللبن فبعث إليها بلقمة وقال : الصيف
ضيعت اللبن .

وقولهم : "أَضْطَرُّهُ السَّيْلُ إِلَى مَعْطَشِهِ" وهو أن رجلا عطش وكان قد
أتى واديا له غور وماء شديد الحرارة ، فبقى في أصل شجرة لا يقدر أن ينزل فيأخذ به
الماء ، ولم يجد ماء فمات عطشا : يضرب لمن ألقاه الخير الذي كان فيه إلى شر .
وقولهم :

"إِنَّ الْحَمَاءَ أُولِعَتْ بِالْكِنَّةِ • وَأُولِعَتْ كَنْتُهَا بِالْفُتْنَةِ"

الحماة : أم الزوج ، والكنته : امرأة الابن والأخ ، والفطنة : التهمة ، وبين الحماة والكنته
عداوةٌ مُستَحِكَّةٌ : يضرب بها المثل في الشقاق بين قوم هم أهل لذلك .

وقولهم : "إِنَّ لَهِ جُنُودًا مِنْهَا الْعَسَلُ" قاله معاوية : لما بلغه أن الأشر
سقى عسلا فيه سم فمات : يضرب عند الثمالة بمصاب المدق .

وقولهم : "إِنَّ الْهَوَى يَمِيلُ بِأَسْتِ الرَّاكِبِ" أى من هوى شيئا مال نحوه
قيحا أو جيلا ، كما قيل

وما زُرْتُمْ عَمَدًا وَلَكِنْ ذَا الْهَوَى • إِلَى حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ يَهْوَى بِهِ الرَّجُلُ

وقولهم : "إِنَّ الْجَوَادَ قَدْ يَعْثُرُ" : يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجبل
ثم تكون منه الزلّة .

وقولهم : "إِنَّ الشَّفِيقَ بِسُوءِ ظَنِّ مُوَلَّعٍ" : يضرب للفقير بشأن صاحبه لأنه لا يكاد يظن به غير وقوع الحوادث كظنون الوالدات بالأولاد .

وقولهم : "إِنْ خَصَصْتَيْنِ خَيْرُهُمَا الْكَذِبَ لَخَصَصْتَا سُوءَ" : يضرب للرجل يستنذر من شيء فعله بالكذب .

وقولهم : "أَحَادِيثُ طَنِيمٍ وَأَحْلَامُهَا" : يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له .

وقولهم : "أَحْشَفَا وَسُوءَ كِلَايَةٍ" : يضرب لمن يجمع بين خصصتين مكروهتين .

وقولهم : "الْحَقُّ أَتْلَجُ، وَالْبَاطِلُ لَجَلَجُ" : معناه أن الحق واضح بين والباطل يتلجلج فيه أى يتردد فلا يجد صاحبه مخرجا .

وقولهم : "الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ" : هذا المثل قاله اكثم بن صيفي .

وقولهم : "اخْتَلَطَ الْخَلَائِرُ بِالزُّبَادِ" . الخائز : ما خسر من اللبن ، والزُّبَاد : الزبد : يضرب للقوم يعمون في التخليط من أمرهم .

وقولهم : "أَخْطَأَتِ أَسْنَتُهُ الْحَقِيرَةَ" : يضرب لمن رام شيئا فلم يثله .

وقولهم : "ادْعِ إِلَى طِعَانِكَ، مَنْ تَدْعُوهُ إِلَى جِفَانِكَ" أى استعمل في حوائجك من تخصه بمعروفك .

وقولهم : "أَرْوَعَانَا يَا مُعَالَ، وَقَدْ عَلِقْتَ بِالْحِبَالِ" معالة : التعلب : يضرب لمن يراوغ وقد وجب عليه الحق .

وقولهم : "لَرِمَ فَقَدْ أَفْقَتْهُ مَرِيئُهَا" يقال : أفقت السهم إذا وضعت قُوفَهُ في الوتر: يضرب لمن تمكن من طليئته .

وقولهم : "أَضِرُّطًا وَأَنْتِ الْأَعْلَى ؟" قاله سُلَيْكُ بْنُ سُلَيْكَةَ السَّعْدِيُّ ، وذلك أنه بينما هو نائم إذ جثم عليه رجل من الليل وقال : استأمر فقال له سليك : الليل طويل وأنت مقمر ، فأرسلها مثلاً : ثم ضمه سليك بيديه ضمةً أضرطته ، فقال له :
• أَضِرُّطًا وَأَنْتِ الْأَعْلَى فَأرسلها مثلاً : يضرب لمن يشكو في غير موضع الشكوى .

وقولهم : "أَضَلَّتْ مِنْ عَشْرِ ثَمَانِيًّا" : يضرب لمن يفسد أكثر ما يليه من الأمر .
وقولهم : "أَعْطِ أَخَاكَ تَمْرَةً ، فَإِنَّ أَبِي بِجُمْرَةٍ" : يضرب لمن يختار الهوان على الكرامة .

وقولهم : "أَكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا" معناه لا تتحدث نفسك بأنك لا تنظفر ،
• فإن ذلك يَبْطُلُكَ . قال ليد

أَكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا * إِنَّ صَدَقَ النَّفْسَ يُزْرَى بِالْأَمَلِ

وقولهم : "أَكْبَرًا وَإِمْعَارًا" : أى أجمع بين الكبر والفقر .

وقولهم : "أَمْكِرًا وَأَنْتِ فِي الْحَدِيدِ ؟" هذا المثل قاله عبد الملك بن مروان لعمرو ابن سعيد لما قبض عليه وكنجه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن رأيت أن لا تنصحنى بأن تخرجنى للناس فتقتلنى بحضرتهم فأفعل ، وإنما أراد عمرو بهذه المقالة أن يخالفه عبد الملك فيخرجه فيمنعه منه أصحابه ، فقال : أبا أمية ! أمكرا وأنت في الحديد :
• يضرب لمن أراد أن يكر وهو مقهور .

وقولهم : "أَهْوَنُ هَالِكٍ عَجُوزٌ فِي هَامِ مَسْنَةٍ" : يضرب للنسيءِ يُسْتَحْفَ بِهِ وبهلاكه .

قال الشاعر

وأهون مفقود إذا الموتُ نابه * على المرء من أصحابه مَنْ تَقَنَّا

وقولهم : "أَوْسَعُهُمْ سَبًّا وَأَوْدَوْا بِالْإِبِلِ" أصله أن رجلا من العرب أغير على إبله فأخذت، فلما تواروا صعد أكمة وجعل يسبهم ثم رجع إلى قومه فسأله عن إبله، فقال هذا المثل .

ويقال : إن أول من قاله كعب بن زهير بن أبي سلمى، وذلك أن الحارث بن ورقاء الصيدأوى أغار على بنى عبد الله بن غطفان وأستاق إبل زهير وراعيه، فقال زهير في ذلك قصيدته التي أولها

بان انخليط ولم يأووا لمن تركوا * وزودوك أشديا قاةً سلكوا

ويست بها إلى الحارث فلم يرذ الإبل، نهجاء، فقال كعب أبنه : أوسعهم سبًّا وأودوا بالإبل، فنهبت مثلا : يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام .

وقولهم : "أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ" : هو سعد بن زيد مناة أخو مالك الذي يقال فيه : إناك أبلى من مالك، وذلك أن مالكا تزوج بأمرأة وبني بها فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها، فقال مالك

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ * ما هكنا تورّد يأسعُدُ الإبل

ف ضرب مثلا لمن قصر في طلب الأمر .

وقولهم : " إِنْ الشَّقِيَّ وَافِدُ الْبَرَّاجِمِ " قاله عمرو بن هند الملك . وذلك أن
سُوَيْدَ بْنَ رَيْبَعَةَ التَّمِيمِيَّ قَتَلَ أَخَاهُ سَعْدَ بْنَ هِنْدٍ وَهَرَبَ فَتَنَزَّ عَمْرُو لِيَقْتُلَ بَأَخِيهِ مَائَةَ
مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ يَجْمَعُهُمْ فَلَقِيَهُمُ الْخَبْرُ فَتَنَزَّ قَوْافِي نَوَاحِي بِلَادِهِمْ فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا عَجُوزًا
كَبِيرَةً وَهِيَ حَمْرَاءُ بِنْتُ ضَمْرَةَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ : إِنِّي لِأَحْسِبُكَ أَعْجَمِيَّةً ، قَالَتْ :
• لَا وَالَّذِي أَسْأَلُهُ أَنْ يَخْفِضَ جَنَاحَكَ ، وَيَهْدِيَ عِمَادَكَ ، وَيَضَعُ وِسَادَكَ ، وَيَسْلُبَكَ
بِلَادَكَ ، مَا أَنَا بِأَعْجَمِيَّةٍ ، قَالَ : فَمَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا بِنْتُ ضَمْرَةَ بْنِ جَابِرٍ ، سَادَ
مَعْتَدًا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، وَأَنَا أُخْتُ ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ ، قَالَ : فَمَنْ زَوْجُكَ ؟ قَالَتْ : هَوْدَةُ
أَبْنُ بَحْرُولٍ ، قَالَ : وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ ؟ أَمَا تَعْرِفِينَ مَكَانَهُ ؟ قَالَتْ : لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَكَانَهُ
حَالِ بَنِي وَبَيْنَكَ ، فَقَالَ عَمْرُو : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تُلْدِي مِثْلَ أَبِيكَ وَأَخِيكَ
• وَزَوْجُكَ لِأَسْبَقِيَّتِكَ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَدْرَكْتَ ثَارًا ، وَلَا تَحَوَّتْ عَارًا ، مَعَ كَلَامِ
كَثِيرٍ كَلَّمْتَهُ بِهِ فَأَمَرَ بِإِحْرَاقِهَا ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَى النَّارِ ، قَالَتْ : الْإِثْقَى مَكَانَ عَجُوزٍ !
فَذَهَبَتْ مِثْلًا ، ثُمَّ مَكَثَتْ سَاعَةً فَلَمْ يَفِدْهَا أَحَدٌ ، فَقَالَتْ : هَيْبَاتِ صَارَتِ الْفَتَيَانِ
مُحْمَاً ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا ثُمَّ أَلْقِيَتْ فِي النَّارِ وَلَبِثَ عَمْرُو عَامَةً يَوْمَهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَحَدٍ ، حَتَّى
• إِذَا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ أَقْبَلَ رَاكِبٌ يُسَمَّى عَمَّارًا تَوَضَّعَ بِهِ رَاحِلَتُهُ حَتَّى أَتَاخَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ
لَهُ عَمْرُو : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْبَرَّاجِمِ ، قَالَ : فَمَا جَاءَ بِكَ إِلَيْنَا ؟ قَالَ :
سَطَعَ الدُّخَانُ وَكُنْتُ طَرِيتُ مِنْذُ أَيَّامٍ وَظَنَنْتُهُ طَعَامًا ، فَقَالَ عَمْرُو : إِنْ الشَّقِيَّ وَافِدُ
الْبَرَّاجِمِ ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا وَأَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي النَّارِ ، قِيلَ : إِنَّهُ أَحْرَقَ مَائَةَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ :
تَسْعَةً وَتَسْعِينَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ ، وَوَاحِدًا مِنَ الْبَرَّاجِمِ .

وقال بعضهم : ما بلغنا أنه أصاب من بنى تميم غير وافر البراجم وإنما أحرق النساء والصبيان ؛ قال جرير

وأخزأكم عمرو كما قد تُخزئُكم * وأدرك عماراً شقيّ البراجيم
ولذلك عُيِّرَ بنو تميم بحب الطعام ؛ قال الشاعر

إذا ما مات مَيّت من تميم * وسرك أن يعش ، بفتح بَزَادِ
بُخْبَزٍ أو بلحم أو بتمر * أو الشيء الملتف في الجِجَادِ
تراه يُنْقَب الآفاق حولا * لِيَا كُلِّ رَأْسٍ لِقَمَانِ بْنِ عَادِ
وهذا المثل يضرب لمن يوقع نفسه في هَلَكَة طمعا .

حرف الباء

تقول العرب : " بلغ السيلُ الزبي " هي جمع زُبَيْة وهي حفرة تُحْفَرُ للأسد إذا أرادوا صيده لا يعلوها الماء فإذا بلغها السيل كان مجحفا : يضرب لمن جاوز الحد .

وقولهم : " بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَاثِهَا " الهاء : القشر : يضرب للتخالفين المتضيقين ؛ ويروى : لا مدخل بين العصا ولحائها .

وقولهم : " بينهم داء الضرائر " هي جمع ضَرَّة يضرب للصدادة إذا رمعت بين قوم .

وقولهم : " بينهم عِطْرٌ مَنِيْشَمٌ " قال الأحمسي : مَنِيْشَم كانت عطارة بمكة وكانت تُزَاعَة وَجُرْهَم إذا أرادوا القتال تطيَّبوا من طيبها فإذا فعلوا ذلك كثرت

بينهم القتل فكان يقال : أشام من عطر منشم : يضرب في الشر العظيم ، وفيه
يقول زهير

تَدَارَكُنَا عَسًا وَدِيَانٌ بَعْدَ مَا * تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمٍ

وقولهم : ” به داءٌ عَظِيْ ” : أى أنه لا داء به كما أن الظبي لا داء به ، وقيل :
ربما يكون بالظبي داء لا يعرف مكانه معناه أت به داءٌ لا يُعرف .

وقولهم : ” بَلَغَتِ الدِّمَاءُ الثَّنَّ ” الثَّنَةُ : الشرعات التي في مؤترسغ الدابة :
يضرب عند بلوغ الشر النهاية .

وقولهم : ” بَرِحَ الْخَفَاءُ ” أى زال من قولهم ما برح ، والمعنى زال الشر فوضع
الأمر ، ويقال : اخفاء المتطاطع من الأرض ، والبراح المرتفع أى صار الخفاء برأحا .

وقولهم : ” بَنَانٌ كَيْفَ لَيْسَ فِيهَا سَاعِدٌ ” : يضرب لمن له همة ولا مقدرة له
على ما في نفسه .

وقولهم : ” بَاتَ فُلَانٌ يَسْوِي الْقَرَّاحَ ” : يعنى الماء الخالص لا يخالطه شيء :
يضرب لمن ساءت حاله ، وقد ماله بحيث يشوى الماء شهوة للطبخ .

وقولهم : ” بَجَّ بَجَّ سَائِقٌ بِحُلَّخَالٍ ” هى كلمة يقوها المتعجب من حسن الشيء
وكجلاه . وأول من قال ذلك الْوَيْثَةُ بنت ثعلبة ، وذلك أت دُهل بن شيان كان زوج
الْوَيْثَةِ وكانت لا تترك له امرأة إلا ضربتها فترج رَقَاش بنت عمرو بن عثمان من
بني ثعلبة ، فخرجت رقاش يوما وعليها خَلْخَالَان ، فقالت الْوَيْثَةُ ذلك ، فنهبت مثلاً .

حرف التاء

وقولم : "تَرَكَ الظَّيُّ ظِلَّهُ" أى كَلَسَهُ الذى يَسْتَظِلُّ به : يضرب لمن نقر من شئ فتركه تركا لا يعود له .

وقولم : "تَرَكَتُهُ عَلَى مِثْلِ لَيْلَةِ الصَّدْرِ" وهى لَيْلَةُ يَنْفِرُ النَّاسُ مِنْ مَنَى فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ .

وقولم : "تَرَكَتُهُ أَنْفَى مِنَ الرَّاحَةِ" أى عَلَى حَالٍ لَا خَيْرَ فِيهِ كَمَا لَا شِعْرَ عَلَى الرَّاحَةِ : يضرب فى اصطلاح الدهر .

وقولم : "تَجْبُوعُ الْحُرَّةِ وَلَا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا" : أى لَا تَكُونُ ظِلًّا وَإِنْ آذَاهَا الْجُسُوعُ .



أَوَّلُ مَنْ قَالَه الْحَارِثُ بْنُ سَلِيلٍ الْأَسَدِيُّ وَكَانَ حَلِيفًا لِعَلْقَمَةَ بْنِ حَصْفَةَ الطَّائِي فَوَارَهُ
فَنَظَرَ إِلَى ابْنَتِهِ الزَّيَّاءِ وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ أَهْلِ دَهْرِهَا ، فَقَالَ : أَتَيْتُكَ خَاطِبًا وَقَدْ يُنْتَجَحُ
الْخَاطِبُ ، وَيُذْرَكُ الطَّالِبُ ، وَيُمْتَنَعُ الرَّاعِبُ ، فَقَالَ لَهُ عَلْقَمَةُ : أَنْتَ كَفَّ كَرِيمٌ يُقْبَلُ
مِنْكَ الصَّفْوُ ، وَيُخَذُّ مِنْكَ الْعَفْوُ ، فَأَقِمْ نَظْرَكَ فِي أَمْرِكَ ، ثُمَّ أَنْكَفَا إِلَى أُمِّهَا ، فَقَالَ :
إِنَّ الْحَارِثَ سَيَدُ قَوْمِهِ حَسْبًا وَمَنْصَبًا وَبَيْتًا ، وَقَدْ خُطِبَ إِلَيْنَا الزَّيَّاءُ فَلَا يَنْصَرِفَنَّ
إِلَّا بِمَاجَتِهِ ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِأَبْنَتِهَا : أَيُّ الرِّجَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ الْكَهْلُ الْمُجْتَنَحُ ، أَوَالِ
الْمُنَاحِ ، أَمْ الْقَتَى الْوَضَاحُ ؟ قَالَتْ : بَلِ الْقَتَى الْوَضَاحُ ، فَقَالَتْ : إِنْ الْقَتَى يُغَيِّرُكَ ،
وَإِنْ الشَّيْخُ يُغَيِّرُكَ ، وَلَهُسَ الْكَهْلُ الْفَاضِلُ ، الْكَثِيرُ النَّاعِلُ ، كَالْحَدِيثِ السَّنِّ ، الْكَثِيرِ
الْمَتْنِ ، قَالَتْ يَا أُمَاهُ : إِنْ الْقَتَاءُ مَحَبُّ الْقَتَى ، كَتَبَ الرَّعَاءُ أَنْتِ الْكَلَا ، قَالَتْ : أَيُّ

١٠

١٥

بنية! إن الفتي شديد الجهاب، كثير العتاب، قالت: إن الشيخ يُبلى شبَابِي، ويدنَس ثِيَابِي، ويُسَمِّت بي أترابي. فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فترجّعها الحارث على مائة ونحسين من الإبل وخدام وألف درهم، فأبقي بها، ثم رحل بها إلى قومه فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهي إلى جانبه، إذ أقبل شباب من بني أسد يمتلحجون فتتغست الصعداء، ثم أرخت عينها بالبكاء، فقال: ما بيكيك؟ قالت: مالي وللشيوخ، الناهضين كالفروخ، فقال لها: تَكَلِّتِكِ أُنْكَ! تجمع الحوة ولا تأكل بشديها، ثم قال لها: وأبيك، لرب غارة شهدها، وسيئة أردفتها، ونجرة شربتها، فألحق بأهلك فلا حاجة لي فيك، وهذا المثل يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خبسه المكاسب.

وقولهم: "تَجَبَّأَ لَقْمَانُ مِنْ غَيْرِ شَيْعٍ": يضرب لمن يدعى ما ليس يملك.

وقولهم: "تُحْبِرُ عَنْ مَجْهُولِهِ مَرَأَتُهُ": أي منظره يخبر عن مخبره.

وقولهم: "تَشْكُو إِلَى غَيْرِ مُصَمِّتٍ": أي إلى من لم يهتم بشأنك. قال الشاعر

إِنَّكَ لَا تَشْكُو إِلَى مُصَمِّتٍ * فَاصْبِرْ عَلَى الْحِمْلِ الثَقِيلِ أَوْمِتْ

وقولهم: "تَجَاوَزَ الرَّوْحَ إِلَى الْقَاعِ الْقَرِيقِ": يضرب لمن يعدل بجاحته من

الكريم إلى اللئيم، والقَرِيق: المستوى.

وقولهم: "تَسْمَعُ بِالْمُعَيَّدِي خَيْرٍ مِنْ أَنْ تَرَاهُ" وروى: لا أن تراه: يضرب

لمن خبره خير من مرآه، أوّل من قاله: المنذر بن ماء السماء.

وقولهم : "تَقَطَّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمُطَامِعُ" : يضرب في ذم الطمع .

وقولهم : "تَقْلُدُهَا طَوَقُ الْحَمَامَةِ" كناية عن انخفص القبيحة التي لا تزايله ولا تفارقه .

حرف الشاء

• قولهم : "ثَارَ حَائِلُهُمْ عَلَى نَابِلِهِمْ" الحابل : صاحب الجبالة ، والنابل : صاحب النبل أى أخطأ أمرهم : يُضْرَبُ فِي فساد ذات البَيْنِ وتأريث الشر في القوم .

وقولهم : "ثَوْرٌ كِلَابٌ فِي الرَّهَانِ أَقْعَدُ" : هو كِلَابٌ بن ربيعة بن عامر ابن صَمْصَمَةَ القيسى كان يحمى ، وذلك أنه أربط عجل ثور ليسابق عليه ، والأقعد من القعيد وهو المتخلف المتباطئ : يُضْرَبُ لِمَنْ يروم مالا يكون .

حرف الجيم

• قولهم : "بَحْرَى الْمُدَّيَكَاتِ غِلَابٌ" الْمُدَّيَكَةُ من الخيل التي أُنِيَ عليها بعد قُرُوحِهَا سَنَةً أو سنتان والغلاب المغالبة : يضرب لمن يُوصَفُ بالتبريز على أقرانه في حلبة الفضل ؛ وأول من قاله تذكره إن شاء الله تعالى في حرب داحس والغبراء .

وقولهم : "بَحْرَاءُ سِنَمَارٌ" وهو الذى بنى الخَوَرَقَ وتقدم خبره في مبانى العرب .

• وقولهم : "بَحْرَحَهُ حَيْثُ لَا يَضَعُ الرَّاقِىُّ أَثْقَه" قالته جندلة بنت الحارث ، وكانت تحت حنظلة بن مالك وهي عذراء ، وكان حنظلة شيخا كبيرا فخرجت في ليلة

مطيرة فيصربها رجل فوثب عليها وأتصّها، فصاحت وقالت : لِسَمْتُ . قيل أين ؟
قالت : حيث لا يضع الرّاق أغنه : يضرب لمن يقع في أمر لاحيلة له في الخروج منه .

وقولهم : " جَمْعَجَةٌ وَلَا أَرَى طِحْنًا " : يضرب لمن يبد ولا يفي .

وقولهم : " بَحْرَى مِنْهُ يَجْرَى اللَّدُود " وهو ما يُصَبِّب في أحد شِقِّ النِّم من
الدَّوَاء ، يضرب لمن يُنْقَض وَيُكْرَه .

وقولهم : " بَجَاعَةٌ عَلَى أَقْدَاء " . معناه أَجْتِمَاعٌ بِالْأَبْدَان ، وَأَفْرَاقٌ بِالْقُلُوب ،
وهو بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم " هُدْنَةٌ عَلَى دَخْن " : يضرب لمن يُضْمِرُ أذى
وَيُظْهِرُ صَفَاء .

وقولهم : " جَارُ بَكَارٍ أَبِي دُوَاد " يننون كسب بن مامة فإنه كان إذا جاوره
رجل فإن مات وداه ، وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه ، فضربت به العرب
المثل في حسن الجوار ، قال طرفة

إِنِّي كَفَانِي مِنْ أَمْرِ هَمَّتْ بِهِ • جَارُ بَكَارٍ الْحُدَاقِي الَّذِي أَتَصَفَّا
والحُدَاقِي هو أَبُو دُوَاد .

وقولهم : " جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْغَيِّرَةِ " قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة زُفَّتْ فَاطِمَةُ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وقولهم : " جَوَّعَ كَلْبَكَ يَتْبَعُكَ " . أول من قال ذلك ملك من ملوك خِمْير
كان جازرا على أهل مملكته يسلبهم مافي أيديهم وإن أمر أنه سمعت صوت السُّؤَال

فقلت : إني لأرحم هؤلاء وإني لأخاف أن يكونوا عليك سبعا ، بعدما كانوا لك أتباعا ، فقال : جوع كلبك يتبعك ، ثم إنه غزا بهم ولم يقسم عليهم شيئا فقالوا لأخ له : قد ترى مانحن فيه من الجهد ونحن نكره خروج الملك عنكم إلى غيركم فساعدنا على قتل أخيك وأجلس مكانه ، فواقهم على ذلك ، ثم وشوا على الملك فقتلوه ، فتر به عامر بن جذيمة وهو مقتول ، فقال : ربما أكل الكلب مؤذبه إذا لم ينل شبعه ، فأرسلها مثلا ، والمثل يضرب في اللثام وما ينبئ أن يعاملوا به .

وقولهم : " جاءتهم عوانا غير بكر " أى مسحكة غير ضميعة يريدون حربا أوداهية عظيمة .

وقولهم : " جاء بصحيفة المتلمس " إذا جاء بالداهية ، وكان من خبر صحيفة المتلمس أن المتلمس وطرفة قدما على عمرو بن المنذر بن أمريئ القيس فحملهما ١٠ في صحابة قابوس بن المنذر أخيه وأمرهما بلزومه ، وكان قابوس شابا يعجبه اللهو ، فطال بقاؤهما عنده ، فهجا طرفة عمرا بأبيات فبلغته فاستدعاهما فحباهما بحباء وكتب مهمما إلى أبي كرب عامله على حجر أن يقتلهما ، وقال : قد كتبت لكما بحباء ومعروف ، فلما صدرا من عنده ، قال المتلمس لطرفة : هل لك في كتابتنا ، فإن كان ١٥ فيها خير مضينا له ، وإن كان شرا آتينا ، فأبى طرفة وقرأ المتلمس كتابه فإذا فيه السوء فالتقاء في الماء وقال لطرفة : ألق كتابك فأبى ومضى بكتابه ، قال : ومضى المتلمس حتى لحق بملوك بنى جفنة بالشام وسار طرفة بكتابه ، فلما انتهى إلى العامل قتله .

وقولهم : " جندلتان أصطككا " : يضرب لقرتين يتصاولان .

وقولهم : " جَزَيْتُهُ حَدَّوَالْتَعْلُ بِالتَّعْلُ " : للكفاة .

وقولهم : " جاءوا على بَكْرَةٍ أَيْبِهِمْ " أى جاءوا جميعا لم يختلف منهم أحد .
وقيل : بل البكرة تأنث البكر، يصنفهم بالقلعة أى بحيث تحملهم بكرة أَيْبِهِمْ . وقيل بل
البكرة التى يُسْتَقى عليها، معناه جاءوا بعضهم يتلو بعضا كدوران البكرة على نسق واحد ؛
وقيل : المراد بالبكرة الطريقة كأنهم جاءوا على طريقة أَيْبِهِمْ، وقال ابن الأعرابي :
البكرة : جماعة من الناس أى بأجمعهم .

وقولهم : " جَاوَزَ الْحَزَامَ الْعَطِيَّينِ " : يضرب فى تجاوز الحد .

حرف الحاء

قولهم : " حَرَكْتُ لَهَا حُورَاهَا تَحْنُ " الحوار : ولد الناقة ، والجمع القليل أحورة
والكثير حوران وحيران ، معناه ذكره بعض أشجانه يهيج له ، قاله عمرو بن العاص
لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام ، أى أريهم دم عثمان على قميصه .

وقولهم : " حَلَبْتُهَا بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ " أى أخذتها بالقوة إذ لم يثأث بالرفق .

وقولهم : " حَدَّوَالْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ " أى مثلا بمثل : يضرب فى التسوية بين
الشيئين ، ومثله : حَدَّوَالْتَعْلُ بِالتَّعْلُ ، وقد تقدم .

وقولهم : " حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ " معناه أنه آختر الدهر شَطَرَى خيره
وشره ففر ما فيه .

وقولهم : "حَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَيْعٍ وَرَى" ، قال امرؤ القيس
إذا ما لم تكن لئَلْ قَمَزَى * كَأَنَّ قُرُونًا جَلَّتْهَا الْعِصَى
فتملا بيتنا أَقْطَا وَسَمْنَا * وَحَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَيْعٍ وَرَى

قال أبو عبيدة : يحتمل معنيين أحدهما أعط كل ما كان لك وراء شَيْعِكَ
ورَيْكَ ، والآخر القناعة باليسير .

وقولهم : "حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ" أى آكتف بالقليل
عن الكثير .

وقولهم : "حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ" أى آكتف بسماعه ولا تعابنه ، قال :
ويحوز أن يريد يكفيك سماع الشر وإن لم تقدم عليه ولم تُنسب إليه ، والمثل قائله .
فاطمة بنت الخُرْشُب من بنى أنمار بن بغيض أم الربيع بن زياد ، وذلك أن أبها الربيع ١٠
كان أخذ من قيس بن زهير بن جذيمة درعا ، فتمرض قيس لأم الربيع وهى على
راحلتها فأراد أن يذهب بها ليرتبتها بالدرع ، فقالت له : أين عُرْبُ عَنكَ عَقْلُكَ
يا قيس ؟ أترى بنى زياد مصالحيك ! وقد ذهبت بآتهم يمينا وشمالا وقال الناس ما قالوا
وشاءوا ، وإن حسبك من شرِّ سماعه ، فذهبت كاتبها مثلا تقول : كفى بالمثالة عارا
وإن كان باطلا . ١٥

وقولهم : "حَلَقْتُ بِهِ عَتَقَاءَ مُغْرِبٍ" : يضرب لما يُئس منه ؛ قال الشاعر
إذا ما أبى عبد الله خلى مكانه * فقد حَلَقْتُ بِالْجُودِ عَتَقَاءَ مُغْرِبٍ

قال الميبدانى : والعتقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم يقال : كان
بأرض الرّس جيل يقال له : دَجْجٌ مصعد فى السماء ، وكان يأتيه طائر عظيم لها جنى

- طويلة؛ وهي من أحسن الطير؛ فيها من كل لون، وكانت تقع متصبية وتتقضى على الطير فتأكلها، بغاعت يوما وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عتقاء مغرب : لأنها تغرب بكل ما تأخذه، ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضممتها إلى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت، فشكوا ذلك إلى نبيهم : خالد بن صفوان، فقال : اللهم خذها وأقطع نسلها وسلط عليها آفة ! فأصابها صاعقة فاحترقت فضربتها العرب مثالا .

قال عنترة بن الأنسري الطائي في مرثية خالد بن زيد

لقد حَلَقْتُ باللود عتقاء كاسرٌ * كَفَتَحَاءِ دَخَّ حَلَقْتُ بِالْحَزَوْرِ
فإِنْ لَهَا بَيْضٌ فُيَعْرَفُ بَيْضُهَا * وَلَا شِبْهُ طَيْرٍ مِنْجِدٍ أَوْ مُغَوِّرٍ

- وقولهم : "حَتَّامٌ تَكْرَعُ وَلَا تُنْقَعُ" كَرَعَ إِذَا تَنَاوَلَ الْمَاءَ فِيهِ مِنْ مَوْضِعِهِ :
يضرب للمريض في جمع الشيء .

وقولهم : "حَسْبُكَ مِنْ أَنْضَابِهِ أَنْ تَقْتُلَهُ" : يضرب لطالب الثأر فيقول :
لَأَقْتُلَنَّ فَلَانًا وَقَوْمَهُ أَجْمَعِينَ فَيُقَالُ : لَا تَعْدُ ، حَسْبُكَ أَنْ تَدْرِكَ ثَارَكَ وَطَلَبَتِكَ :
ويضرب لمتجاوز الحد .

١٥

حرف الخاء

قولهم : "خَيْرَ حَالِيكَ تَنْطَلِعِينَ" : يضرب لمن يكافى المحسن بالإساءة ، ومثله :
خَيْرَ إِنْاءِ يَكُ تَكْفِئِينَ .

وقولهم: "خامري أم عامر" معناه أستري؛ وأم عامر: الضبيع، يشبه بها الأحق، ومثله: خامري حضاير، أذاك ما تحاذر: وهو أسم للذكر والأنثى من الضباع.

وقولهم: "خلا لك الجوف فيضي وأصفرى" قاله طرفة بن العبد، وكان في سفر مع عمه فنصب نخا للقنابر وبثر حبا فلم يصد شيئا، فلما تجملوا رأى القنابر يلقطن الحب الذي ثره لمن، فقال في ذلك

يا لك من قسبةٍ بمعمٍ! * خلا لك الجوف فيضي وأصفرى
وتقرى ما شئت أن تقرى * قد رحل الصياد عنك فابشري
ورفع الفخ فما ذا تحذري؟ * لا بد من صيدك يوما فاصبري!
يضرب في الحاجة يتمكن منها صاحبها.

وقولهم: "خلع الدرع بيد الزوج" المثل لرقاش بنت عمرو بن تغلب بن وائل، وكان زوجها كعب بن مالك بن نيم الله بن ثعلبة، فقال لها: أخلعي، فقالت: خلع الدرع بيد الزوج، فقال: أخلعيه لأنظر إليك، فقالت: التجرد لغير النكاح مثله، فذهبت كلبتها مثلين يضريان في وضع الشيء في غير موضعه.

وقولهم
"خل سبيل من وهى سقاؤه * ومن هريق بالقلاة ماؤه"
يضرب لمن كره محبتك وزهد فيك.

وقولهم: "مهر أبي الروقاء ليست تسكر": يضرب للفتى الذي لا فضل له على أحد.

حرف الدال

قولهم : " حَمِثْ لِحَنِّكَ قَبْلَ النَّوْمِ مُضْطَجِعًا " أى آسَعِدْ للنواب قبل حلولها ، والتدْمِثْ : التلّين .

وقولهم : " دَجَّ أَمْرًا وَمَا آخْتَارَ " : يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَقْبَلُ النِّصْحَ ؛
قال الشاعر

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدِرْ مَا أَمَكَّتْهُ * وَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَمْرِهِ أَزِينُهُ !
وَأَعْجَبَهُ الْعُجْبُ فَاغْتَادَهُ * وَتَاهَ بِهِ الْيَتِيُّ فَاسْتَحْسَنَهُ ،
فَدَعَتْهُ فَقَدْ سَاءَ تَدْبِيرُهُ * سَيُضْحَكُ يَوْمًا وَيَسْكُ سَنَهُ !

حرف الذال

قولهم : " ذَكَرَنِي فُوكَ حِمَارِي أَهْلِي " أصله أن رجلاً خرج يطلب حمارين ضلّاه ، فرأى امرأة فأعجبته ففسى الحمارين ، فلما أسفرت عن وجهها رآها فوهاء فقال : ذَكَرَنِي فُوكَ حِمَارِي أَهْلِي ، وقال

لَيْتَ الثَّقَابَ عَلَى النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ * كَيْ لَا تَفْشُرَ قَيْعَةً إِنْسَانًا

وقولهم : " ذَهَبُوا أَيْلَى سَبَا " ويقال : تَفَرَّقُوا ، أى تَفَرَّقُوا تَفَرُّقًا لَا أَجْتِمَاعَ مَعَهُ .

وقصة سبأ لما تَفَرَّقُوا بِسَبَبِ سَيْلِ الْعَرَمِ مشهورة ، وسند كرها إن شاء الله تعالى في التاريخ .

وقولهم : " ذهبوا شَغَرَبَغَرٍّ ، وَشَذَرَر مَذَرٍّ ، وَخِدَع مِدَعٌ " أى فى كل وجه .

وقولهم : " ذَلْ بعد شِمَاسِه الِيعْفُورُ " : يضرب لمن آتقاد بعد جماعه ؛ واليعفور : فرس .

وقولهم : " ذَهَبَتْ طُولا ، وَعَلِمَتْ معقولا " : يضرب للطويل بلا طائل .

حرف الراء

قولهم : " رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَأَنْسَلَتْ " أصل هذا المثل : أن سعد بن زيد مناة تزوج رُهم أبنه الخزرج ، وكانت من أجل النساء ، وكان ضرائرها إذا سَابَّتْهَا يَقْلُن لها : يا عفلاء ، قالت لها أنها : إذا سَابَّتْكِ فابْدِئِي بِذَلِكَ ، ففعلت رُهم ذلك مع ضرتها ، فقالت : رمته بدائها وأنسلت ، فنهبت مثلا : يضرب لمن يُعَيِّرُ الآخر بما هو يُعَيَّرُ به .

وقولهم : " رَمَاهُ بِثَلَاثَةِ الْأَثَافِي " وهى قطعة من الجبل يوضع إلى جنبها حَجَرَانِ وَيُنْصَبُ عَلَيْهَا الْقَدَرُ : يضرب لمن رُمِيَ بداهية عظيمة .

وقولهم : " رَبُّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ " الصَّلَفُ : قلة الخير ، والراعدة : السحابة ذات الرعد : يضرب للبخيل مع السعة .

وقولهم : " رَجَعَ بِحُفْنِي حُنَيْنٌ " أصله أن حُنَيْنًا كان إسكافا بالحيرة وساموه أعرابيَّ بَحْفَيْنٍ فَأَخْتَلَفَا حَتَّى أَغْضَبَهُ ، فَلَمَّا أَرْتَمَلَ الْأَعْرَابِيَّ أَخَذَ حُنَيْنُ الْخَفَيْنِ فَالَقَى أَحَدَهُمَا عَلَى طَرِيقِ الْأَعْرَابِيَّ ، ثُمَّ أَلْقَى الْآخَرَ بِمَوْضِعٍ آخَرَ عَلَى طَرِيقِهِ ، فَلَمَّا مَرَّتِ الْأَعْرَابِيَّ بِأَخْلَفِ الْأَوَّلِ قَالَ : مَا أَشْبَهَ هَذَا بِحُفْنِ حُنَيْنٍ وَلَوْ كَانَا خَفَيْنِ لِأَخَذْتُهُمَا ،

ثم مرة بالآخر فندم على ترك الأول فأتاه راحلته وأنصرف إلى الأول وقد كُنَّ له حين ، فأخذ الراحلة وذهب بها وأقبل الأعرابي إلى أهله ليس معه غير خفي حين ، فنهبت مثلا : يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالطينية .

- وقولهم : "رُبَّ سائح لقاعد ، وآكلٍ غير حامد" أول من قاله النابغة الذبياني ، وكان سبب ذلك أن وفداً وفد إلى النعمان وفيهم رجل من بني عَنَس يقال له : شقيق ، فأت عنده ، فلما حبا النعمان الوفود بحث بعبائه إلى أهله ، فقال النابغة في ذلك

أتى أهله منه حياءً ونعمة * ورُبَّ أمرئٍ يسعى لآخر قاعد

- وقولهم : "رُبَّ ملوم لا ذنبَ له" قاله أكنم بن صيفي ، معناه قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه وهم لا يعرفون عذره ، وقيل : إن رجلاً قال للأحنف ١٠ ابن قيس : أنا أبغض التمر والزبد ، فقال : ربَّ ملوم لا ذنب له .

- وقولهم : "رُبَّ كلمة تقول لصاحبها دعني" : يضرب في النهي عن الإكثار مخافة الإيجار ، ذكروا أن ملكاً من ملوك حِمْيَر خرج إلى الصيد ومعه نديم له فوقفا على حفرة ملاء ، فقال النديم : لو أن إنساناً ذُبِحَ على هذه الصخرة إلى أين كان يبلغ دمه ، فأمر بذبحه ، وقال : ربَّ كلمة تقول لصاحبها دعني . ١٥

ومثله قولهم : "رُبَّ رأسٍ حصيدٍ لسان" : يضرب للأمر بالسكوت .

وقولهم : "رُدَّ الحجر من حيث جاءك" : أي لا تقبل الضيم وأردم من رماك .

حرف الزاى

وقولهم : "زَيْنٌ فِي عَيْنٍ وَالِدٌ وَلَدُهُ" : يضرب في عجب الرجل برهطه .

وقولهم : "زَاحِمٌ بَعُودٌ أَوْدَعُ" اى لا تستعن إلا بأهل السن والتجربة .

وقولهم : "زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ ، خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ" ، قالت بعض نساء العرب ، قالوا :

• كان ذوالإصبع العدواني غيورا ، وله بنات أربع ، وكان لا يزوجهنَّ غيرَ عليهنَّ ، فاستمع

عليهنَّ يوما وقد خلونَّ يتعذبنَّ ، فقالت إحداهنَّ : لتقل كلُّ واحدة منا في نفسها ،

ولنصدقنَّ جميعا ، فاشتبهت كلُّ واحدة من الثلاثة زوجا وصفت من جماله وكِماله وسعة

حاله ، ثم أبت الصغرى أن تتكلم ، فقالوا : لابد أن تقولى ، وألحوا عليها ، فقالت :



زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ ، خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ ، فزوجهنَّ .

وقولهم : "زُرْغَبًا تَزْدَدُ حُبًّا" قاله معاذ بن صرم الخزاعى ، وكانت أمه من عكَّ ،

١٠

وكان يكثر من زيارة أخواله ، فأقام فيهم زمانا ، ثم خرج يتصيد مع بنى أخواله ، فحمل

على غير ، فلاحقه أبن خال له يقال له : الفضبان فضاحما ، فقال له الفضبان : والله !

لو كان فيك خير لم تركت قومك ، فقال : زُرْغَبًا ، تزدَدُ حُبًّا ، فأرسلها مشلا ،

وفى ذلك يقول الشاعر

إذا شئت أن تُحَلَّى فزُرْ متواليًا * وإن شئت أن تزدادَ حُبًا فزِرْغَبًا

١٥

وقال آخر

عليك بإغباب الزيارة إنها * إذا كثرت كانت إلى المعجزة مسلكا

ألم تر أن القطرَ يسأم دائما * ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

حرف السين

قولهم : "سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ" قاله ضَبَّةُ بْنُ أَدْلَمَ لأمه الناس على قتل قاتل
أبنته في الحرم، ويقال : إنه نَحْرَمُ بْنُ نَوْفَلِ الْهَمْدَانِي .

وقولهم : "سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ" أصله أن رجلاً خرج يلتمس الْعِشَاءَ ،
فوقع على ذئب فأكله ، وقال ابن الأعرابي : أصله أن رجلاً من بني غَنِيٍّ يقال له : سِرْحَانُ
ابن هزلة كان بطلاً فاتكاً فقال رجل ! والله لأرعين إيلي هذا الوادي ، فورد بإبله ،
فوجد سِرْحَانَ قَتَلَهُ ، وأخذ إبله وقال

أبلغ نصيحة : أن راعي أهلها * سقط العشاء به على سِرْحَانٍ

سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ * طَلَعَ الْيَدَيْنِ مُعَاوِدٍ لِعِطْمَانٍ

يضرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلف .

ومثله قولهم : "سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ" وهو الأسد .

وقولهم : "سَكَتَ الْفَأْ ، وَنَطَقَ خَلْفًا" الخلف : الردى من القول

وغيره .

وقولهم : "سَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً" أول من قاله سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أَخُو بَنِي
عَامِرٍ ، وكان قد خرج بأبنته أَنَسَ ، فوقف بمزورة مكة ، فأقبل الأخنس بن شريق
التفنى فقال له : من هذا؟ فقال : أبني ! فقال : حياك الله يافقي [أين أمك ؟]
فقال : لا والله ما أمي في البيت ، ولكنها أطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقاً ،
فقال أبوه : ساء سمعاً فأساء جابيةً ، فأرسلها مثلاً .

وقولهم : "سحابُ نَوْءٍ مَأْوُهُ حَمِيمٌ" : يضرب لمن له لسان لطيف وليس وراءه خير .

وقولهم : "سوء الأسمساك خير من حُسْنِ الصِّرْعَةِ" : معناه حصول البعض مع الاحتياط خيرٌ من الكل مع التهور .

حرف الشين

قولهم : "شُئِبٌ فِي الْإِنَاءِ وَشُئِبٌ فِي الْأَرْضِ" : يضرب لمن يتكلم فيصيب مرة ويخطئ أخرى .

وقولهم : "شَرِيقٌ بِالرِّيقِ" أى ضربه أقرب الأشياء إلى نفعه .

وقولهم : "شِنْشَنَةٌ أَعْرَفَهَا مِنْ أَنْزَمَ" قاله أبو أنزم الطائى : وكان له ١٠
أبن يقال له : أنزم ، فأت وترك بنين ، فوثبوا على جئهم يوما فآدموه ، وكان أبوهم عاقاً له فقال

إِنَّ نَبِيَّ ضَرَجُونِي بِالْدِّمِ * شِنْشَنَةٌ أَعْرَفَهَا مِنْ أَنْزَمِ

والشِنْشَنَةُ : الطليعة والمادة : يضرب في قرب الشبه .

وقولهم : "شَمَرٌ ذَبِيلًا ، وَأَدْرَعٌ لَيْلًا" : يضرب على الحث في الجِدِّ والطلب .

وقولهم : "شَنْوَةٌ بَيْنَ يَتَامَى رُضِعَ" الشنوعة : ما يستقذر من القول والفعل : ١٥
يضرب لقوم اجتمعوا على بغور وفاحشة ليس فيهم مرشد ولا ناه .

وقولهم : "شَيْخٌ بِحَوْرَانٍ لَهُ أَلْقَابٌ" وبعبده * الذنب والمعقق والغراب *

حَوْرَانٌ بَارِضُ الشَّامِ : يضرب لمن يُظهر للناس العفاف ، ومن حقّه أن يُحْتَرَزَ منه .

وقولهم : " شَغَلَ الْحَلْيُ أَهْلَهُ أَنْ يُعَارَا " : يضرب للسؤل شيئاً هو إليه
أحوج من السائل .
وقولهم : " شَبَّ عَمْرُو عَنْ الطَّلُوقِ " قاله جَذِيمَةُ الأبرش ، وعمرو هذا هو
أبن أخته وهو عمرو بن عدي بن نصر .

حرف الصاد

قولهم : " صَبْرًا عَلَى مَجَامِرِ الْكَرَامِ " قال ذلك يَسَارُ الكواعب ، وكان عبدا
أسودَ يَرعى لأهله إبلا ضخمة ، وكان معه عبد يراعيه ، فزأهله يوما سائرين بحذاء
الإبل التي يرعاها ، فَمَدَّ إلى لُحُوحِ غلبها في علبة ، حتَّى ملأها ثم مشى بها ، وكان أبْفَحَ
الرَّجْلَيْنِ ، حتَّى أتى بها أبنه مولاة يسقيها ، وهي راكبة على جملها ، فنظرت إلى رجله
فتبسمت ، ثم شربت اللبن وجرته خيرا ، فانطلق فِرْحَانِ حتَّى أتى صاحبه ، فقَصَّ عليه
القصة ، فقال : أحضر بنفسك ولا تسخر بنات الأحرار ، فقال : والله لقد دَحِكْتُ
إلى دِحْكَةٍ لَا أُخَيِّبُهَا ، يريد : ضحكك ، وكان أعجمي اللسان ، ثم بانا فقام فغاب في علبة
فلأها ، ثم أتى أبنه مولاة ، فنبهها من نومها فاستيقظت وشربت ، ثم أضطجعت
وجلس يسار حياها ، فقالت : ما حاجتك ؟ فقال : ما أعلمك بمحاجتي ! فقالت :
لا والله ! فما هي ؟ قال : ذلك الرجل الذي دحكيت إلى . فقالت : حياك الله ،
وقامت إلى سَفِيطِ لها فانترجت منه بَحُورًا ودُهْنًا طيبًا ، وعمدت إلى موسى كانت
تحف به الشعر ، وأخذت نَجْمَةً فيها نار ، فوضعت عليها البخور ووضعتها تحته ،
وطاطات كأنها تصلح البخور ، فعمدت إلى مذاكيره فمسحتها بالموسى ، فلما أحس
بحرارة الحديد . قال : صَبْرًا عَلَى مَجَامِرِ الْكَرَامِ ، ثم أومات إلى أنها تدمنه وقالت :

إن هذا دهن طيب، إلا أن فيه حرارة فتصبر عليه، فإن ريحك ريح الإبل وأنا أعافك، ثم أشتته الدهن على موسى، ورفعته فوضعه بين عينيه فاستلكت بها أنه . وقالت : قم إلى إيلك يابن الخبيثة، فأتى صاحبه، فلما رآه . قال : أمقبل أنت أم مدبر ؟ قال : أنزلك الله، أو قد عمى بصرك ؟

إذ لا ترى أنها ولا أذنين * أما ترى وباصة العينين

هذا أحد الأقوال في هذا المثل : يضرب لمن يؤمر بالصبر على ما يكره . ويقال : إن أعرايا قدم الحضر بلبل ، فباعها بمال كثير وأقام لحوائج له ، ففطن قوم من جبرته لما معه من المال، فعرضوا عليه تزويج جارية وصفوها بالجمال والحسب طمعا في ماله، فرغب فيها فزوجوه لها، ثم اتخذوا طعاما وجمعوا الحى، وجلس الأعرابي في صدر المجلس، فأكلوا الطعام وأداروا الكؤوس وشرب الأعرابي، ثم أتوه بكسوة فائرة، فلبسها وقدموا له شجرة فمأ بخور لاعهد له به، وكان لا يلبس السراويل، فلما جلس على المجرة، سقطت مذا كبره في النار، فظن أن ذلك سنة لا بد منها، وأستحيا أن يكشف ثوبه . فقال : صبرا على مجامر الكرام، فذهبت مثلا وأحترقت مذا كبره، وتفرق القوم، وأرتحل إلى البادية وترك المرأة والمال، فلما وصل إلى قومه وقص عليهم القصة . قالوا : آست لم تعود المجر، فذهبت مثلا : يضرب لمن لا قديم له .

وقولهم : "صار الزج قدام السنان" : يضرب في سبق المتأخر المتقدم من غير استحقاق لذلك .

وقولهم : "صريح المحض عن الزبد" : يضرب للأمر إذا أنكشف وتبين .

وقولهم : "صَفَقَهُ" لم يشهدا حاطب" هو حاطب بن أبي بلتعة كان حازما ، فباع بعض أهله ببيعة غُين فيها حين لم يشهدا حاطب ، فسارت مثلا لكل أمر ينبرم دون صاحبه .

حرف الضاد

- قولهم : "ضَرَبَهُ ضَرْبَ غَرَابِ الْإِبِلِ" وذلك أن الغريبة تزدحم على الحياض عند الورود ، وصاحب الخوض يطردها ويضربها بسبب إبله : يضرب في دفع الظالم عن ظلمه بأشد ما يمكن .

وقولهم : "ضَلَّ الدَّرِيصُ نَفَقَهُ" الدَّرِيص : ولد الفأرة واليربوع والحزوة وأشباه ذلك ، ونفقته : بجمره : يضرب لمن يُعنى بأمره ويُعدُّ حُجَّةً لخصمه ، فَيَسْتَسِي عند الحاجة .

وقولهم : "ضَلَّ حِلْمُ أَمْرَأَةٍ فَأَيْنَ عَيْنَاهَا ؟" أى هَبْ أن عقلها ذهب فأين ذهب بصرها ؟ : يضرب في استبعاد عقل الحليم .

وقولهم : "ضَائِفُ اللَّيْثِ قَتِيلُ الْمَحَلِّ" : يضرب لمن أضطُرَّ لشيء فغزَر بنفسه في طلبه .

حرف الطاء

وقولهم : "طَوَيْتُهُ عَلَى بِلَالِهِ وَعَلَى بُلَلَّتِهِ" قال الشاعر
وصاحب مُرَامِقٍ دَاجِيَتُهُ * عَلَى بِلَالٍ نَفْسُهُ طَوَيْتُهُ
ويقال : طويت السقاء على بُلَلَّتِهِ إذا طويته وهو تدلُّ لانه إن طوى يابساً تَكَثَّرَ ، وإن طوى ندياً غَفِنَ : يضرب للرجل يحمل عل ما فيه من العيب ، قال الشاعر

ولقد طويْتُكُمْ على بُلَلَايِكُمْ • وَعَلِمْتُ مَا فِيكُمْ مِنَ الْأَذْرَابِ

فَإِذَا الْقِرَابَةُ لَا تُقَرَّبُ قَاطِعًا • وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ

والأذراب : جمع ذَرِب وهو الفساد .

وقولهم : " طَوَيْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ " : غَرَّ التَّوْبِ : أَتْرَكَسَهُ الْأَوَّلُ : يَضْرِبُ لِمَنْ

يُوكَلُّ إِلَى رَأْيِهِ وَمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ .

حرف الظاء

قولهم : " ظَالِمٌ يَعُودُ كَسِيرًا " : يَضْرِبُ لِلضَّعِيفِ يَنْصُرُ مِنْهُ هُوَ أضعف منه .

وقولهم : " ظَنِرُ رَعُومٍ ، خَيْرٌ مِنْ أُمِّ سَوْومٍ " : الظنر : الحاضنة ، والرعوم :

المطوف ، والسؤوم : الملول : يَضْرِبُ فِي عَدَمِ الشَّفَقَةِ وَقِلَّةِ الْإِهْتِمَامِ .

وقولهم : " ظَاهِرُ الْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ بَاطِنِ الْحَقْدِ " معناه ظاهر .

وقولهم : " ظِلَالٌ صَبِيفٌ مَا لَهَا قِطَارٌ " : يَضْرِبُ لِمَنْ لَهُ ثَرْوَةٌ وَلَا يُجِدَى

عَلَى أَحَدٍ .

حرف العين

قولهم : " عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى " أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ

لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ بِالْحِمَاةِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَنَالَتهُ مَشَقَّةٌ

بِسَبَبِ الْعَطَشِ ، فَاسْرَى حَتَّى أَدْرَكَ الْمَاءَ فَقَالَ : عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى :

يَضْرِبُ لِمَنْ يَحْمِلُ الْمَشَقَّةَ رَجَاءَ الرَّاحَةِ .

وقولهم : " عِنْدَ جُھَيْنَةِ الْخَبَرِ الْيَقِينُ " : يَضْرِبُ فِي مَعْرِفَةِ الشَّيْءِ حَقِيقَةً .

وقولهم : "عَيْرُ عَارِهِ وَتَدُهُ" أى أهلكه؛ وأصله أت رجلاً أشفق على حماره فربطه إلى وتد، فهجم عليه السبع فلم يتمكن الفرار فأهلكه .

وقولهم : "عند النطاح يُقَلَّبُ الكبشُ الأَجَمُّ" وهو الذى لا قرن له : يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له .

• وقولهم : "على أهلها تَجْنِي بَرَأَقِشُ" قالوا : كانت بَرَأَقِشُ كلبَةً لقوم من العرب ، فأغیر عليهم فهربوا وهى معهم ، فنبحت فاتبع القوم آثارهم بُبَاحِها ، فأدركوهم فقتلوهم ، فقبها يقول حمزة بن بَيْض بل جئناها أَخْ على كَرِيمٍ * وعلى أهلها بَرَأَقِشُ تَجْنِي وقيل فى هذا المثل غير ذلك .

١٠ • وقولهم : "عَسَى الْغَوِيرُ أَبْوَسًا" الْغَوِيرُ : تصغير غَارٍ ، وَالْأَبْوَسُ : جمع بؤس وهو الشدة ، قالته الزُّبَاءُ عند رجوع قَصِيرٍ من العراق ، ومعه الرجال ، وكان الغوير على طريقه ، ومعناه لعل الشرَّ يأتىكم من قبل الغار : يضرب للرجل يقال له : لعل الشرَّ جاء من قبلك .

• وقولهم : "عُشْبٌ وَلَا بَعِيرٌ" : يضرب للرجل له مال كثير ولا ينفقه على نفسه ولا على غيره .

١٥

• وقولهم : "عَادَ غَيْثٌ عَلَى مَا أَفْسَدَ" : يضرب للرجل فيه فساد ، وصلاحه أكثر .

• وقولهم : "عاد السهمُ إلى النَّزْعَةِ" أى رجع الحق إلى أهله .

وقولهم : "عصا الجبان أطول" لأنه يفعل ذلك من فشله ، يرى أن طولها أشدّ تهيباً لعدوه من قصرها .

وقولهم : "على الخبير سقطت" المثل لما لك بن جبير العامريّ، وتمثل به الفرزدق حين لقي الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، عند مقدمه من العراق ونزوح الحسين إليه وقد قال له : ما وراءك ؟ فقال : على الخبير سقطت ؛ قلوبُ الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية ، والنصر من السماء .

وقولهم : "عادة السوء شرٌّ من المَغْرَم" معناه أن المَغْرَم إذا أدّيته فارتك ، وعادة السوء لا تفارق صاحبها .

وقولهم : "بَجَعَ لِمَا عَصَاهُ الظَّعَّانُ" أى صاح ، والظعان : نِسْعٌ يُنْذَرُ بِهِ الْمُؤَدِّجُ : يُضْرَبُ لِمَنْ يَبْضِجُ إِذَا لَزِمَهُ الْحَقُّ . ١٠

وقولهم : "عند الرّهان تُعرف السّوابق" : يُضْرَبُ لِمَنْ يَدْعَى مَا لَيْسَ فِيهِ .

وقولهم : "عاد الأمر إلى نصابه" : يُضْرَبُ فِي الْأَمْرِ يَتَوَلَّاهُ أَرِيَابَهُ .

وقولهم : "عَيْنُكَ عَبْرَى وَالْفَوَادُ فِي دَدٍ" الدُّوُّ وَالْدَدَنُ وَالْدَدَا : اللَّمْبُ وَاللَّهُوُ : يُضْرَبُ لِمَنْ يُظْهِرُ حُرّاً لِحَزَنِكَ وَفِي قَلْبِهِ خِلَافٌ ذَلِكَ . ١٥

وقولهم : "عُرْفُ قُطْعَةٍ تُسْقَى مِنَ الْغَوَادِقِ" ويروى : الغوايق ؛ العُرْفُ قُطْعَةُ : شَجَرَةٌ خَشَنَةُ الْمَسِّ ، وَالْغَوَادِقُ : السَّحَابُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ : يُضْرَبُ لِلشَّرِيرِ يُكْرَمُ وَيُجْهَلُ .

حرف الغين

- قولهم: "عُدَّةُ كُفَّةِ البعير ومَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُوْلِيَّةٍ" قاله عامر بن الطفيل ؛ وذلك أنه لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ! وقدم معه أُرَيْدُ بن قَيْسٍ اخو أَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ العامريّ الشاعر لأُمِّهِ ، فقال رجل : يا رسول الله ، هذا عامر بن الطفيل قد أقبل ، قال : "دعْهُ ، فإن يُردَّ الله به خيراً يَهْدِهِ" فأقبل حتى قام عليه ، فقال : يا هُجْد ، مالى إن أسأمتُ ؟ قال : " لك ما للسامين وعليك ما عليهم " قال : تجعل لى الأمر بعدك ، قال : " ليس ذاك لى ، إنما ذاك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء " قال : فتجعلنى على الوبر وأنت على المدر ، قال : " لا " قال : فما ذا تجعل لى ؟ قال : " أجعل لك أَعْنَةً لخليل تفزرو عليها " ، قال : أو ليس ذلك إلى اليوم ؟ وكان قد أوصى لى أُرَيْدُ بن قَيْسٍ : " إنا رأيتى أَكَلَهُ فُدْرٌ من خلفه فأضربه بالسيف " فاختلط أُرَيْدُ سيفه شبراً فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سَلِّهِ ، فألقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أُرَيْدُ وما يصنع بسيفه ، فقال : " اللهم أكفنيهما بما شئت " فأرسل الله تعالى على أُرَيْدُ صاعقةً فى يوم صائِفٍ صابح فأحرقته ، وولى عامر بن الطفيل هارباً وقال : يا هُجْد ، دعوتَ ربك فقتل أُرَيْدُ ، والله لأملائها عليك خيلاً بُرْداً وفتياناً مُرداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بمنك الله من ذلك " فسار عامر حتى نزل بيت امرأَةِ سُلُوْلِيَّةٍ ، فخرجت على ركبته عُدَّةٌ عظيمة ، فقال : عُدَّةُ كُفَّةِ البعير ومَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُوْلِيَّةٍ ، ثم مات على ظهر فرسه ؛ وسَلُولُ أَقْلُ العرب وأذلّم ، فسار كلامه مثلاً : يُضْرَبُ فى خَصَلَتَيْنِ إحداها شَرٌّ من الأخرى .

وقولهم : " غَرَّنِي بُرْدَاكَ مِنْ خَدَّافِلِي " ويروى : من غدافلى ؛ أصل المثل

أن رجلاً استعار بُرْدِي امرأة فليسهما، ورَمَى بِمُحْلَقَانِ كانت عليه، فاسترجعت المرأة بُرْدِيها فقال: يُضْرَبُ مَنْ ضَيَّعَ ماله طمعاً في مال غيره .

حرف الفاء

وقولم : " في وَجْهِ المَالِ تَعْرِفُ أَمْرَهُ " أى نماءه وخيره، ويقال : أَمِرَتْ أموالُ بنى فلان إذا تَمَّتْ وكَثُرَتْ : يُضْرَبُ مَنْ يُسْتَدَلُّ بِمَسْنِ ظاهره على حسن باطنه .

وقولم : " في بَيْتِهِ يُؤْتَى الحَكَمَ " زعمت العرب أن الأرب أَلْتَقَطَتْ ثمرة فاختلسا الثعلب فأكلها ، فأطلقا يختصمان إلى الضب ، فقالت الأرب : يا أبا الحنسل ، قال : سميماً دعوت ، قالت : أتيناك لنتنصم إليك ، قال : عادلا حكمتما ، قالت : فأخرج إلينا ، قال : في بَيْتِهِ يُؤْتَى الحَكَمَ ، قالت : إني وجدتُ ثمرة ، قال : حُلوة فأكليها ، قالت : فاختلدها الثعلب ، قال : لنفسه بنى الخسير ، قالت : لطمته ، قال : بمحَقِّكَ أَخَذْتَ ، قالت : لطمَني ، قال : حرُّ أَنْتَصِر ، قالت : فاقض بيننا ، قال : حَدَّثَ حَدِيثَيْنِ امرأة ، فإن أَبَتْ فاربسة ، فذهبت أقواله كلها أمثالا .

وقولم : " فَنَى وَلَا كَيْلِكَ " قاله مُثَمَّمُ بْنُ نُؤَيْرَةَ في أخيه مالِكٍ لما قُتِلَ .
وقولم : " في دُونِ هذا ما تُنْكِرُ المرأةُ صاحبها " أول من قاله جارية من مُزَيْنَةَ ، قال الحَكَمُ بْنُ مَحْمُودٍ الثَّقَفِيُّ : خرجتُ منفرداً فرأيتُ بِأَمْرَةَ (وإمرة موضع) ، جارييتين أخين لم أَرُ بجلهما ، فكسوتُهما وأحسنْتُ إليهما ، قال : ثم حجبتُ من قابلٍ ومعى أهلي ، وقد اعتللتُ ونصل خضابى ، فلما صرْتُ بِأَمْرَةَ ، إذا إحداهما قد جاءت ، فسألت

سؤال مُنيكة، قال قتل : فلانة ؟ قالت : فدى لك أبى وأمى، أئى تعرفنى وأنكرك ؟ قال قتل : أنا الحَكَم بن حَصْر، قالت : رأيته عام أول شاباً سَوْقَةً، وأراك العام شيخاً مَلِكًا، وفى دُون هذا ما تُتَكِرُ المرأةُ صاحبها، فذهبت مثلاً، قال قتل : ما فعلتُ أخذك ؟ قال : فتنفست الصُّعداء، وقالت : تزوجها ابن عم لها وذهب بها، فذاك حيث تقول

إذا ما قتلنا نحوَ نَجْد وأهلها * لحسى من الدنيا قُفُولٌ إلى نَجْد

قال قتل : أما إني لو أدركتها لترجيتها، قالت : وما يمنعك من شريكها فى حسنها وجمالها وشقيقتها ؟ قال قتل : يمنعنى من ذلك قول كثير حيث يقول
إذا وصلتنا خُلة كى تزيلنا * آيينا وقلنا الحاجية أول

قالت : كثير بنى وبينك، أليس الذى يقول
هل وصل عَزَّة إلا وصل غانية ؟ * فى وصل غانية من وصلها خَلَفُ
قال : فتركت جوابها عيًّا .

وقولهم : " فائكة واثقة برى " زعموا أن امرأة كثر لبنها وطفقت تُهريقه، فقال لها زوجها : لم تهريقينه ؟ فقالت : فائكة واثقة برى : يضرب للفسد الذى وراء ظهره ميسرة .

حرف القاف

قولهم : " قطعت جَهِيْزَةً قولَ كلِّ خطيب " أصله أن قومًا اجتمعوا يخطبون فى صلح بين حيين، قتل أحدهما من الآخر قتيلًا ليرضوا بالدية، فبيناهم فى ذلك، إذ جاءت أمة يقال لها : جَهِيْزَة، فقالت : إن القتلى قد طُفِرَ به بعض

أولياء المقتول قتله ، فقالوا : قطعت جبهة قول كل خطيب : يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه يجهله .

وقولهم : ” قَبْلَ الْبُكَاءِ كَانَ وَجْهَكَ عَابِسًا “ : يضرب للبخیل یعتَلّ بالإعدام .
ومثله : ” قَبْلَ الْنَفَاسِ كُنْتَ مُصَفَّرَةً “ .

وقولهم : ” قَلْبَ الْأَمْرِ ظَهَرًا لِبَطْنِ “ : يضرب في حسن التدبير .

وقولهم : ” قَدْ شَمَرْتُ عَنْ سَاقِهَا فَشَمَرَى “ : يضرب في الحث على الجذ في الأمر .

وقولهم : ” قَدْ يَضْرِبُ الْعَيْرَ وَالْمَكْوَاةَ فِي النَّارِ “ قاله عُرْفُطَةُ بْنُ عَرَبَجَةَ سَيِّدُ بَنِي هِزَانَ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَصَيْنِ بْنِ نَبِيْتِ الْعُكْلِيِّ حُرُوبٌ وَوَقَائِعٌ ، فَقَتَلَتْ عُكْلُ رَجُلًا مِنْ بَنِي هِزَانَ ، وَأَسْرَ عُرْفُطَةُ بْنُ عُكْلٍ رَجُلَيْنِ ، قَالَ لَهَا : أَيُّكُمْ أَفْضَلُ لِأَقْتَلَهُ بِصَاحِبِنَا ؟ فَعَمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُخْبِرُ أَنْ صَاحِبَهُ أَكْرَمُ مِنْهُ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا جَمِيعًا ، فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا لِلْقَتْلِ ، فَعَمِلَ الْآخَرُ يَضْرِبُ ، فَقَالَ عُرْفُطَةُ : قَدْ يَضْرِبُ الْعَيْرَ وَالْمَكْوَاةَ فِي النَّارِ ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا : يَضْرِبُ لِلرَّجُلِ يَخُوفٌ بِالْأَمْرِ فَيَجْزَعُ قَبْلَ وَقُوعِهِ . وَهَذَا أَحَدُ الْأَقْوَالِ فِيهِ ؛ وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ .

وقولهم : ” قَدْ بَيَّنَّ الصَّبْحُ لَنَدَى عَيْنَيْنِ “ : يضرب في ظهور الأمر كل الظهور .

وقولهم : ” قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مِنْ رَامَاهَا “ الْقَارَةُ : قَبِيلَةٌ قَدْ تَنَسَّمَتْ ذِكْرَهَا فِي الْأَنْسَابِ .

وقولهم : ” قَبْلَ الرِّمَاءِ تُمَلَأُ الْكَثَائِنُ “ أَيْ تَأْخُذُ أَهْبَةُ الْأَمْرِ قَبْلَ وَقُوعِهِ .

ومثله . "قبل الرمي يراش السهم" : يضرب في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها .
وقولهم : "قَلَبَ لَهُ ظَهْرَ الْحِجْنِ" : يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ، ثم حال
عن عهده .

وقولهم : "قد ألقى عصاه" إذا استقتر من سفر أو غيره ، يقال : إنه لما يبيع
لأبي العباس السفاح ، قام خطيبا فسقط القضيبي من يده ، قام رجل من القوم وأنشد
فأثقت عصاها وأستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر
وقولهم : "قد وثى طرفاه" : يضرب لمن ذلَّ وضعف عن أن يتم له أمر ،
قال النجاشي

وإن فلانا والإمارة كالذي * وثى طرفاه بعد ما كان أجدعا

وقولهم : "قُذِّتْ سيورهم من أديمك" : يضرب للشئيين يستويان في الشبه
قال الشاعر

* وقُذِّتْ من أديمهم سيورى *

وقولهم : "قد بلغ الشظاظ الوركين" الشظاظ : عويد يُعمل في عروة
الجواقي : يضرب فيما جاوز الحد ، وهو كقولهم : جاوز الحزام العليين .

١٥ حرف الكاف

قولهم : "كان كُراعا ، فصار ذراعا" : يضرب للذليل الضعيف صار عزيزا
قويا .

وقولهم : "كلام كالعسل ، وفعل كالأسل" : يضرب في اختلاف القول
والفعل .

وقولهم : "كنت تتركى من الامر العافى فقد لاقيت اخذودا" : يضرب لمن يشكو القليل من الشر ثم يقع في الكثير .

وقولهم : "كل ذات بعلي ستقيم" هذا من امثال اكثم بن صيفي ؛ قال الشاعر

أفأطم اى هالك فتنبى * ولا تجزى كل النساء تميم
اى ستفارق زوجها .

وقولهم : "كل أزب نفور" قاله زهير بن جديعة لأخيه أسيد ، ونذكر الخبر في وقائع العرب .

وقولهم : "كل فتاة بأبيها معجبة" : يضرب في عجب الرجل بعشيرته ورهطه .

وقولهم : "كل الصيد في جوف الفراء" الفراء : الحمار الوحشى ؛ أصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين ، فأصطاد أحدهم أرنباً ، والآخرفلياً ، والثالث حمارة ، فتناولوا عليه بصيدهما ، فقال : كل الصيد في جوف الفراء : يضرب لمن يفضل على أقرانه ، وقد تمثل به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولهم : "ككدمت غير مككدم" : يضرب لمن يطلب شيئاً في غير مطلبه .

وقولهم : "كالثور يضرب لما عافت البقر" : يضرب في عقوبة البرىء بذنب المجرم ، ويأتى ذكر ذلك في أوابد العرب .

وقولهم : "كالكبش يحمل شفرة وزنادا" : يضرب لمن يتعرض للهلاك .

وقولهم : "كالمتغيث من الرمضاء بالنار" : يضرب في الخلتين يمتنعان على الرجل .

- وقولهم : " كالفابس العجلان " : يضرب لمن عجل في طلب حاجته .
- وقولهم : " كلاهما وتمرا " أول من قاله عمرو بن حمران الجعدي ، وذلك أنه مرّ برجل وبين يديه زُبد وسنام وتمر ، فقال : أنلتني تمّا بين يديك ، فقال : أيّما أحبّ إليك أزيد أم سنام ؟ فقال : كلاهما وتمرا ، فسارت مثلاً .
- وقولهم : " كالباحث عن المديّة " يقال : إن رجلاً وجد صيداً ، ولم يكن معه ما يذبحه به ، فبحث الصيد بأظلافه في الأرض ، فسقط على شفرة فذبحه بها : يضرب في طلب الشيء يؤذي صاحبه إلى تلف النفس .
- وقولهم : " كذئ العريكوى غيره وهو رافع " : يضرب في أخذ البريء بذنب الجاني ، ويأتي ذكره في أوابد العرب .
- وقولهم : " كالختاض على عَرْضِ السراب " : يضرب لمن يطعم في محال .
- وقولهم : " كلّ لياليه لنا حنادس " : يضرب لمن لا يصل إليك منه إلا ما تركه .

حرف اللام

❦

- قولهم : " لو ذات سوارٍ لطمتني " معناه لو ظلمني من كان كفؤاً لي
- لهان عليّ ، ولكن ظلمني من هو دوني ، وهو كقول بعضهم
- فلو أني بليت بهاشمي * خوؤلته بنو عبد المّدان
- لهان عليّ ما ألقي ولكن * تعالّ فانظري بمن آبتلاني
- وقولهم : " لو غير ذات سوارٍ لطمتني " روى الأصمعي : أن حاتماً الطائي مرّ ببلاد عترة في بعض الأشهر الحرم فناداه أسير لهم : يا أبا سَفانة : أكلني الإسار

والقمل، فقال: ويحك، أسأت إذ توهنت باسمي في غير بلاد قومي، فساوم القوم به ثم قال: أطلقوه وأجملوا يدي في القيد مكانه، ففعلوا ذلك؛ ثم جاءته امرأة يبغير ليفصده فنجره فلطمته فقال: لو غير ذات سرور لطمتي، يعني أني لا أقتص من النساء، ثم عيرف، ففدى نفسه فداءً عظيماً.

وقولهم: "لو ترك القطا ليلاً لنام" قالته امرأة عمرو بن مامة، وقد نزل عليه قوم من مراد، فطرقوه ليلاً، فأثاروا القطا، فرأته امرأته فنبهته فقال: إنما هذا القطا، فقالت: لو ترك القطا ليلاً لنام؛ فسار مثلاً: يضرب لمن تحمل على مكروه من غير إرادته؛ وقيل: إن التي قالته له حذام بنت الريان.

وقولهم: "ليس له جلد النمر": يضرب في إظهار العداوة وكشفها.

وقولهم: "لقد ذل من بالث عليه الثعالب" أصله أن رجلاً من العرب كان يعبد صنماً، فبأه ثعلب فبال عليه، فقال في ذلك:

أرب يبول الثعلبان برأسه؟ * لقد ذل من بالث عليه الثعالب

وقولهم: "ليس هذا بعشك فأدرجي": يضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره.

وقولهم: "لم أجذ لشفرتي محزاً": يضرب عنراً في تعذر الحاجة.

وقولهم: "لو سئلت العارية أين تذهين لقلت أكسب أهلي ذمًا" هذا من كلام أكرم بن صيفي: يضرب في سوء الجزاء للنم.

وقولهم: "ليس من العدل، سرعة العدل" أي لا ينبغي أن تمجّل بالعدل قبل أن تعرف العذر.

- وقولهم : " ليس القدأى كالأخوافي " : يضرب عند التفضيل .
- وقولهم : " لو كويت على دأول لم أكره " أى لو عوبت على ذنب ما أمتعضت .
- وقولهم : " ليس على الشرق طعناً يحجب " أى ليس على الشمس محاب :
- يضرب فى الأمر المشهور الذى لا يخفى على أحد .
- وقولهم : " لا كويت كية المتلوم " أى يكابليفاً والمتلوم : الذى يتبع الداء .
- حتى يعلم مكانه : يضرب فى التهديد الشديد .
- وقولهم : " لأمر ما جَدَع قَصِيرُ أنفه " قالته الزبأ لما رأت قصيراً مجدوعاً وخبره يأتى فى باب المكاييد .

حرف الميم

- وقولهم : " ما تنفع الشَّفْعَةُ فى الوادى الرُّعْبُ " الشَّفْعَةُ : المطرة الهينة ، والرُّعْبُ :
الواسع : يضرب للذى يعطيك قليلاً لا يقع منك موقعا .
- وقولهم : " ما وراعيك يا عصام ؟ " يقال : أول من قال ذلك الحارث بن عمرو
ملك كندة ، وذلك أنه بلغه جمال ابنة عوف بن مُحَمَّم فأرسل إليها امرأة ذات عقل
ولسان ، يقال لها : عصام ، وقال : أذهبي لتعلميني بحالها ، فلما آتته إليها ونظرتها
نرجعت وهى تقول : " تَرَكَ الخلداع ، مَنْ كَشَفَ القناع " فنحبت مثلاً ، ثم عادت
إليه ، فقال لها : ما وراعيك يا عصام ؟ فقالت : " صرَّحَ المحصن عن الزُّيد " فأرسلتها
مثلاً ؛ وساق الميداني على هذا المثل كلاماً طويلاً قالته عصام فى وصف أعضاء
المخطوبة .

وقولهم : " ما يومٌ حلّيمةٌ بسرّ " هي حلّيمة بنت الحارث بن أبي شمر، كان أبوها وجه جرشا إلى المنذر بن ماء السماء فأنجرت لم طيبا في مرّكني فطيتهم ؛ فلما آتته إلى كبيد بن عمرو وذهبت لتخلقه ، قبلها ، فلطمته وأنت أباه ، فقال لها : ويلك أسكتي عنه ، فهو أرجاهم عندي ذكاه فؤاد ، وإني مرسله ، فإن قُتل فقد كفى الله شرّه ، فسار إلى المنذر بالجيش ، فقتلوا المنذر وكان يوما مشهورا ، فقبل فيه : ما يوم حلّيمة بسرّ .

وقولهم : " ما أشبه الليلة بالبارحة " أي ما أشبه بعض القوم ببعض .

وقولهم : " مرّعي ولا كالسعدان " قالوا : السعدان أخثر الشيب لبنا ، ومنابته السهول : يضرب مثلا للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله ؛ وأول من قال المثل : خلساء بنت عمرو بن الشريد ، وقيل : بل قالته امرأة من طيء تزوجها أمرؤ القيس بن مجر الكندي فقال لها : أين أنا من زوجك الأول ؟ فقالت : مرّعي ولا كالسعدان ، أي إنك إن كنت رضا فليست كغفلان .

(١٧)

وقولهم : " ماءٌ ولا كصداء " صداء : ركية عذبة ؛ قال ضرار السعديّ

وإني وتيسمي بزنب كالذي * تطلب من أحواض صداء مشربا

معناه أنه لا يصل إليها إلا بالمزاحمة لقرط حسنها ، كالذي يرد الماء فإنه يزاحم عليه لقرط عنوبته .

١٥

وقولهم : " محاسيف ما قال ابن دارة أجمعا " هو سالم بن دارة النطفاني ، ودارة : أمه ، وكان قد هاجم بعض بني فزارة فأغتاله زميل فقتله ، ففيه يقول الكيت فلا تُكثروا فيه الضجّاج فإنه * محاسيف ما قال ابن دارة أجمعا

وقولهم : "مَلَكْتَ فَأَجِجْ" الإيجاج : حسن العفو، أى ملكت الأمر فأحسن العفو، وقد تمثّل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته، ونذكر الخبر فى ذلك فى المغازى .

وقولهم : "من ينكح الحسنة يعط مهرها" أى من طلب حاجة بذل ماله فيها .

- وقولهم : "من سرّه بنوه ساءتة نفسه" قاله ضرار بن عمرو الضبيّ : وكان ولده ثلاثة عشر رجلا، كلّهم قد غزا ورأس، فرآهم يوما وأولادهم، فعلم أنهم لم يبلغوا هذه الأستان إلا مع كبر سنّه، فقال : من سرّه بنوه ساءتة نفسه، فأرسلها مثلا .
- وقولهم : "من أشبه أباه فما ظلم" معناه ظاهر .

- وقولهم : "من يرّ يوما يرّ به" قاله كلّعب بن شؤب بوب الأسدى، وكان يُغير على طيى وحده، فعدا حارثة بن لأم رجلا من قومه يقال له : عترم، فقال له : أما تستطيع أن تكفينى مؤونة هذا النجيب؟ فقال : بلى، فأرسل عشرة عيون عليه، فاعلموا مكانه فانطلق إليه عترم فوجده نائما فى ظلّ أراكية فتزل ومعه آخر فأخذ كلّ واحد منهما بإحدى يديه فانتبه فترج يده اليمنى من مُسكها وقبض على حلق الآخر فقتله وبادر الباقر فأخذوه وشدّوه وثاقا وأتوا به حارثة، فقال له : يا كلّعب، إن كنت أسيرا فطلما أسرت، فقال : من يرّ يوما يرّ به، فأرسلها مثلا، وقال حوثة وهو ابن المقتول حارثة : أعطنيه أقتله بأبى، فقال : دونكه ! وجعلوا يتكلمون وهو يسالج كلّاه حتى انحلّ، ثم وثب على رجله فأتبعوه بالخيال فأعجزهم .

وقولهم : "من سلّك الجدد أمن العثار" الجدد : الأرض المستوية : يضرب فى طلب العافية .

وقولهم : " مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَذَا أَثَرُهُ ؟ " قاله الحارث بن ظالم ، وذلك أنه لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب بزهير بن جذيمة العبسيّ على ما ذكره إن شاء الله في وقائع العرب وهرب ، فوجه النعمان فوارس في طلبه فأدركوه سمحرا فمطف عليهم وقتل منهم جماعة وكرّوا عليه بفعل لا يقصد الجماعة إلا فرقها وهو يقول : من يشتري سيفي وهذا أثره ، فارتدعوا عنه وأنصرفوا إلى النعمان .

وقولهم : " مِنْ مَالٍ جَعْدٌ وَجَعْدٌ غَيْرُ مُحَمَّدٍ " قاله جعد بن الحُصَيْن أبو مخضر ابن جعد الشاعر ، وكان قد كبر فتفرق عنه بنوه وأهله ، وبقيت له جارية سوداء تحنمه ، فملقت بفتى من الحلى يقال له : عَرَابَةٌ ، فجعلت تنقل إليه ما في بيت جعد ، فمطن جعد لذلك ، فقال في ذلك

أبلغ لديك بنى عمرو مُغْلَقَةً * عمرا وعَوفًا وما قولي بمردودِ ١٠
بأنّ يتيّ أُمسَى فوق داهية * سوداء قد وعدتني شرّ موعودِ
تُعَلِّي عَرَابَةً بالكفّين مُجْتَنَحًا * من الخَلُوقِ وتُعطيني على العودِ
أُمسَى عَرَابَةٌ ذَا مَالٍ يُسَرُّ بِهِ * من مَالٍ جَعْدٍ ، وَجَعْدٌ غَيْرُ مُحَمَّدٍ
يُضْرِبُ للرجل يصاب من ماله ويلتَم .

وقولهم : " من مَأْمَنَهُ يُوَقِّي الحَذِرَ " قاله أكرم بن صيفى . ١٥

وقولهم : " من يَمْشِ يَرْضَى بِمَا رَكِبَ " : يضرب للذى يضطّر إلى ما كان يرغب عنه .

وقولهم : " من يَلْقَى أَبطَالَ الرِّجَالِ يَكَلِّمَ " قاله عُقَيْل بن علقمة المِثْرَى ، وقد رماه عَمَلْسُ ابنه بسهم فغلّ نغذيّه ، فقال أبياتا منها

إِنَّ جِيَّ زَقْلَوِيَّ بِالْدمِ * شَيْشَنَةً أَعْرِفُهَا مِنْ أَنْحَرِ

* مِنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ *

وقولهم : " مَنْ لَا يَذُذُ عَنْ حَوْضِهِ يُهْلِمُ " أى من لم يدفع عن نفسه يُظلم ،
قاله زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ .

• وقولهم : " مَكْرَهُ أَخْوَكُ لَا بَطْلَ " قاله أَبُو حَاشٍ خَالُ تَيْهَسَ : يُضْرَبُ لِمَنْ
يُجَلُّ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ .

وقولهم : " مَنْ نَامَ لَا يَشْعُرُ بِشَجْوِ الْأَرْقِ " : يُضْرَبُ لِمَنْ غَفَلَ عَمَّا يَعَانِيهِ
صَاحِبُهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ .

حرف النون

١٠ قولهم : " نَفْسُ عَصَامٍ سَوْدَتْ عَصَامَا " هو عَصَامُ بْنُ شَهَبَةَ حَاجِبُ النُّعْمَانِ
أَبْنِ الْمُنْدَرِ : يُضْرَبُ فِي نِبَاهَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ قَدِيمٍ ؛ وَقِيلَ فِي هَذَا
نَفْسُ عَصَامٍ سَوْدَتْ عَصَامَا * وَعَلَّمَتْهُ الْكُرَّ وَالْإِقْدَامَا
* وَصَبَّرَتْهُ مِلْكَا هُمَامَا *

وقولهم : " نَظَرَةٌ مِنْ ذِي عَلَقَى " أى مِنْ ذِي هَوًى : يُضْرَبُ لِمَنْ يَنْظُرُ بَوْدَ .

١٥ وقولهم : " نَزَّتْ بِهِ الْبِطْنَةُ " : يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَحْتَمِلُ الثَّعْمَةَ ؛

قال الشاعر

فَلَا تَكُونَنَّ كَالنَّازِي يَبْطِئُهُ * بَيْنَ الْقَرِينَيْنِ حَتَّى ظَلَّ مَقْرُونَا

وقولهم : "نجوت وأرهتكم مالكا" قال عبد الله بن قحطام السلولي
فلما خَشِيتُ أظافيرهم * نجوت وأرهتكم مالكا
يُضْرَبُ لمن ينجو من هَلَكَةٍ تَسَبَّ فيها شركاؤه وأصحابه .
وقولهم : "نام عصام ساعة الرحيل" : يُضْرَبُ لمن طلب الأمر بعد ما ولى .

حرف الهاء

- وقولهم : "هَذَنَةٌ عَلَى دَخْنٍ" .
وقولهم : "هَذَا أَوَانُ شَدَّكُمْ فَشَدُّوا" .
ومثله قولهم : "هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدَى زَيْمٌ" قال الأحمسي : زيم : أَسِمَ
فرس : يُضْرَبُ للرجل يؤمر بالحد .
وقولهم : "هُوَ عَلَى حَبْلٍ ذِرَاعِكَ" أى الأمر فيه إليك : يُضْرَبُ فى قرب
المتناول ؛ وحبل الذراع : عِرْقٌ فى اليد .
وقولهم : "هَانَ عَلَى الْأَمْلَسِ مَا لَاقَى الدَّبِيرَ" : يُضْرَبُ فى سوء اهتمام الرجل
بشأن صاحبه .
وقولهم : "هُوَ بَيْنَ حَاذِفٍ وَقَاذِفٍ" الحاذف بالعصا ، والقاذف بالحصى :
يُضْرَبُ لمن هو بين الشرين .
وقولهم : "هُوَ عَلَى طَرَفِ الثَّمَامِ" الثَّمَامُ : نبت ضعيف سهل المتناول تستد به
خصائص البيوت ، وربما حُشِيتْ به الخفاد ؛ قالوا : إنه ينبت على قدر قامة الإنسان ؛
يُضْرَبُ فى تسهيل الحاجة وقرب التجاح .

وقولهم : "هى ائخر تُكنى الطلاء" : يضرب للأمر ظاهره حسن وباطنه على خلاف ذلك .

حرف الواو

- قولهم : "وافق شُنُّ طبقة" ، قال الشرقى بن القطامى : كان رجل من دهاة العرب وعقلائهم يقال له : شُنُّ ، فآلى أنه يطوف البلاد حتى يجد امرأة مثله فيترجها ، فبينما هو فى بعض مسيره إذ واقفه رجل فى الطريق فسارا جميعا ، فقال له شُنُّ : أئمئلى أم أهلك ؟ فقال : أنا راكب وأنت راكب ، فكيف ئمئلى أو أهلك ؟ ! ثم سارا فاتهما إلى زرع قد استحصد ، فقال شُنُّ : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فقال : لم أر أجهل منك ، بنتا مستحصدا فتقول : أكل أم لا ! فسكت ، ثم سارا حتى دخلا القرية فلقيا جنازة ، فقال شُنُّ : أترى صاحب هذا النمش حيا أم ميتا ؟ فقال له الرجل : ترى جنازة تسأل عنها أميت صاحبها أم حى ! فسكت عنه شُنُّ وأراد مفارقه فأبى أن يتركه وسار به إلى منزله ، وكان للرجل بنت يقال لها : طبقة ، فلما دخل عليها أبوها سأله عن ضيفه ، فقال : ما رأيت أجهل منه ، وحدثها بحديثه ، فقالت : يا أبت ما هذا بجاهل ! قوله : أئمئلى أو أهلك ؟ أراد أئمئلى أم أهلك ، وأما قوله : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فأراد هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟ وأما الجنازة فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا ؟ فخرج الرجل قعمد مع شُنُّ لحادثه ، وقال له : أئحب أن أفسرك ما سألتنى ؟ قال نعم ، ففسره ، فقال شُنُّ : ما هذا من كلامك ، فأخبرنى من صاحبها ؟ فقال : آبنة لى ، نطعها إليه فزوجه لإياها وحملها إلى أهله ، فلما رأوها قالوا : وافق شُنُّ طبقة ، فذهبت مثلا : يضرب للتواقفين ؛

وقال الأصمى : هم قوم كان لهم وعاء من آدم فقتلوا له طبقا فواقه فقتل : وافق شن طبقه ، ورواه أبو عبيدة في كتابه ، وقال ابن الكلبي : طبقة : قبيلة من إباد كانت لا تطاق فأوقعت بها شن بن أنصى بن دُحيم فانتصفت منها وأصاب فيها فُضربا مثلا وأنشد

لَقَيْتُ شَنْ إِيَادَا بَالِقَنَا * طَبَقًا ، وافق شَنْ طَبَقَهُ

وقولهم : ” وَجَدْتُ النَّاسَ أَخْبَرُ تَقْلَهُ “ أصله أَخْبَرُ النَّاسَ تَقْلَهُم : يُضْرَب في ذم الناس وسوء معاشرتهم .

وقولهم : ” وَلَوْ دُ الْوَعْدُ عَاقِرُ الْإِنْجَازِ “ : يُضْرَب لمن يكثُر وعده ويقول نقده .

وقولهم : ” وَدَعَّ مَا لَا مُودِعَهُ “ لأنه إذا استودعه غيره فقد ودعه وغرر به ولعله لا يرجع إليه .

وقولهم : ” وَمَوْرِدُ الْجَهْلِ وَبِيءُ الْمَنَهِلِ “ : يُضْرَب في التَّهْي عن استعمال الجهل .

ما جاء في ما أوله (لا)

قولهم : ” لَا تَحْبَأْ لِطَرِّ بَعْدَ عَرُوسٍ “ ويقال : ” لَا عِطَرَ بَعْدَ عَرُوسٍ “ أول من قاله امرأة من عُدرة ، يقال لها : أسماء بنت عبد الله ، وكان لها زوج من بني عَمَّها يقال له : عَرُوس ، فأت عنها ، فترجها رجل من قومها يقال له نَوَقْل ، وكان أعسرَ أبحرَ بجيلا ذميا ، فلما دخل بها قال : ضَمِّي إِلَيْكَ عِطْرَكَ ، فقالت : لَا عِطَرَ بَعْدَ عَرُوسٍ ، فذهبت مثلا ، ويقال : إن رجلا تزوج امرأة ، فلما أهدت إليه

وجدهما تَمَلَّةً فقال لها : أين الطَّيْبُ ؟ فقالت : خَبَّأَتْهُ ، فقال لها : لَا تَحْبَأْ لِمَطْرِ بَعْدَ عَرُوسٍ : يُضْرَبُ مِثْلًا لِمَنْ لَا يُدْخِرُ عَنْهُ نَفِيسٌ .

وقولهم : ” لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ “ : يُضْرَبُ لِمَنْ أَصِيبَ وَتُكِبَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، يُقَالُ هَذَا مِنْ امْتِثَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي عَزْرَةَ الشَّاعِرِ وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَسْرَهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَّ عَلَيْهِ وَأَطْلَقَهُ ثُمَّ أَتَاهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَسْرَهُ ، فَقَالَ : مَنْ عَلَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ” لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ “ أَيْ لَوْ كُنْتَ مُؤْمِنًا لَمْ تَعُدْ لِقَتَالِنَا .

وقولهم : ” لَا أَطْلُبُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ “ أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ مَالِكُ بْنُ عَمْرِو الْعَامِرِيُّ ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنْ بَعْضَ مَلُوكِ غَسَّانَ كَانَ يَطْلُبُ فِي بَنِي عَامِرٍ ذَحَلًا فَأَخَذَ مِنْهُمْ مَالِكًا وَسِمَاكَ أَجْبَى عَمْرِو الْعَامِرِيُّ فَاحْتَبَسَهُمَا زَمَانًا ثُمَّ دَعَا بِهِمَا ، فَقَالَ لَهَا : إِنِّي قَاتِلُ أَحَدِكُمَا ، فَأَيُّكُمَا أَقْتُلُ ؟ بِفَعْلٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ : أَقْتُلْنِي مَكَانَ أُنْثَى ، فَتَقْتُلُ سِمَاكَ وَخُلِّيَ سَبِيلَ مَالِكٍ ، فَقَالَ سِمَاكَ حِينَ ظَنَّنَا أَنَّهُ مَقْتُولٌ

فَأَقْسَمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكًا ، * لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَةً

رَأْسُ سَبِيلٍ عَلَى مَرَقِيبٍ * وَيَوْمًا عَلَى طَرْقِي وَارِدَةٍ

فَأَمَّ سِمَاكَ فَلَا تَجْزَى * فَلَمَمْتُ مَا تَلَدُ الْوَالِدَةِ

وَأَنْصَرَفَ مَالِكٌ إِلَى قَوْمِهِ فَأَقَامَ فِيهِمْ زَمَانًا ثُمَّ إِذَا رَجَا مَرًُّا وَوَاحِدٌ مِنْهُمْ يَنْتَفِي بِقَوْلِ سِمَاكَ * فَأَقْسَمَ أَوْ قَتَلُوا مَالِكًا * فَسَمِعَتْهُ أُمُّ سِمَاكَ ، فَقَالَتْ : يَا مَالِكُ ، قَبِّحَ اللَّهُ الْحَيَاةَ بَعْدَ سِمَاكَ ، أُنْجِرْ فِي الطَّلَبِ نَجْرَ فُلُقَى قَاتِلِ أَخِيهِ يَسِيرُ فِي نَائِسٍ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ :

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَفِي جَمْعِ الْأَمْثَالِ وَفَرَائِدِ الْأَلَّالِ : ” لَا يَلْسَعُ “ .

(٢) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ وَفِي جَمْعِ الْأَمْثَالِ : ” الْعَامِلِي “ بِالْأَلَمِ وَفِي فَرَائِدِ الْأَلَّالِ : ” الْبَاهِلِي “ .

من أحس لي الجمل الآخر، فقالوا له وقد عرفوه : يا مالك أكفف ولك مائة من الإبل، فقال : لا أطلب أثرا بعد عين، فذهبت مثلا .

وقولهم : " لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا " أصله في الحرياء : يضرب لمن لا يدع حاجة إلا سال أخرى .

• وقولهم : " لا ماء لك أبقيت ، ولا حرك أنقيت " ويروى : ولا دترك ، أصله أن رجلا كان في سفر ومعه امرأته ، وكانت عاركا فطهرت وكان معها ماء يسير فاغتسلت به فنفد ولم يكن لها لئسها فمطشا فقال هذا القول فصار مثلا ، وقيل : إن الذي قاله الضب بن أروى الكلاعي قاله لامرأته عمرة بنت سبيع ، قال الفرزدق وكنت كذات الحيض لم تبق مائها * ولا هي من ماء الصداية طاهر

• وقولهم : " لا ناقتي في هذا ولا جمل " المثل للحارث بن عباد حين قتل جساس بن مرة ثعلبيا وهاجت الحرب بين الفريقين وأعتلها الحارث ، قال الراعي وما هجرتك حتى قلت معلنة * لا ناقة لي في هذا ولا جمل يضرب عند التبرؤ من الظلم والإساءة .

وقولهم : " لا ينتطح فيها عتران " قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• وقولهم : " لا يثبت البقلة ، إلا الحقلة " الحقلة : القراح ، أى لا يلد الوالد إلا مثله : ويضرب مثلا للكلمة الخسيسة تخرج من الرجل الخسوس .

وقولهم : " لا تدخل بين العصا ولحائها " : يضرب في المتخالفين المتصافين .

وقولهم : " لا يحزنك دم هراقه أهله " قال هذا المثل جذيمة : يضرب لمن يوقع نفسه فيما لا تحصى له منه .

حرف الياء

وقولهم : "يَدَاكَ أَوْكَأَ وَفُوكَ نَفَخَ" أصله أن رجلا كان في جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يعبر على زِقْ قد نَفَخَ فيه فلم يُحْسِنَ إحكامه ، فلما توسط البحر نحرحت منه الريح ففرق فاستغاث برجل ، فقال له : يَدَاكَ أَوْكَأَ وَفُوكَ نَفَخَ ، فذهبت مثلا : يُضْرَبُ لمن يعنى على نفسه الحَيْنَ .

وقولهم : "يُسْجُ وَيَأْسُو" : يُضْرَبُ لمن يُصِيبُ في التدبير مرةً ويخطئ أخرى ؛ قال الشاعر

إني لأَكْثِرُ مَا شَتْنِي عَجَبًا * يَدْ تَسْجُ وَأَنْرِي مِنْكَ تَأْسُو

وقولهم : "يُسْرُ حَسَوًا فِي أَرْتَعَاءَ" أصله أن الرجل يَوْقَى باللبن فيُظْهِرُ أنه يريد الرِّغْوَةَ خاصَّةً فيُشْرِبُها ، وهو في ذلك ينال من اللبن : يُضْرَبُ لمن يُرِيكَ أنه يُعِينُكَ وإنما يحز النفع إلى نفسه ؛ قال الكيت

فإني قد رَأَيْتُ لَكُمْ صَدُودًا * وَنَحْسَاءَ بَعْلَةً مُرْتَفِينَا

وقولهم : "يَمْشِي رُؤَيْدًا وَيَكُونُ أَوْلَا" : يُضْرَبُ للرجل يُدْرِكُ حاجته في قُوْدَةٍ وَدَعَةٍ ، وَيُنْشَدُ فيه

تَسَالَنِي أُمُّ الْوَلِيدِ جَمَلًا * يَمْشِي رُؤَيْدًا وَيَكُونُ أَوْلَا
وقولهم : "يُصْبِحُ ظِمَانًا وَفِي الْبَحْرِ قَهْ" : يُضْرَبُ لمن يعاشر بخيلا مُتْرِيَا .
وقولهم : "يَمْلَأُ الدَّلُوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ" مأخوذ من قول عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ
مَنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلْ مَا جَدًّا * يَمْلَأُ الدَّلُوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ .
وهو الحبل الذي يُنْشَدُ في وسط الْعَرَّاقِ : يُضْرَبُ لمن يبالغ فيما يلى من الأَمْرِ .

وقولهم : "يُكْوَى البعيرُ من يَسِيرِ الداءِ" : يُضْرَبُ فِي حَسَمِ الْأَمْرِ الضَّائِرِ
قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ وَيَتَنَاقَمَ .

وقولهم : "يَعُودُ عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتَمُرُ" وَيُرْوَى : يَعْدُوهُ مَعْنَاهُ يَعُودُ عَلَى الرَّجُلِ
مَا تَأْمُرُهُ بِهِ نَفْسُهُ فَيَأْتَمُرُ، أَيْ يَمْتَثِلُهُ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ رَشِدٌ، وَرَبَّمَا كَانَ هَلَاكُهُ فِيهِ،
وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ

أَحَارِبَنَّ عَمْرُو كَأَنِّي نَعِيرُ * وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتَمُرُ

وَمَا يَمْتَثِلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ

أَمْرُو الْقَيْسِ بْنِ جُبَرٍ : قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ شَعْرِهِ فِي الْأَسْتِثْدَادِ عَلَى أَمْثَالِ
الْعَرَبِ مَا يُسْتَفْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَكَانِ .

وَمِنْ شَعْرِهِ

« وَالسِّرُّ خَيْرُ حَقِيقَةِ الرَّجُلِ * * رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ *
« إِنَّ الشَّقَاءَ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مَصْبُوبٌ * »

وَقَالَ أَيْضًا

وَقَامَ جَدُّهُمْ بَنِي أَبِيهِمْ * وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِتَابُ

وَقَالَ

فَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كُفَّائِرُ * ضَعِيفٌ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلِبٍ

زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ يَقُولُ

وَمَنْ يَفْتَرِبُ يَحْسِبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ * وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرِمُ
وَمَعَهَا يَكُنْ عِنْدَ أَمْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ * وَلَوْ خَالَهَا تَغْنَى عَلَى النَّاسِ تُسَلِّمُ

ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يضرّش بانياب ويوطأ بمسّم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يقرّه ومن لا يتقي الشتم يئسّم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويؤدّم
ومن لا يلدّ عن حوضه بسلاحه * يهدّم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يعص أطراف الزّجاج فإنه * مطيع الموالى ركبّت كلّ لهذم

وقال أيضا

وهل يئث الخلق إلا وشيجه * وتفرّس إلا في منابها النخل

وقال أيضا

والستردون الفاحشات وما * يلقاك دون الخير من ستر

وقال أيضا

فإن الحقّ مقلّعه ثلاث * يمين أو نثار أو جلاء

يقول: إنما الحقوق تصحّ بواحدة من هذه الثلاث: يمين أو محاكمة أو حجة واضحة؛
وكان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يتمعّب من معرفته بمقاطع الحقوق .

الناطقة الذّبياني : اسمه زياد بن عمرو، ويكنّى أبا أمامة ؛ غلب عليه "الناطقة"
لأنه عبر برهة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ؛ وكذلك الجعدى ؛ وقيل : إنما لقّب بالناطقة
لقوله

* فقد نبّغت لهم منّا شؤون *

وقيل في نسبه : زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن ربوع بن غيظ بن مرة
أبن عوف بن سعد بن ذبيان .

فَمَا يُمْتَلِّ بِه مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ

* فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي * * فَإِنْ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ *

وَقَالَ

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقِي أَخَا لَا تُلْهُ * عَلَى شَعَثٍ، أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهْدَبُ؟

وَقَالَ أَيْضًا

إِسْتَبَقِ وَذَلِكَ لِلصَّدِيقِ وَلَا تَكُنْ * قَتَبًا يَعْصُ بِفَارِبٍ مِلْحَا حَا

طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ يَقُولُ

* حَنَاتِيكَ بَعْضُ الشَّرَاهُونِ مِنْ بَعْضٍ * * مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ *

وَقَالَ أَيْضًا

مُسْتَبْدَى لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَرُودِ

وَقَالَ أَيْضًا

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالشَّكِّ أَنَّهُ * إِذَا ذَلَّ مَوْتَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلٌ

أَوْسُ بْنُ جَحْرِ يَقُولُ

فَإِنَّمَا يَا أَبْنَى حُبَابٍ وَجَدْتُمَا * كُنْ دَبٌّ يَسْتَحْفِي فِي الْكَفِّ جُلُجُلٌ

وَقَالَ أَيْضًا

وَمَا يَنْهَضُ الْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحِهِ * وَلَا يَمْجَلُ الْمَاشِيْنَ إِلَّا الْحَوَامِلُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخُلَا * أَصَبْتَ حُلُمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

وَقَالَ أَيْضًا

وَلَسْتُ بِجُنَاحِي أَبَدًا طَعَامًا * حَنَارَ غَدٍ، لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ

بشر بن أبي خازم يقول

* وأيدى الندى فى الصالحين قروض * * كفى بالموت نأياً وأغتراباً *

المتلمس وهو جرير بن عبد المسيح يقول

قليل المال تُصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير مع الفساد

وقال أيضاً

لذى الحلم قبل اليوم ما تُفرغ العصا * وما عُلِمَ الإنسانُ إلا لعلماً

ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى * جعلت لهم فوق العرائن ميسماً

وما كنتُ إلا مثل قاطع كفه * بكف له أخرى فأصبح أجذماً

وقال أيضاً

ولا يُقيم على ذل يرافيه * إلا الأذلان غير السوء والودد

هذا على الخلف مربوط برمته * وإذا بُشِج فلا يرى له أحد

الأفوه الأودى يقول

إنما نعمة دنيا مُتعة * وحياة المرء ثوبٌ مستعار

وصروف الدهر فى أطباقه * حلقة فيها ارتفاع وانحدار

بيننا الناس على عليائها * إذ هووا فى هوة منها فناروا

وقال أيضاً

والبيت لا يُبنى إلا له عمد * ولا عماد إذا لم تُرس أوتاد

فإن تجمع أوتاد وأعمدة * وساكن، بلغوا الأمر الذى كادوا

تُهذى الأمور بأهل الرأى ماصلحت * وإن تولت فبالأشرار تنقاد

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة إذا جهلهم سادوا

تميم بن أبي مقبل يقول

خليلي لا تستعجلا وأظفرا غدا * عسى أن يكون الرق في الأمر أرقدا
وقال أيضا

ما أنتم المهش ! لو أن القتي حمر * تنبو الحوادث عنه وهو ملبوم
حميد بن ثور يقول

أرى بصري قد راجى بعد حصة * وحسبك داء أن تصح وتساما
ولن يلبث العصران يوما وليلة * — إذا طلبا — أن يدركا ما تهما
عدي بن زيد يقول

كفى واعظا لره أيام دهره * تروح له بالواعظات وتفتدى
عن المرء لانسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
وظلم ذوى القرى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند
إذا ما رأيت الشر يبعث أهله * وقام جنة الشر للشر فاقعد
وقال أيضا

يا راقدا الليل مسرورا بأوله * إن الحوادث قد بطرطن أمصارا
وقال

قد يدرك المبعط من حظه * وانخير قد يسبق جهد الحريص
وقال

لو بغير الماء خلق شرق * كنت كالفصان بالماء اعتصاري
وقال

فهل من خالد إما هلكا * وهل بالموت يأنس عار ؟

الأسود بن يعقرب يقول

ماذا أقول بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد إياي
أرض تخيرها لطيب مقيلا * كعب بن مامة وابن أم دؤاد
أهل النورق والسدير وبارق * والقصر ذى الشرفات من سداد
جرت الرياح على محل ديارهم * فكانهم كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأنهم عشيبة * في ظل ملك ثابت الأوتاد
فإذا النعم وكل ما يلهى به * يوما يصير إلى يلى وتقاد

علقمة بن عبدة يقول

فإن تسألوني بالنساء فإني * عليم بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب
يُرَدِّدُ تراء المال حيث علمه * وشرخ الشباب عندهن عجيب

وقال أيضا

وكل حصن وإن طالت إقامته * على دعاؤه لا بد مهدم
ومن تعرض للفرسان يزجرها * على سلامته لا بد مشوم

عمرو بن كلثوم يقول

وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذي لا تصحبنا
وإن غدا وإن اليوم رهن * وبعد غد بما لا تعلمنا

الحارث بن حلزة يقول

لا تكع الثول بأغبارها * إنك لا تدري من النائج
وأصيب لأضيافك ألبانها * فإن شر اللبن الواج

حاتم الطائي يقول

أماوي ما يُفني الثراء عن الفقى * إذا حشَرَجَتْ يوما وضاق بها الصدر
وقد عِلِمَ الأَقوامُ لو أن حاتما * أراد ثراء المال، كان له وفِرُّ
وقال أيضا

وأنت إذا أعطيت بطنك سؤلَه * وفَرَجَكَ، نالاً مَتَمَيَّ الذمَّ أجمعا

المرقش الأصغر يقول

ومن يَلْقَ خيرا يَحْدِ الناسُ أمرَه * ومن يَفُو لا يَعدِمُ على النقى لائما
الغمر بن توكب يقول

يودُ الفقى طولَ السلامة جاهدا * فكيف تُرى طولُ السلامة يفعلُ؟

وقال أيضا

ومنى تُصَبِّكُ خِصاصةً فارِجَ الفقى * وإلى الذى يَهَبُ الرغائبَ فارِغِ
لا تفضِضنَّ على آخرى فى ماله * وعلى كرائمِ صُلبِ مالك فَاغضِبْ

وقال

فلا وأبى، الناسُ لا يَعلَمُو * ن، للخير خيرٌ وللشرِّ شرٌّ
فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نُسَاءُ ويوما نُسَرِّ

مهلهل بن ربيعة، وأسمه عدى يقول

أعِزَّزْ على تغليبِ بما لَقِيت * أختُ بنى الأكرمين من جُشَمِ
أنكحها فقلعها الأراقمَ فى * جَنِبٍ وكان انجلاء من آدمِ
لو بأباينِ جاء يخطبها * صُرِّجَ ما أنفَ خاطِئِ بدمِ
ليسوا بأكفائنا الكرامِ ولا * يَشْتُونُ من ذلَّةٍ ولا عَدَمِ

طَقِيلُ الْغَنَوَى يَقُولُ

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبَتْنَ مَعَا * مِنْهُنَّ مُرٌّ، وَبَعْضُ الْمَرْءِ مَا كَوُلُّ
إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يُنْهَبْنَ عَنْ خُلُقِي * فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا يَدَّ مَفْعُولُ

عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ يَقُولُ

وَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنِينَ تَابَعْتُ * عَلَى وَلَكِنْ شَيْتَنِي الْوَقَائِعُ

وَقَالَ أَيْضًا

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرَا * مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يَنَالَ رَغِيبَةً * وَمُيْلُ نَفْسٍ عُنْدَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

الْأَعْشَى : وَهُوَ مَيْمُونُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ يَقُولُ

كَطَاحٍ مَضْرُوءٍ يَوْمًا لِيَفْلَقَهَا * فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ

وَقَالَ أَيْضًا

تَعَالَوْا فَإِنَّ الْحَكَمَ عِنْدَ ذَوِي النَّهْيِ * مِنَ النَّاسِ كَالْبَلْقَاءِ بَادٍ مُجْمُومُ

وَقَالَ أَيْضًا

وَمَنْ يَفْتَرِبُ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى * مَصَارِعَ مَظْلُومٍ بَحْرًا وَمَسْحَبًا
وَتَدْفِنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسَى * يَكُنْ مَا أَثَارَ النَّارِ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا

وَقَالَ أَيْضًا

عَوْدَتُ كَنْدَةَ عَادَةً فَاصْبِرْ لَهَا * إِغْفِرْ لَهَا لَهَا وَرَوْ بَهَا

لَقِيَطُ بْنُ مَعْبُدٍ يَقُولُ

قَوْمُوا قِيَامًا عَلَى أَمْشَاطِ أَرْجُلِكُمْ * ثُمَّ أَفْزَعُوا، قَدْ بَنَى الْأَمْرَ مَنْ فَرَّعَا
هِيَاهُ، مَا زَالَتِ الْأَمْوَالُ مَذْأِيدُ * لِأَهْلِهَا — إِنْ أَصِيبُوا مَرَّةً — تَبَعَا

تأبط شراً : وهو ثابت بن جابر يقول

لَتَقَرَّعَنَّ عَلَى السَّنِّ مِنْ نَدِيمٍ * إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِ

المثقَّبِ العبدى يقول

فَمَا أَنْ تَكُونَ أُنَى بِحَقِّ * فَأَعْرِفَ مِنْكَ غَتًى مِنْ سَمِينِ

وَالْإِلَافَ طَرَحَنِ وَأَتَّخِذَنِ * عَدُوًّا أَثْقِيكَ وَتَتَقَبَّيْنِ

فَإِنِّ لَوْ تَمَّانَدَنِ شِمَالِي * عَنَادَكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي

المُرِّقُ العبدى يقول

فَإِنْ كُنْتُ مَا كُولا فَكُنْ أَنْتَ أَكَلِي * وَإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلِمَا أَمْرِي

أَفَنُونَ التَّغْلِيَّ يقول

لِعَمْرِكَ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِي * إِذَا هُوَ لَمْ يَسْأَلْ لَهُ اللَّهُ وَاقِيَا

الأَضْبَطُ بْنُ قُرَيْعِ السَّعْدَى يقول

قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ غَيْرُ أَكْلِهِ * وَيَأْكُلُ الْمَالُ غَيْرُ مِنْ جَمْعِهِ

لَا تَحْقِرَنَّ الْفَقِيرَ عِلَّكَ أَنْ * تَرْكَبَ يَوْمًا وَالْدَهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

وَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ * مِنْ قَرَعِنَا بَعَثَهُ نَفْعُهُ

سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ يقول

رُبُّ مَنْ أَنْضَجَتْ غَيْظًا قَلْبَهُ * قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَمْ

وَرَأَى كَالشَّجَى فِي حَلْقِهِ * عَسْرًا تَحْرُجُهُ مَا يُنْتَرَعُ

وَيُحْيِيْنِي إِذَا لَا قِيُسَهُ * وَإِذَا يَحْلُو لَهُ لَحْمِي رَنَعُ

أَتَهَيَّ مَا يَمْتَثِلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ .

ومما يمثّل به من أشعار المخضرمين

المخضرمون : هم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام .

منهم كَيْد بن ربيعة ، وفاته سنة إحدى وأربعين ، وعمره مائة سنة وسبع

ونمسون سنة يقول

• وإذا رُمّت رحيلا فارتحل * وأعص ما يأمر توصيمُ الكسل
وأَكْذِبُ النفس إذا حَدَّتْهَا * إنَّ صدق النفس يُرى بالأمل

وقال أيضا

وما المسأل والأهلون إلّا ودِيعَةٌ * ولا بدّ يوما أن تردّ الودائعُ
وما المرءُ إلّا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد إذ هو ساطعُ

وقال أيضا

كانت قناتي لا تليّن لفامن * فالأنها الإصباحُ والإمساء
ودعوتُ ربّي في البلامة جاهدا * ليُصَحِّني فإذا السلامة داء

وقال أيضا

ذهب الذين يُعاش في أكفاهم * وتبيّت في خَلْفٍ بكَلَدِ الأجرِبِ

وقال أيضا

إلى الخول ثم أَسْمُ السّلامِ عليكما * ومن ييك حولًا كاملا فقد اعتذر

كعب بن زهير يقول

ومن دعا النَّاسَ إلى ذنِّه * فذقوه بالحقِّ وبالباطلِ
مقالةُ السوءِ إلى أهلها * أسرع من متحدر سائلِ

الناطقة الجعدى : وهو قيس بن عبد الله ، وقيل حسان بن قيس بن عبد الله
ويكنى النابتة : أبا ليل ، وهو أسن من الذيباني ، وطال عمره حتى أدرك أيام بني أمية ،
وهو الذى قال له النبي صلى الله عليه وسلم " لا يفضض الله فاك " فاسقطت له
سن ، وفى رواية : فكان أحسن الناس نفرا إذا سقطت له سن تبت له أخرى ، وعاش
عشرين ومائة سنة ، وقيل أكثر .

ومما يُمَثَّل به من شعره قوله

ولا خيرَ حلمٍ إذا لم يكن له * بوادرُ تحمى صفوه أن يُكدرَا
ولا خيرَ فِ جهلٍ إذا لم يكن له * حلمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصدرَا

وقال أيضا

كُلبُ لعمري كان أكثرَ ناصرا * وأيسرُ جرما منك ضُرج بالهم
أمية بن أبي الصلت الثقفى يقول

تلك المكارمُ لا قعبانٍ من لبن * شيئا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالآ

حسان بن ثابت يقول

وإن آمرا يُسمى ويُصبح سالما * من الناس - إلا ماجنى - لَسعيدُ

وقال أيضا

رُبَّ حليمٍ أضاعه عَلمُ الما * لِ وجهلٍ غطى عليه النعمُ
ما أبالى أنبَ بالحزنِ تيسُ * أم لحانى بظهيرِ غيبٍ لئيمُ

الحطيطية : وأسمه جروم بن أوس بن غزوم . وقيل : جروم بن أوس بن مالك
ابن غطفان بن سعد ويكنى : أبا مليكة ، والحطيطية لقبٌ غلب عليه ، قيل لقب به

لقصره وقربه من الأرض، وقيل : حتى في مجلس قومه فقال : إنما هي حطاة فسمى الحطيطنة .

فما يمثّل به من شعره قوله

مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا يَعْتَمُ جَوَازِيَهُ * لَا يَذْهَبُ الْعَرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * وأقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقال أيضا

أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ * مِنَ اللُّومِ أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا * وَإِنْ وَعَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

متمم بن نويرة يقول

وَكَا كِنْدَمَانِي جَذِيمَةً حِقْبَةً * مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّقَا

فَلَمَّا تَفَرَّقَا كَانِي وَمَالِكَا * لَطُولِ اجْتِنَاحٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

أبو ذؤيب الهذلي يقول

وَتَجَلَدِي لِلشَّامِتِينَ أَرْيَهُمُ * أَنِّي لَرِيْبُ الدَّهْرِ لَا أَتَضَمُّعُ

وَإِذَا الْمُنْيَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا * أَهْبَيْتُ كُلَّ نَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا * وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَنْفَعُ

الخنساء : وهي ثُمَا ضُرِبَتْ عمرو بن الشريد تقول

وَمَنْ ظَنَّنَ مِنْ يُلَاقِي الْحُرُوبَ * بَأَنِّ لَا يَصَابُ قَعْدَ ظَنِّ عَجْزَا

وقالت أيضا

نَهَيْتُ النَّفُوسَ وَبَذَلْتُ النَّفْسَ * مَنِ عِنْدَ الْكَرْبَةِ أَبْقَى لَهَا

عمرو بن معد يكرب يقول

إذا لم تستطع أمرا فدعه • وجاوزه إلى ما تستطيع

وقال أيضا

لهس الجمال بمتر • فاعلم وإن ركبت بردا

إن الجمال مأثر • ومكارم أورث مجدا

معن بن أوس يقول

وفي الناس إن رقت حبالك واصل • وفي الأرض عن دار القل متحول

إذا أنصرفت نفسى عن الشيء لم تكذ • إليه بوجه آخر الدهر تقبل

وقال أيضا

أعلمه الرماية كل يوم • فلما أمتد ساعده رمانى

زياد بن زيد يقول

ولا أتمنى الشر - والشر تاركى - • ولكن متى أحمل على الشر أركب

وقال أيضا

هل الدهر والأيام إلا كما ترى ؟ • رزية مال أوفراق حبيب

أيمن بن حُزيم بن فاتك الأسدى يقول

إن للفتنة ميّطا بيننا • فرويد الميّط منها تمتد

فإذا كان عطاء فأتهم • وإذا كان قتال فاعتزل

أتهم ما يمتثل به من أشعار المخضرمين •

ومما يمثّل به من أشعار المتقدمين في صدر الإسلام
القطامي : وأسمه محمد بن شبيب يقول

ومعصية الشفيق عليك مما * يزيدك مرة منه استمعا
وغير الأمر ما استقبلت منه * وليس بان تتبعه آتباعا
أراهم يغمزون من استرقوا * ويحتنبون من صدق المصاعا
كذلك وما رأيت الناس إلا * إلى ما جرّ جانبيهم سراعا

وقال أيضا

قد يدريك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل
وربما فات بعض القوم أمرهم * مع التأني وكان الرأي لو عجلوا
والناس من يلقى خيرا قائلون له * ما يشتهي ولائم المخطئ الهبل

١٠

الطريقاح بن حكيم بن الحكم يقول

لقد زادني حباً لنفسى أنى * بنيض إلى كل أمرى غير طائل
وأنى شقي باللاثم ولن ترى * شقياً بهم إلا كريم الشامل

الكميت بن زيد الأسدي يقول

إذا لم يكن إلا الاسنة مركب * فلا رأى للضطر إلا ركوبها

١٥

وقال أيضا

فيا موقدا نارا لنفرك ضومعا * ويا حاطبا في جبل غيرك تحيط

المساوير بن هند يقول

شقيت بنو أسد بشعر مساوير * إن الشقي بكل جبل يحق

عدى بن الرقاع يقول

وإذا نظرتُ إلى أميري زادني * ضناً به نظري إلى الأمراءِ
بل ما رأيتُ جبالَ أرضٍ تستوي * فيها غشيتُ ولا نجومَ سماءِ
كالبرق منه وإبلٌ متتابع * جَسَدٌ وآخرُ ما يبيضُ بماءِ
والمرءُ يورثُ مجده أبناءه * ويموتُ آخرُ وهو في الأحياءِ

الفَرَزْدَقُ، وأسمه همام بن غالب يقول

فواجبا حتى كُلبٌ تسبني * كأثأباها نهشلُ أو مجاشعُ

وقال أيضا

تُرْسِي ربيعُ أن يحى صغارها * بخيرٍ وقد أعيا عليك كبارها

وقال أيضا

فإن شج منها، تتج من ذى عظيمه * وإلا فإنى لا إخالك ناجيا

وقال أيضا

يَمْضَى أخوك فلا تلقى له خَلَقًا * والمالُ بعد ذهاب المال مُكْتَسَبُ

وقال أيضا

لهس الشفع الذى يأتيك مؤتزا * مثل الشفع الذى يأتيك عُريانا

وقال أيضا

قُلْ لنضير، والمرء فى دولة السلطان أعمى مادام يُدعى أميراً

فإذا زالت الولاية عنه * وأستوى بالرجال، عاد بصيرا

وقال أيضا

ولا تلعب لسلطان يُكادنا * حتى يلين لضرر الماضى الجبر

وقال أيضا

هل أبنتك إلا أبْنٌ من الناس فاصبرين * فلبَّ يَرِيعَ الموق حنينُ المآتمِ
جرير: هو أبْن انطَلَقَ تُوَقُّ سنة عشر ومائة يقول
إن الكريمةَ يَنْصُرُ الكرمَ أبْنُها * وأبْن اللثيمة للسلام نصورُ

وقال أيضا

زعم الفرزدقُ أن سيقْتَل مَرِيما * أبشُرْ بطول سلامةٍ يا مَرِيْعُ

وقال أيضا

وأبْن اللَّبُون إذا ما لُزِّي قَرِيب * لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القنَاعِيسِ

وقال أيضا

رأيتك مثل البرقِ يُحْسَبُ ضَوْؤُهُ * قريبا وأدنى ضَوْؤُهُ منك نازِحُ

وقال أيضا

أما الرجالُ يَحْمَلَانَّ ونِسْوَتُهُمْ * مثلُ القَنَافِدِ لا حُسْنَ ولا طِيبِ

الأخطل: وأسمه مالك بن غياث بن غوث، وقال أبو الفرج الأصبهاني: أسمه غياث

أبْن غوث بن الصلت بن طارقة بن سبيحان بن عمرو، وروِّعَ نسبُهُ إلى جُشَم بن بكر

ويُكْنَى: أبا مالك، قال: وقال المدائني هو غياث بن غوث بن سلمة بن طارقة .

فما يُمَثِّل به من شعره قوله

والناس همُّهمُ الحَيَاةُ ولا أرى * طولَ الحَيَاةِ يزيد غيرَ خَبَالِ

وإذا أَفْضَرْتَ إلى الذخائر لم تَجِدْ * دُنْراً يكون كصالحِ الأَعْمَالِ

وقال أيضا

إن الصبيعة تلقاها وإن قدمت * كالمرء يئس حيناً ثم ينتشر
وأقسم المجد حقاً لا يخالفهم * حتى يحالف بطن الراحة الشعر

وقال أيضا

وإذا دعوتك يا أنى فإنه * أحنى إليك مودةً ووصالاً
وإذا دعوتك عمهت فإنه * نسب يزيدك عندهن خبالاً

وقال أيضا

صفادع في ظلماء ليل مجاوبت * فدل عليها صوتها حبة البحر

وقال أيضا

يا مرسل الريح جنوباً وصباً * إن غضبت قيس فزدها غضباً

الصِّلَتَانُ الْعَبْدِيُّ يَقُولُ

وإن يك بحر الحنظلين واحداً * فما يستوى حيتانه والضفادع
وما يستوى صدر القناة وزجها * وما يستوى في راحتين الأصابع

كثير عزة: وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي، توفي سنة خمس ومائة

يقول

وإني ونهائي بمزة بعد ما * تخليت مما بيننا وتخلت
لكل مرتجي ظل الغامة كتباً * تبوأ منها للمقييل أضمحل
قللت لها باعز كل مصيبة * إذا وطئت يوماً لها النفس ذلت
هنيئاً مرتباً غير داء مخامر * لمزة من أعراضنا ما استحل

وقال أيضا

قضى كل ذي دين فوق غريمه * وعزّة مطول معنى غريمها

وقال أيضا

ومن لا يعض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عائب
ومن يتبع جاهدا كل عثرة * يحذها ولا يسلم له الدهر صاحب

بحيل يقول

فإن يك حرب بين قومي وبينها * فإني لها في كل نائبة سلم

وقال أيضا

ولرب عارضة علينا وصلها * بالحد تخلطه بقول المازل
فأجبتها في القول بعد تسر: * حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي كقدر قلامة * وصلا وصلتك أو أنتك رسائي

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة يقول

ليت هنذا أنجزتنا ما تعد * وشفت أجدنا ما نجد
وأسبتدت مرة واحدة * إنما العاجز من لا يستيد

وقال أيضا

لا تأسني وانت زيتها لي * أنت مثل الشيطان للإنسان

ومما يتخل به من أشعار المحدثين

منهم إبراهيم بن هرمة يقول

عجبت أئيلة أن رأيتي محبنا * تكلتك أمك، أي ذاك يروع
قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وجيب قيصه مروع

وقال ايضا

كأركية بيضها بالعراء * وملسمة بيض أخرى جناحا

بشار بن برد يقول

إذا كنت في كل الأمور معاتباً * صديقك لم تلق الذي لا معاتبه
فعض واحدا أو وصل أهلك فإنه * مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربة

وقال أيضا

ولا تجعل الشورى عليك غصاصة * فإن الخوافي عدة للقوادم
وما خير كف أمسك الفل أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم

وقال أيضا

كبكر تشهى لذيد النكاح * وتفرق من صولة الناكح

وقال أيضا

أنت من قلبها محل شراب * يستهى شربه ويخشى صداعه

وقال أيضا

الحشر يلعي والمصا للمبيد * وليس للملحيف مثل الرد
وصاحب كالدمل المبيد * حملته في رقعة من جلدي

وقال أيضا

وإذا جفوت قطعت عنك منافى * والدثر يقطعه جفاء الحالب

وقال أيضا

ولولا الذي خبروا لم أكن * لإمدح ريحانة قبل شم

وقال أيضا

تأتي المقيم - وما سعى - حاجاته * عند الحصى، ويغيب سعى الناس

وقال أيضا

أنا والله أشتي صحر عيذك وأخشي مصارع العشاق

وقال أيضا

نرجو غدا، وغدا كاملة * في الحى لا يدرون ماتد

وقال أيضا

تسقط الطير حيث ينتثر الحب وتفتي منازل الكرماء
ليس لمطيك للرجاء ولا الخو * ف ولكن بلذلم العطاء

وقال أيضا

* والصمب يمكن بعد ما جمعا * * ولن تبلغ العليا بغير الدراهم

وقال أيضا

ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

أبو العتاهية يقول

* أذل الحرص أعتاق الرجال * وكل غنى في العيون جليل

* روائح الجنة في الشباب * * وأى الناس ليس له عيوب

وقال أيضا

إن الشباب والفراغ والبلدة * مفسدة للدين، أئى مفسدة!

وقال أيضا

أنت ما استفتيت عن صا • حيك الدهر أخوه
فإذا آججت إليه • ساعة تجك فوه

وقال أيضا

ما يحرز المرء من أطرافه طرقا • إلا تحوّه النقصان من طرّف

وقال أيضا

يصاد فؤادى حين أرى ورميقى • تعود إلى تحرى ويسلم من أرى

وقال أيضا

ولرب شهوة ساعة • قد أورت حزنا طويلا

١٠ سلم بن عمرو الخاسر : وهو مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو بصرى
لقب الخاسر لأنه ورث من أبيه مصحفا فباعه واشترى بئنه كنبورا ، وقيل :
بل خلف أبوه مالا فأنفقه فى الأدب والشعر ، فقال له بعض أهله : إنك لخاسر
الصفقة ، فلقب بذلك .

فما يتنل به من شعره قوله

من راقب الناس مات غمّا • وفاز بالينة الجسور
لولا مئى الماشقين ماتوا • غمّا ، وبعض المئى غرور

١٥

وقال أيضا

ولو ملكت عنان الريح تصرفه • فى كل ناحية ما فاتك الطلب

وقال أيضا

لا تسال المرأة عن خلايقه • فى وجهه شاهد من الخبر

٢٠

صالح بن عبد القدوس يقول

ما يبلغ الأعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه
والجاهل الآمل ما في غد * كخفته في اليوم أو أمسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى في ثرى رمسه
والحق داء ماله حيلة * تُرى كبعد النجم من لسه

وقال أيضا

١٢٤

وإن عناء أن تهم جاهلا * فيحسب جهلا أنه منك أفهم
مضى يبلغ البليان يوما تمامه * إذا كنت تبليه وغريك هدم

وقال أيضا

١٠ إذا وترت أمرما فاحذر عداوته * من يروع الشوك لا يحصنه به عينا

وقال أيضا

شر المواهب ما محمود به * من غير محمده ولا أجر

وقال أيضا

١٠ لا تجد بالمطاء في غير حق * ليس في منع غير ذي الحق بخل
إنما الجود أن تجود على من * هو للجود منك والبذل أهل

وقال أيضا

يشقى رجال ويشقى آخرون بهم * ويسعد الله أقواما بأقوام
وليس رزق الفقى من لطف حيلته * لكن جدود بأزاق وأقسام
كالصيد يحرمه الراى المجيد وقد * يرى فيرزه من ليس بالراى

وقال أيضا

إني يكن مابه أصبت جليلا * فنعابُ الغزاة منه أجل
كل آتٍ لاشك آتٍ وذو الجهل مُعنى والنم والحزب فضل
ابن ميادة : هو الرقاح بن أبي أبرد كنيته سُرحيل يقول
واعجبا من خالدٍ كيف لا * يُعطى فينا مرة بالصواب

وقال أيضا

وأرانا كالزروع يحصد الدهشرفين بين قائم وحصيد
وصكأنًا للوت ركبٌ محبو * ن سراعٌ لمنهلٍ مورود

أبو نواس الحسن بن هاني يقول

* دع عنك لوى فإن اللوم لغراء * * ألا رب إحسان عليك ثقل * ١٠

وقال

* وللرجاء حرمةٌ لأجهل * * وأى جد بلغ المازح *

وقال أيضا

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

وقال أيضا

لا أذودُ الطير عن شجر * قد بلوتُ المثر من تمره

وقال أيضا

وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد!

وقال أيضا

صار جدًا ما مزحت به * رب جد ساقه اللب

وقال أيضا

كفى حَزَنًا أَنْ الْجَوَادُ مُقَرَّرٌ * عَلَيْهِ وَلَا مَعْرُوفٌ عِنْدَ بَغِيلِ

وقال أيضا

وَأَوْبَةٌ مُشْتَاكِ بَغِيرِ دِرَاهِمٍ * إِلَى أَهْلِهِ مِنْ أَكْظَمِ الْحَدَثَانِ

أَبُو عَيْنَةَ الْمَهْلِيِّ يَقُولُ

* وَكَيْفَ بِمُحَمَّدٍ الْقَلْبِ وَالْمَيْنُ تُنْهَدُ * * وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَدُومُ لَهُ عَهْدُ *
* وَشَتَانٌ مَا بَيْنَ الْوَلَايَةِ وَالْعَزْلِ *

وقال أيضا

وَإِذَا تَطَاوَلَتِ الرُّعُ * سَنَفَعْتُ رَأْسَكَ ثُمَّ طَاوَلَتْ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي عَتَبَةَ الْمَهْلِيُّ يَقُولُ

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرَّ عَلَى الْقَتْلِ * فَتَهْوُ غَيْرَ شِمَائَةِ الْأَعْدَاءِ

وقال أيضا

مَا كُنْتُ إِلَّا كَلِمَ مَيْتٍ * دَعَا إِلَى أَكْلِهِ اضْطَرَّارُ

الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ يَقُولُ

لَوْ كُنْتُ عَاتِبَةً لَسُكِّنَ رَوْعِي * أَمَلِي رِضَاكَ وَزُرْتُ غَيْرَ مَرَاتِبِ

لَكِنْ مَلَيْتُ فَمَا لَصَدِّكَ حِيلَةٌ * صَدُّ الْمَالِ خِلَافُ صَدِّ الْعَانِي

وقال أيضا

صَرْتُ كَأَنِّي ذِبَالَةٌ نُصَبْتُ * تُضَيُّ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

وقال أيضا

أَرَى الطَّرِيقَ قَرِيبًا حِينَ أَسْلَكْتُهُ * إِلَى الْحَبِيبِ، بَعِيدًا حِينَ أَنْصَرَفْتُ

وقال أيضا

كنى حَزَنًا أَنَّ التَّبَاعِدَ بَيْنَنَا * وقد جَمَعْتَنَا وَالْأَحَبَّةَ دَارُ

وقال أيضا

اَلْقَنَا مَكْرَهِينَ بِهَا فَلَمَّا * اَلْقَيْنَاهَا خَرَجْنَا مُكْرَهِينَ

وقال أيضا

* وَلَا خَيْرَ فِي وَدٍّ يَكُونُ بِشَافِعٍ * * من عالج الشوق لم يستبعد الدار *

مُسلم بن الوليد : هو مولى الأنصار، ثم مولى آل أبي أمامة : أسعد بن زُرارة
الخرزرجي ولُقِّبَ صريع الغواني، ومما يُتَمَثَّلُ به من شعره قوله

دَلَّتْ عَلَى عِيَابِهَا الدُّنْيَا وَصَدَّقَهَا * مَا اسْتَرْجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كَانَ أَعْطَانِي

وكان يقول أخذت معنى هذا البيت من التوراة .

وقال أيضا

يَعُدُّ الْفَتَى مِنَ اللَّيَالِي سَلِيمَةً * وَهَنْ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ عَوَائِرُ

وقال أيضا

أَمَّا الْمُهْجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ * وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ

فَاذْهَبْ فَانْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ * عِرْضُ عَزِزَتٍ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

منصور الخيزري : هو منصور بن الزبرقان بن سلمة . وقيل منصور بن سلمة بن
الزبرقان بن شريك، مُطْعِمُ الْكَبِشِ الرَّحْمِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَطْعَمَ نَاسًا نَزَلُوا بِهِ وَتَحَرَّ
لَهُمْ . ثُمَّ رَفَعَ وَأَنَّهُ فَإِذَا هُوَ بِرَحْمَةِ يَتَمَنُّ حَوْلَ أَضْيَافِهِ، فَأَمَرَ أَنْ يُذَبِّحَ لَهُنَّ كَبِشٌ وَيُرْمَى
لَهُنَّ قُفَيْلٌ ذَلِكَ وَتَزَلُّنَ عَلَيْهِ فَيَرْفُقُهُ، وَهُوَ ابْنُ مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَامِرِ الضُّحْيَانِ، سُمِّيَ

بذلك لأنه كان سيد قومه وحاكمهم وكان يجلس لهم إذا أضحى النهار، وهو ابن سعد
ابن أنس بن مالك بن نعيم الله بن النخع بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دؤم بن جديلة
ابن أسد بن ربيعة بن نزار .

فما يُقتل به من شعره قوله

لعل لما عذراً وأنت تلوم * ورب أمرئ قد لام وهو مليم

وقال أيضا

ما كنت أوفى شبابي كنه عزته * حتى أقضى فإذا الدنيا له تبع

وقال أيضا

أقل عتاب من استريت بؤده * ليست تُنال مودة عتاب

- ١٠ العتابي : هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبش بن أوس بن مسعود
ابن عمرو بن كلثوم الشاعر ابن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن
حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب .

فما يُقتل به من شعره قوله

وإن عظيما الأمور مشوبة * بمستودعات في بطون الأساود

وقال أيضا

ولله في عرض السموات جنة * ولكنها مخوفة بالكار

وقال أيضا

قلت للفرقدين، واللبل ملقي * سُود أكلانه على الآفاق

إقيا ما بقيتا سوف يُرى * بين شخصيكما بهم الفراق

أَتَجَمَّعَ السَّلْمَى : هو أَمِيجُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْوَلِيدِ، وَقِيلَ : أَبُو عَمْرِو مِنْ أَهْلِ الرَّقَّةِ.

فَمَا يَتَمَثَّلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ

نَسِيكَ مِنْ أَمْسَى يَنْجِيكَ طَرَفُهُ * وَلَيْسَ لِمَنْ تَحْتَ التُّرَابِ نَسَبُ

وَقَالَ أَيْضًا

سَبَقَ الْقَضَاءُ بِكُلِّ مَا هُوَ كَاتِنٌ * فَلْيَجْهَدْ الْمُتَقَلِّبُ الْمُتَالِ

وَقَالَ أَيْضًا

دَاءٌ قَدِيمٌ فِي بَنِي آدَمَ * فَتَنَةُ إِنْسَانٍ بِإِنْسَانٍ

وَقَالَ أَيْضًا

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ * رَصَدَانِ، ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامُ

فَإِذَا تَبَهُ رَعْتَهُ وَإِذَا غَفَا * سَلَتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامُ

الْجُرْهُمِيُّ

وَأَعَدَدْتُهُ ذَخْرًا لِكُلِّ مُلْكِيَةٍ * وَسَهْمُ الرِّزَايَا بِالذَّخَائِرِ مَوْلَعُ

وَقَالَ أَيْضًا

إِذَا مَا مَاتَ بِمَضْئِكَ فَاذْكُفْ بِمَضْئَا * فَإِنَّ الْبَعْضَ مِنْ بَعْضِ قَرِيبُ

وَقَالَ أَيْضًا

أَرَى الْحَمَّ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ دِلَّةً * وَفِي بَعْضِهَا عِزًّا يُسَوِّدُ فَاعِلَهُ

وَقَالَ أَيْضًا

وَدُونَ النَّدَى فِي كُلِّ قَلْبٍ تَلِيَّةٌ * لَهَا مَصْعَدٌ حَزْنٌ وَمُنْهَدٌ سَهْلُ

وَقَالَ أَيْضًا

الْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا قَيَّمَتْ بِهِ * قَدْ بَكَتِ الْمَالُ وَالْإِنْسَانُ مُنْقَرِعُ

وقال أيضا

وهل حازم إلا كآخر عاجز * اذا حل بالإنسان ما يُتوقع
محمود الوراق : هو محمود بن الحسن البغدادي مولى بني زُهرة، ويكنى
أبا الحسن .

فما يُتمثل به من شعره قوله

وإذا غلا شيء على تركته * فيكون أرخص ما يكون إذا غلا
وقال أيضا

ما كدت ألخص عن أُنثى ثمة * إلا دُمت عواقب الفحص

وقال أيضا

١٠ الدهر لا يبقى على حالة * لابتدأ أن يُقبل أو يُدبرا
فإن تلقاك بمكروهه * فاصبر فإن الدهر لن يصبرا

وقال أيضا

إذا كان وجه العذر ليس بواضح * فإن أطراح العذر خير من العذر

محمود بن حازم الباهلي

١٥ ألا إنما الدنيا على المرة فتنة * على كل حال أقبلت أم تولت

وقال أيضا

وقائل كيف تمزقنا * فقلت قولاً فيه إنصاف
لم يك لي شكلاً ففارقته * والناس أشكالٌ وألأف

السَّمْعُولُ بْنُ عَادِيَاءَ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْتَسْ مِنْ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ * فَكُلْ رِءَاءَ يَرْتَدِيهِ بِعَيْلٍ

وَقَالَ أَيْضًا

إِذَا كُنْتُ مَلْجَأًا مَسِيئًا وَمَحِيئًا * فَيَفْشِيَانِ مَا تَهْوَى مِنَ الْأَمْرِ أَكْمَسُ

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيُّ

لَا يُؤَسِّنُكَ أَنْ تَرَانِي ضَاحِكًا * كَمْ تَهْكِكُهُ فِيهَا عُيُوسٌ كَايِنٌ

وَقَالَ أَيْضًا

قَدْ يَتِمُّنُ الْهِنْدِيُّ وَهُوَ حُسَامٌ * وَيُحِثُّ الْهَلَوَادُ وَهُوَ جَوَادُ

أَبُو الشَّيْصِ : وَأَسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ رَزِينَ بْنِ تَمِيمٍ بْنِ نَهْشَلٍ ، وَأَبُو الشَّيْصِ لَقَبٌ غَلَبَ

عَلَيْهِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَهُوَ عِمْدُ بَنِي عَلِيٍّ . ١٠

لَهَا يُمَثِّلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ

إِذَا لَمْ تَكُنْ طُرْقُ الْمَسْوَى لِي ذَلِيلَةً * تَكْبُثُهَا وَأَنْحَزْتُ مِنْ جَانِبِ السَّهْلِ

عَلَى بْنِ جَبَلَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْبَارِيِّ ، وَهُوَ الْمَلَقَبُ الْمَكْرُوكُ قَالَ

وَأَرَى الْيَالِيَّ مَاطُوتٌ مِنْ شَرِّقٍ * رَدَّتْهُ فِي عِقْطِي وَفِي إِنْهَامِي

وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَرْءَ مِنْ سَنَنِ الرَّدَى * حَيْثُ الرِّيمَةُ مِنْ سِهَامِ الرَّامِي ١٥

وَقَالَ أَيْضًا

وَخَافَتْ عَلَى التَّلَوَافِ قَوِيٍّ وَإِنَّمَا * تُصَابُ غِرَارُ الْوَحْشِ وَهِيَ رُتُوعُ

الْمَجْلَاجُ الْحَارِثِيُّ

وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنِّي ذَا الْهَوَى * أَلِيَّ حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ تَهْوَى بِهِ الرَّجُلُ

وقال أيضا

إذا ما إهانَ أمرؤُ نفسَه * فلا أكرم الله من يُكرمه

عبد الصمد بن المعذل

ليس لي عُذْرٌ وعندي بُلْغَةٌ * إنما العذر لمن لا يستطيع

وقال أيضا

وأعلم أن بنات الرءاء * تُجمل العزيزَ تحلّ الذليل

وأن ليس مُستغنيا بالكثير * ليس مُستغنيا بالقليل

وقال أيضا

أرى الناس أُحدوثَه * فكرونا حديثًا حسنَ

كان لم يكن ما أتى * وما قد مضى لم يكن

إذا وطئ راجي، * فكل بلادٍ وطن

إذا عزَّ يوماً أخو * لك في بعض أمر فهن

المحدوني

إن المُقَمَّ في حِذِّي بصنعتَه * أتى توجه فيها فهو محروم

العنبي

قالت عهدتُك مجنونا، قُلتُ لها : * إن الشبابَ جنون برؤ الكبر

وقال أيضا

وحبك من حادثٍ بامرئ * يرى حاسده له راحينا

أبو سعيد الخفزي : وأسمه عيسى بن خالد بن الوليد، والصحيح أنه أبو سعد
لا سعيد .

فما يُمَثِّلُ به من شعره قوله

وكم رأينا للدهر من أسد * بالت على رأسه تعالیه

وقال أيضا

إذا ضنَّ الجوادُ بما لديه * فما فضلُ الجوادِ على البخيل؟

وقال أيضا

ليس لبسُ الطيَّالِس * من لبسِ القوارِس

لا ولا حومة الوغى * كصدور المجالس

وظهورُ الجيادِ غيرَ ظهورِ الطنافس

ليس من مارس الخطو * بكن لم يمارس

دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُزَاعِيُّ : هو أبو جعفر وأسمه محمد ودعبل لقبٌ غلب عليه،
والدَعْبِلُ : البعيرُ المسنُّ، وقيل : الناقةُ التي معها أولادها .

فما يُمَثِّلُ به من شعره قوله

لا تعجبني يأسُ من رجل * حَتَّىكَ المشيبُ برأسه فبكي

وقال أيضا

هي النفسُ ما حَسَنَتْه فُحِّسَتْ * إليها وما قَبَّحَتْه فُتْبِحَتْ

وقال أيضا

جئتُنا به يشفع في حاجة * فاحتاج في الإذن إلى شافع

وقال أيضا

تلك المساعي اذا ما أنرت رجلا * أحب للناس عينا كالذي طابه
كذلك من كان همتهم المجد عادته * فإنه لبناء المجد عيابه

إسحاق بن إبراهيم الموصلي

وكل مسافر يزداد شوقا * إذا دنت الديار من الديار

المؤمل بن أميل

إذا مريضا أتيناكم نودكم * وتذنبون فنانكم ونعتذر
لا تحسبوني غنيا عن مودتكم * لأنى اليكم وإن أيسرت مفتقر

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول مولى يزيد بن المهلب يكنى أبا إسحاق ،
وأصله من نخراسان .

فما يفتنل به من شعره قوله

ورب أخ ناديت به كلمة * فالتفت منها أجل واعظا

وقال أيضا

وكننت . أذنت إليك الزمان * فأصبحتُ فيك أذمت الزمانا
وكننت أعتك للنائبات * فما أنا أطلب منك الإمانا

وقال أيضا

دنت بأناس عن تناء زيارة * وشط بليل عن دنو مزارها
وإن مقايث بمقطع اللوى * لا تقرب من ليل وهاتيك وادها

أبو عليّ البصير : وهو الفضل بن جعفر الكوفي يقول
فلا تمتدّر بالشغل عنا فإني * تنأط بك الآمال ما اتصل الشغل

وقال أيضا

لمرأيك ما أنسب المثل * الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد إذا أقشمت * وصوت نبتها رعى الهشيم

سعيد بن حميد يقول

* إن جهد المقل غير قليل * وعلى المريب شواهد لا تدفع *

وقال أيضا

وإنك كاللديا تلم صروفها * ونوسمها سباً ونحن عييدها

علي بن الجهم يقول

ولكل حال معقب وربما * أجل لك المكروه عما تمعد

وقال أيضا

وعاقبة الصبر الجميل جميلة * وأفضل أخلاق الرجال التفضل
ولا عار إن زالت عن المرء نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

وقال أيضا

إرض للسائل الخسوع والقا * وفي ذنبنا منلة الأعدا

ابن أبي فتن : هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور يقول

أرى الدهر يُخلفني كما * لست من الدهر ثوباً جديدا

وقال أيضا

سُرَّ من عاش ماله فإذا حا * سبه الله بمره الإعدام

وقال أيضا

رب أمر سر آخره * بعد ما سمعت أوائله

يزيد بن محمد المهلهبي يقول

* لا عار إن ضامك دهر أو ملك *

وقال

وإن الناس جمعهم كثير * ولكن من نثره قليل

وقال أيضا

ومن ذا الذي ترضى بعباده كلها * كفى المره نبلا أن تعد معاينه

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقول

فإن تلحظي حالي وحالك مرة * بنظرة عين عن هوى النفس تحجب

تري كل يوم مر من بؤس عيشي * عليك بيوم من نعيمك يحسب

أحمد بن أبي طاهر يقول

ودين الفتى بين التماسك والنهى * ودنيا الفتى بين الهوى والتفريط

وقال أيضا

حسن الفتى أن يكون ذا حبيب * من نفسه، ليس حسنه حسيبه

أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يقول

* ما الحب إلا للحيب الأول * * لسان المرء من جنم القواد *

٢٠

* وذى النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع *

وقال

ما أب من أب لم يظفر بجاحته * ولم يصب طالب للشجع لم يصب

وقال أيضا

ومن لم يسلم للنواب أصبحت * خلاقه طرا عليه نوابا

وقال أيضا

لأمر عليهم أن يتم صدوره * وليس عليهم أن تم عواقبه

وقال أيضا

لا تتركى عقل الكرم من الفنى * فالسبل حرب للكان العالى

وقال أيضا

وإذا تأملت البلاد رأيتها * تتركى كما تتركى الرجال وتعلم

١٠

وقال أيضا

وإذا أمرؤ أهدى اليك صليعة * من جاهد فكانها من ماله

وقال أيضا

خلقنا رجالا للنجلد والأسى * وتلك النوائى للبكا والماتم

وقال أيضا

١٥

ينال الفقى من عيشه وهو جاهل * ويكيدى الفقى فى دهره وهو عالم

ولو كانت الأرزاق تجري على الجبى * هلكن إذا من جهلن البهائم

وقال أيضا

ألقه النجيب كم أفرق * أطل فكان داعية أجتاج

وليست فرحة الأوبات إلا * لموقوف على ترج الوداع

٢٠

وقال أيضا

وإذا أباد الله نشر فضيلة * يوما، أتاح لها لسان حصيد
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرق العود

وقال أيضا

خشعوا لصولك التي هي عندهم * كالموت يأتي ليس فيه عار

وقال أيضا

ذاك الذي قرحت بطون جفونه * مرها وتربة أرضه من إحمد

وقال أيضا

وتركى سرعة الصدر اعتبارا * يدل على موافقة الورود

وقال أيضا

ولم أرك المعروف تدعى حقوقه * مضارم في الأقوام وهي مغائم

وقال أيضا

وإن امرأة أضلت يدها على امرئ * بنيل يد من غيره لبخيل

أبو عبادة البُحترى، وهو الوليد بن عُبيد بن يحيى بن عُبيد بن ثمالان بن جابر

١٥ ابن مسلمة بن مسير بن الحارث بن خثيم بن أبي حارثة بن جدى بن زؤل بن بختَر
الطائي .

فما يمثل به من شعره قوله

* وأبرح كما حل ما يتوقع *

وقال أيضا

* وليس تفتن النماء والحسد *

وقال أيضا

* إن المعنى طالب لا يظفر *

وقال أيضا

* أرى الكفر للنعماء ضربا من الكفر *

وقال أيضا

* يزين الآلى فى النظام أزدواجها *

وقال

وكان رجائى أن أؤوب مملكا * فصار رجائى أن أؤوب مسلما

وقال أيضا

مضى أخرجت ذا كرم تغطى * اليك ببعض أخلاق اللثم!

١٠

وقال أيضا

والشئ ثمنه يكون بفسوته * أجدى من الشئ الذى تُعطاه

وقال أيضا

تناس ذنوب قومك إن حفظت الذنوب إذا قدم من الذنوب

وقال أيضا

١٥

وإذا ما خفيت كنت حريا * أن أرى غير مصبح حيث أمسى

وقال أيضا

مضى أرت الدنيا نباهة خامل * فلا تنتظر إلا تحول نبيه

وقال أيضا

وأرى النجاة لا يكون تمامها * لنجيب قوم ليس بابن نجيب

٢٠

وقال أيضا

وإذا ما الشريف لم يتواضع * للأخلاق فهو عين الوضيع

وقال أيضا

ولم أرا مثال الرجال تفاوتت * الى المجد حتى عد ألف بواحد

وقال أيضا

ليس الذي يعطيك نالده ماله * مثل الذي يعطيك مال الناس
وتفاضل الأخلاق إن حصلت * في الناس حيث تفاضل الأجناس

وقال أيضا

لا يأس المرء أن يفجيه * ما يحسب الناس أنه عطية
يسرك الشيء قد يسوءه * قوه يوما بخامل لقبه

وقال أيضا

إذا عاصيتي اللاتي أدل بها * كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذرت؟

وقال أيضا

وعطاء غيرك إن بذلت عناية فيه عطاؤك

- ديك الجحش، وأسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله
 ١٥ ابن رغبان بن زيد بن تميم بن مجد من أهل حمص يقول
 وشافى النصح يعدل بالأشافي * وليس القدير إلا بالأثافي

وقال

إذا شجر المودة لم تجده * بنيت البر أسرع في الحفاف

وقال أيضا

يرقدُ الناسُ آمَينَ وريبُ الشَّهرِ يرطُمُ بمِغلةٍ لَصَ

ابن الرومي يقول

وكم داخلٍ بينَ الحميمينِ مصلحٌ * كما أنقلُ بينَ العينِ والجفنِ مرودٌ

وقال أيضا

هو بازٍ صائدٌ أرسلتُهُ * فارجموه سالما إن لم يصدُ

وقال أيضا

وما الحمدُ إلا توأمُ الشكرِ في الفنى * وبعضُ السجايا يتسببُ إلى بعضِ

إذا الأرضُ رقت ربيعٌ ما أنت زارعٌ * من البذرِ فهي الأرضُ ناهيك من أرضِ

وقال أيضا

وإذا أتاك من الأمورِ مقدَّرٌ * ففروتَ منه فنحوهُ نُتوجهُ

وقال أيضا

كيف تَرْضَى الفقرَ عِرْسا لا مَرِيءٍ * وهو لا يَرْضَى لك الدنيا أَمَةً!

وقال أيضا

عدوكُ من صديقك مستفادٌ * فلا تستكثرُ من الصحابِ

فلنِ الداءِ أكثرُ ما تراه * يكونُ من الطعامِ أو الشرابِ

عبد الله بن المعتز يقول

فإن العيونَ وجوهُ القلوبِ *

وقال أيضا

* أتم الكرامِ قليلةُ الأولادِ *

وقال أيضا

* أبطأً فيض الدلاء أملؤها *

وقال أيضا

إصبر على كيد الحسو * دغان صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها * إذ لم تجد ما تأكله

وقال أيضا

ولا مَّ إلا سوف يُفْتَحُ قُفْلُهُ * ولا حالَ إلا للفقى بعدها حالٌ

وقال أيضا

لا تأمنوا من بعد خير شراً * كم عُصْنِي أخضر عاد جمرًا

وقال أيضا

ولاني على إشفاق عيني من البكا * لتجمع مني نظرة ثم أطرقُ

كما حُلْتُ من ماء برد طريضة * تمتد إليه جيدها وهي تفرقُ

وقال أيضا وإشارته الى الديك

صَفَّقَ إما أرتياحةً لَسْنَا السَّعْجَرِ وإما على الدجى أسفا

عبيد بن عبد الله بن طاهر

ألم تر أن المرءَ تدوى يمينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائرته؟

فكيف تراه بعد يمينه صانعا * لمن ليس منه حين تدوى سائرته؟

وقال أيضا

ألا قبَحَ الله الضرورةَ إنها * تكلف أعل الخلق أدنى الخلاق!

وقال أيضا

وكم قائل قد قال مالك راجلا؟ * فقلت له من أجل أنك فارس!

وقال أيضا

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا

• ابن طباطبا العلوي: هو أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي الأصهباني يقول

إن في نيل المني وشك الردي * وقياس القصد عند السرف

كمراج دهنه قوت له * فاذا غرقته فيه طغى

وقال أيضا

لقد قال أبو بكر * صوابا بعد ما أنصت

خرجنا لم نصد شيئا * وما كان لنا أفث

١٠

وقال أيضا

يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا * عاما ورد من الصبا أياما!

منصور الفقيه المقرئ يقول

يا من يخاف أن يكو * ن ما أخلف سرمدًا

أما سمعت قولم * إن مع اليوم غدا!

١٥

وقال أيضا

الملح يصلح كل ما * يُخشى عليه من الفساد

فاذا الفساد جرى عليه * لحكه حكم الرماد

وقال أيضا

كل مذكور من الناس اذا ما * قصدوه صار في حكم الرماد

٢٠

وقال أيضا

كل مذكور من الناس انا ما قدوه
صار في حكم حديث * حفظوه ونسوه

وقال أيضا

كل من أصبح في دهره من قد تراه
هو من خلقك مقرا * ض وفي الوجه مرآة

ابن بسام : هو علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام كنيته أبا الحسن يقول
* وكم أمانة جلبت منية *

وقال

ولولا الضرورة ما جئكم * وعند الضرورة يؤتى الكيف

وقال أيضا

قل لأبي القاسم المربى * قابلك الدهر بالسجائب
مات لك أب وكان زينا * وعاش ذوالشين والمعائب
حياة هذا كوت هذا * فلست تحملون المصائب

وقال أيضا

رب يوم بكيت منه فلما * جزت في غيره بكيت عليه

وقال أيضا

قد يحمل الشيخ الكي * جنازة الطفل الصغير

جملعة : هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك

النديم يقول

* والساكين أيضا بالندى ولع *

وقال أيضا

* وآفة التبرُّعُفُ متقدمة *

وقال أيضا

* متى يلتقى الميتُ والفاسلُ؟ *

وقال أيضا

لا تمدتَ للزمان صديقا * وأعد الزمان للأصدقاء

وقال أيضا

وما كذب الذى قد قال قبل : * اذا ما مرَّ يوم مرَّ بعضى

وقال أيضا

اذا الشهر حلَّ ولا رزق لى * فسدَّى لأيامه باطل

وقال أيضا

واذا جفانى جاهل * لم استخر ما عشتُ قطعة

وجعلته مثل القبو * رأزوره فى كل جمعة

الصنوبرى يقول

يحنُّ الفقى يُخبرن عن فضل الفقى * كالنار مخبرةً بفضل المنبر

وقال أيضا

ربَّ حال كأنها مُنَّعَبُ الديباج صارت من رقة كاللاد^(١)

وزمانٍ مثل أبنة الكرَّم حسنا * عاد عند الميون مثل الذاذى^(٢)

أو ما من فساد رأى الليالى * أن شعرى هذا وحالى هذى!

(١) اللادة : ثوب حريراً حرصيناً واجمع : لاذ .

(٢) الذاذى : شراب الفساق .

أبو الفتح كُشاجم : هو محمود بن الحسين بن السدي بن شاهك ، وشاهك أته
يقول

يُعاد حديثه فيزيدُ حُسنا * وقد يُستقحُ الشيءُ المُعادُ

وقال أيضا

• شُخص الأناثُ الى جمالكَ فاستعِدَّ * من شرِّ أعينهم بعيبٍ واحد!

•••

ومما يمثِّل به من أشعار المولَّدين : منهم

أبو فراس الحمداني

غنى النفس لمن يعقُل خير من غنى المالِ

١٠ وفضل الناس في الأنفُس ليس الفضل في الحالِ

وقال أيضا

ونحن أناسٌ لا توسِّطُ عندنا * لنا الصِّدِّدون العالمين أو القبرُ

تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومَن خطبَ الحِسناءَ لم يغلِه المهرُ

وقال أيضا

١٥ وتدعو كريمةً من يهودِ جماله * ومَن يبذل النفسَ النفيسةَ أكرمُ

وقال أيضا

وجيلُ الصِّدِّق غير جميل * وقبيحُ الصِّدِّيق غير قبيح!

أبو الطيب المتنبي يقول

• مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ •

وقال أيضا

* إن المعارف في أهل النهى ذمٌ *

وقال أيضا

* وخير جليس في الزمان كتابٌ *

وقال أيضا

* وتأبى الطبائع على التأقيل *

وقال أيضا

* ومنفعة الفوت قبل المطب *

وقال أيضا

* ومن فرح النفس ما يقتل *

وقال أيضا

* اذا عظم المطلوب قلّ المساعد *

وقال أيضا

* أنا الفريق لما خوف من الليل *

وقال أيضا

* فإن الرفق بالجاني عتابٌ *

وقال أيضا

* بغيض إلى الجاهل المتعاضل *

وقال أيضا

وكلّ أمرئ يولى الجميل محبٌ * وكلّ مكان ينبت العزّ طيبٌ

وقال أيضا

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعل * مضر كوضع السيف في موضع الندى
وقال أيضا :

والأمر لله، رب مجتهد * ما خاب إلا لأنه جاهد

وقال أيضا

وليس يصح في الأفهام شيء * إذا احتاج النهار إلى دليل

وقال أيضا

ومن نكدر الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقه يد

وقال

وإذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الأجسام

وقال أيضا

وإن يكن الفعل الذي ساء واحدا * فافصاله اللاتي سررن ألوف

وقال أيضا

وإذا أنتك منمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني فاضل

وقال أيضا

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له * إذا لم يكن في فصله والخلافتي!

وقال أيضا

وما يوجع الحرمان من كف حريم * كما يوجع الحرمان من كف رازقي!

وقال أيضا

إنا لنرى زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً
ذكر الفتي عمره الثاني وحاجته * ما فاته وفضول العيش أشغالاً

وقال أيضا

وقبّدت نفسي في ذراك محبة * ومن وجد الإحسان قيّداً تقيداً

وقال أيضا

ما كلّ ما يمتنى المرء يُدرّكه * تَجْمَرُ الرِّيحُ بما لا تشتهي السفنُ

السريّ بن أحمد بن السريّ الموصليّ يقول

إذا العبء الثقيل توزّعته * أكفّ القوم هان على الرقاب

وقال أيضا

فإنك كلّما استودعت سرّاً * أنتم من النسيم على الرياض

وقال أيضا

إلى كم أحبّ فيك المديح * ويلقى سواي لديك الحُبورا؟

أبو بكر محمد بن هاشم الخالديّ يقول

إن خانتك الدهرُ فكن عانداً * باليّد والظلماء والعيس

ولا تكن عبدَ المني فآلئى * رهوس أموال المفاليس

وقال أيضا

وأجّ رخصتُ عليه حتى ملّنى * والشيء مملول إذا ما يَرخُصُ

ما في زمانك ما يَصِرُ وجودُه * إن ربه إلا صديق مخلص

أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالديّ [أخوه] يقول
يا هذه إن رحْتُ في * خَلَقْتُ في ذاك حارُ
هذي المُدام هي الحليا * ة قبصها نِرْقُ و قَارُ

وقال أيضا

- صغيرٌ صرقتُ اليه الهوى * وما خاتِمٌ في سوى خِصَرِ
الخبَّازِ البلديّ : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان، نسبة الى "بلد" وهي
من بلاد الجزيرة التي منها الموصل يقول
إذا استنقلتُ أو ابضتُ خَلَقًا * وسَرَكَ بعده حتى التنادِ
فشرته بقرضِ دُرِيهمات * فإن القرضِ داعيةُ الفسادِ

١٠ أبو إسحاق الصبائي يقول

نعمُ الله كالوحوش وما تَأ * لف إلا الأَخِيرَ النِّسَا كا
تقرتها أَنامُ قومٍ وصارتُ * لأولى البرِّ والتقى أشرا كا

وقال أيضا

ومن الظلم أن يكون الرضى سُرًّا ويبدو الإنكار وسطَ النادى

١٥ وقال أيضا

الضَّبُّ والنون قد يُرْجى اتِّقاؤُهما * وليس يَرْجى اتِّقاءُ اللَّبِّ والنَّهْبِ
عبد العزيز عمر بن نُباته يقول

فلا تَحْقِرَنَّ مدوًا رماك * وإن كان في ساعديه قِصَرُ
فإن السيوفَ تَحْزِرُ الرقابَ * وتَجْزِرُ عما تال الإبر

وقال أيضا

مثل خلعتُ على الزمان وداءه * عَوَزَ الدرهم آفةُ الأجواد

وقال أيضا

يهوى الثناء مُبرِّز ومُقَصِّر * حُبُّ الثناء طبيعة الإنسان

وقال أيضا

وَتَبَّتْ بنا أرضُ العِراءِ * قِ لِمَا جَعَلَهَا بِمُجْنَه

غير الرحيل، كفى البلا * د بِرَحَلَةِ العِجْفَاءِ هُجْنَه

ابن لنكك البصريّ : هو أبو الحسين محمد بن محمد يقول

وماذا أُرَجَى من حياةٍ تَكَدَّرَتْ ؟ * ولو قد صفت كانت كأضغاث أحلام

وقال أيضا

عَدْنَا في زماننا * عن حليث المكارم

من كفى الناس شره * فهو في جود حاتم

وقال أيضا

جار الزمانُ علينا في تَصَرُّفه * وأى دهرٍ على الأحرار لم يَحْسِرْ

عندى من الدهر ما لو أَتَ أيسره * يُلْقَى على القَلَكِ الدُّوَارُ لم يَدِرْ

أبو الحسن عبد الله بن محمد بن محمد السلامي يقول

تَبَسَّطْنَا على الأيام لما * رأينا الغفون ثمر الذنوب

وقال أيضا

والمرء ما شغلته فرصة لذة * ناسى الحوادث آمن الحِذَانِ

وقال

وكان رقادى بين كآيس وروضة * فصار سُهادى بين طرف وصارم

وقال أيضا

ركوبُ الهولِ أركبك المذاكى * ولَيْسَ الدرعُ ألبسك الغلائلُ

أبو الفرج الببغا يقول

ما الذل إلا تحمّل المنى * فكن عزيزًا إن شئت أوفهن

وقال أيضا

ومن طلب الأعداء بالمال والظلمى * وبالسعد لم يبعد عليه مرأى

وقال أيضا

ولم أر مُد عرفتُ محلّ نفسى * بلوغُ منى تساوى حملَ منى

وقال أيضا

أكلُ وميضِ بارقة كذوبٍ * أما فى الدهر شئٌ لا يريب؟

ابن سكرة الهاشمي : هو محمد بن عبد الله يقول

* وعلة الحال تُنسى علة الجسد *

وقال أيضا

* وقد ينبت الشوك بين الأقاحى *

وقال أيضا

الموت أنصف حين عقل قسمة * بين الخليفة والفقير البائس

ابن الحجاج : هو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج يقول

* وربّ كلام تُستثار به الحرب *

وقال أيضا

* خُود تُرْف الى ضَرْبٍ مُقْمَد *

وقال أيضا

واللوزة المستزة يا سادى * يفسد فى الطعم بها السكر

وقال أيضا

ما زلتُ أسمع كم من واقفٍ يجهل * حتى أتيتُ فكنْتُ الواقفُ الخجلاً

وقال أيضا

وبى مرضان مختلفان حال السَّعْلِيلَة منهما يبنى بحال

إذا عالجْتُ هذا جفَّ كبدى * وإن عالجْتُ ذاك رَبِّى طحال

أبو الحسن الموسوى النقيب : هو محمد بن الحسين بن موسى يقول

أُمسيتُ أرحمُ من قد كنتُ أغبطه * لقد تهاب بين العزِّ والمُؤن

ومنظرٍ كان بالسَّراء يضحكنى * يا قرب ما عاد بالضراء يُبكىنى

وقال أيضا

والحر من حذر هوا * ن يزاول الامر الجسيا

وهو العظيم وغير بد * ع منه إن ركب العظيم

وقال أيضا

ما السُّودُّ المطلوب إلا دون ما * يُؤمى اليه السُّودد المولود

فاذا هما اتفقا تكسرت القنا * إن غالباً وتضعض الجلمسود

وقال أيضا

اشترى العز بما بيع * لما العز بنالى

بِالْقِصَارِ الْبَيْضِ إِنْ شُكِّتْ أَوْ السُّمْرِ الطَّوَالِ
لَيْسَ بِالْمُبُونِ عَقْلًا * مُشْتَرَعًا بِمَالِ
إِنَّمَا يُذْخِرُ الْمَالُ * لِحَاجَاتِ الرِّجَالِ
وَالْتَقَى مِنْ جَعْلِ الْأَفْـوَالِ أَتَمَّانِ الْمَعَالِ

أبو طالب المأموني يقول

لِي فِي ضَمِيرِ الدَّهْرِ سُرُكَايُنُ * لَا بَدَّ أَنْ تَسْتَلَّهُ الْأَفْدَارُ

وقال أيضا

وَمَا شَرَفُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِنَفْسِهِ * أَكَانَ ذَوُوهُ سَادَةً أَمْ مَوَالِيَا

وقال

١٠ إذا الْغَيْثُ وَقَى الرُّوْضَ وَاجِبَ حَقِّهِ * وَزَادَ الْغَيْثُ لِلرُّوْضِ ظِلْمًا



ابن العميد : هو أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد ، عُرف
بإبن العميد ، كان أبوه أبو عبد الله وزير مراد ويح توفى أبن العميد بالرقي في محرم
سنة ستين وثلاثمائة يقول

لَنْ يَصْرِفَ الدَّهْرُ مِنْ حَبِيَّتِهِ * أَرَبَ أَرَبٍ وَحَوْلَ ذِي حَيْلِ

١٥ أَيُّ تَمِينٍ صَفَا عَلَى كَدْرِ الدَّهْرِ وَأَيُّ التَّعِيمِ لَمْ يَزِلْ

وقال أيضا

مَنْ يُشَفِّ مِنْ ذَا بَأْسٍ مِثْلِهِ * أَثَرْتُ جَوَانِحَهُ مِنَ الْإِدْوَاءِ

داوى جوى بجوى وليس بحازم * مِنْ يَسْتَكْفِ النَّارَ بِالْحَلْفَاءِ

الصاحب بن عباد: هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد. توفي في صفر سنة خمس
وثمانين وثلاثمائة وعمره خمس وستون سنة وسمى بالصاحب لصحبة ابن العميد يقول
* بقدر المموم تكون المم * * كم صارم جرب في خنزير *

وقال أيضا

• لقد صدقوا والرافعات الى منى * بأن مودات العدا ليس تنفع
ولو أنى داريت دهرى حية * اذا استمكنت يوما من التسع تسع

الحسن بن علي بن عبد العزيز القاضى يقول

* القلب يدرك ما لا يدرك البصر * * يملك الأحرار بالإيناس *

وقال أيضا

١٠ وما أعجبتنى قط دعوى عريضة * ولو قام في تصديقها ألف شاهد !

وقال أيضا

يقولون لى فيك أنقباض وإتما * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجا
اذا قيل هذا موريد قلت قد أرى * ولكن نفس الحمر تحمل الظما

وقال أيضا

١٥ وقالوا أضطرب فى الأرض فالرزق واسع * فقلت ولكن مطلب الرزق ضيق
اذا لم يكن فى الأرض حر يئنى * ولم يك لى كسب لمن أين أرزق؟

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى يقول

* ومن عجب الأيام ترك التجب *

وقال أيضا

* لكل صناعة يوما مدبل *

٢٠

وقال أيضا

وإذا مدة الشق: تاهت * جاءه من شقائه متقاضى

وقال أيضا

عليك بإظهار التجلّد للعدا * ولا تظهرنّ منها الدنوّ تحقرا

- يديع الزمان أبو الفضل الحمّاذى، أحد بن الحسين بن يحيى بن سعيد توفى
سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة مسموما وأوفى على الأربعين سنة يقول
يا حريصا على الفنى * قاصدا بالمراصد !
لست فى سعيك الذى * خضت فيه بقاصد
إن دنياك هذه * لست فيها بخالد
بعض هذا فإنما * أنت ساج لقاصد

١٠

إسماعيل الناشئ يقول

* وللشباب نراعى حرمة الكتم *

وقال أيضا

وكنّت أرى أن التجارب عتة * نغانت قهات الناس حتى التجارب

وقال أيضا

فركضا فى ميادين الصابى * أحقّ الخليل بالركض المأر

١٥

وقال أيضا

ولا تجزعنّ على أيكّة * أبت أن تظلك أغصانها

أبو الفتح علي بن محمد البستي يقول

إذا مررت بي يوما ولم ألتخذ يدًا * ولم أستفد علما فما ذاك من عمري!

وقال أيضا

أنا كالورد فيه واحة قوم * ثم فيه لآخرين زكّام!

وقال أيضا

لا ترجُ شيئا خالصا نفسه * فالنيت لا يخلو من العيث

وقال أيضا

ولم أر مثل الشكر جنة غارس * ولا مثل حسي الصبر جنة لايس

وقال أيضا

ولن يشرب السم الزعاف أخوانجي * مديلا بدرياق لديه مجرب

وقال أيضا

ما استقامت قناة رأيت إلا * بعد أن عوج المشيب قناة

وقال أيضا

وطول حمام الماء في مستقره * ينيره لونا وريحها ومطما

وقال أيضا

إذا حيوان كان طعمة ضده * توقاه كالغار الذي يتق الحرا

ولا شك أن المرء طعمة دهره * فما باله يا ويحه يأمن الدهرا!

وقال أيضا

لا تحقر المرء إن رأيت به * دمامة أو رثامة الخلل

فالخل لا شك في ضرورته * يستأثر منه الفتى خير السل

الباب الثاني

من القسم الثاني من القرن الثاني

في أوابد العرب

ومعنى الأوابد هاهنا : الدواهي ، وهي مما حى الله تعالى هذه الأمة الإسلامية منها ، وحذر المؤمنين عنها . فقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْفَنَاءُ وَمِيسِرٌ وَالْآفَاقُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) وقال تعالى (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) وقال تعالى (إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ عَمَّا وَبَعَثْتَنَاهُ عَمَّا) وكانت للعرب أوابد جعلوها بينهم أحكاما وفسكا وضلالة وعادة ومداواة ودليلا وتفاؤلا وطيرة . فنها :

البحيرة :

قالوا : كان أهل الوري يسطون لأهتهم من اللحم ، وأهل المدر يسطون لها من الحرث ، فكانت الناقة اذا أنتجت خمسة أبطن عمدوا الى الخامس ما لم يكن ذكرا فشقوا أذنها ، فذلك : البحيرة ، فربما اجتمع منها هجمة من البحر فلا يُميز لها وبرولا يذكر عليها إن ركبت اسم الله ، ولا إن حمل عليها شيء . فكانت ألبنائها للرجال دون النساء .

الوصيلة :

كانت الشاة اذا وضعت سبعة أبطن عمدوا الى السابع ، فإن كان ذكرا ذُبح ، وإن كانت أنثى تُركت في الشاء ، فإن كان ذكرا وأنثى قيل : وصلت أخاها ، فخرّما جميعا ، وكانت منافعها ، ولبن الأنثى منها للرجال دون النساء .

السائبة :

كان الرجل يستهب الشيء من ماله ، إما ببيعة أو إنسانا ، فتكون حراما أبدا ،
منافها للرجال دون النساء .

الحامى :

كان الفعل اذا أدركت أولاده فصار ولده جدًا قالوا : حمى ظهره ، تركوه فلا يحمل
عليه ، ولا يركب ، ولا يمنع ماء ، ولا مرعى ، فاذا ماتت هذه التي جعلوها لأهلهم ،
أشترك في أكلها الرجال والنساء ، وذلك قوله تعالى (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ
خَالِصَةٌ لِّذُنُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ) قالوا : وكان
أهل المدر والحريث اذا حرثوا حرثا ، أو غرسوا غرسا ، خطؤا في وسطه خطأ ،
قسموه بين اثنين فقالوا : مادون هذا الخط : لأهلهم ؛ وما وراءه : لله ؛ فإن سقط
مما جعلوه لأهلهم شيء فيما جعلوه لله ردوه ، وإن سقط مما جعلوه لله فيما جعلوه
لأهلهم أقروه ، واذا أرسلوا الماء في الذي لأهلهم ، فاضتح في الذي سموه لله سدوه ،
وإن اغتصق من ذاك في هذا قالوا : تركوه فإنه فقير اليه ، فأنزل الله عز وجل
(وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِغْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا
فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ
مَا يَحْكُمُونَ) .

الأزلام :

قالوا : كانوا اذا كانت مداراة أو نكاح أو أمر يريدونه ، ولا يدرون ما الامر فيه
ولم يصح لهم أخذوا قداما لم فيها : أفضل ولا أفضل لا يفعل ، نعم لا خير ، شر بطيء
سريع ، فاما المداراة فإن قداما لم فيها بيضا ليس فيها شيء فكانوا يحولونها فمن خرج

سهمه فالحق له، ولتخضر والسفر سهمان؛ فيأتون السادن من سدة الأوتان فيقول السادن: اللهم أيهما كان خيراً فأخرجه لفلان، فيرضى بما يخرج له، فإذا شكوا في نسب الرجل أجالوا له القداح وفيها: صريح، وملصق؛ فإن خرج الصريح الحقهو بهم، وإن خرج الملصق نفوه، وإن كان صريحاً فهذه قداح الاستقسام.

الميسر:

قالوا في الميسر: إن القوم كانوا يجتمعون فيشترون الجزور بينهم، فيفصلونها على عشرة أجزاء، ثم يؤتى بالحرصة وهو رجل يتأله عندهم لم يأكل لحماً قط بئس، ويؤتى بالقداح وهو أحد عشر قدحاً، سبعة منها لها حظ إن فازت، وعل أهلها حرم إن خابت، بقدر مالها من الحظ إن فازت، وأربعة يتقل بها القداح، لاحظ لها إن فازت، ولا حرم عليها إن خابت.

فأما التي لها الحظ: فأولها القد في صدره حز واحد؛ فإن خرج أخذ نصيباً، وإن خاب حرم صاحبه ثمن نصيب، ثم التوأم: له نصيبان إن فاز، وعليه ثمن نصيبين إن خاب، ثم الضريب، وله ثلاثة أنصباء، ثم الحلس وله أربعة، ثم النافس، وله خمسة، ثم المسيل، وله ستة، ثم المعلّى وله سبعة. قالوا: والمسيل يسمى: المصفع، والضريب يقال له: الرقيب.

وقد جمع الصاحب بن عباد هذه الأسماء ونظمها في أبيات فقال

إن القداح أمرها عجب * القد، والتوأم، والرقيب،
والحلس، ثم النافس المصيب * والمصفع المشتر العجب،
ثم المعلّى حفظه الرقيب * هالك فقد جاء بها الترتيب،

وأما الأربعة التي يُنقل بها القِداحُ فهي : السَّقِيحُ ، وَ الْمَنِيحُ ، وَ الْمُضْعَفُ ،
وَالْوَعْدُ .

قال ابن قتيبة : والمَنِيحُ له موضعان : أحدهما لاحظٌ له ، والثاني له حظٌّ ،
فكانه الذي يُمنَحُ حظُّه ، وعلى ذلك دلَّ قول عمرو بن قبيصة
بأيديهمْ مقرومةٌ ومَنَالِيٌّ * . يمودُ بأرزاقِ العيالِ مَنِيحِها

قالوا : فيؤتى بالقِداحِ كلها وقد صرف كلُّ ما اختار من السبعة ولا يكون الأيسار
إلا سبعة ، لا يكونون أكثر من ذلك ، فإن قصبوا رجلا أو رجلين ، فأحب الباقون
أن يأخذوا ما فضل من القِداحِ ، فيأخذ الرجل القِدحَ والقِدحين فيأخذ فوزهما إن
فازا ، ويغرم عنهما إن خابا ويدعى ذلك : التَّيْمُ قال النابغة

إني أتمم أيسارى وأمتعهم * من الأيادي وأكسوا الجفنة الأدماء

فيعدوا الى القِداحِ ، فتُشدُّ مجموعة في قطعة جلدٍ ثم يمدد الى الحُرْضة فيلقف
على يده اليمنى ثوبا لئلا يحدَّسَ قِدحٌ له في صاحبه هوى ، فيحاط به في إخراجِه ، ثم
يؤقُّ بثوب أبيض يدعى . المَجْعُولُ ، فيبسط بين يدي الحُرْضة ، ثم يقوم على رأسه
رجل يدعى : الرقيب ، ويدفع ربابة القِداحِ الى الحُرْضة وهو محوّل الوجه عنها ،
والرَّبابَةُ : ما يجمع فيها القِداحُ ، فيأخذها ويدخل شماله من تحت الثوب ، فينكر
القِداحَ بشماله ، فإذا نهد منها قِدحَ تناوله فدفعه الى الرقيب . فإن كان مما لاحظٌ له
رُدَّ الى الرَّبابَةِ ، فإن خرج بعده المُتَسَيِّلُ ، أخذ الثلاثة الباقية ، وغرم الذين خابوا علامة
أنصباء من جزور أخرى ، وعلى هذه الحال يفعل بمن فاز ومن خاب ، فربما غمروا
عدة جزور ولا يغرم الذين فازوا من ثمنها شيئا ، وإما الغرم على الذين خابوا ولا يحل

لخاتنين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئا، فإن فاز قدح الرجل فأرادوا أن يبيدوا قدسه ثانية على خطر فعلوا ذلك به .

ومنها : نكاح المقت : كان الرجل اذا مات قام أكبر ولده فالتى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها، فإن لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض إخوته بمهر جديد، فكانوا يرتون نكاح النساء كما يرتون المال، فأنزل الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كُرْهًا وَلَا تَعْضِلُوهُنَّ) .

ومنها : رمى البعرة : كانت المرأة فى الجاهلية اذا توفى عنها زوجها ، دخلت حَفَشًا، والحَفَشُ : الخُص، وليست شرثاها ولم تمس طيبا ولا شيئا، حتى تمر لها سنة ثم ترقى بداية : حمار أو شاة أو طير فتفتش به أى تمسح به، فقلبا فتفتش بشيء إلا مات ، ثم تخرج على رأس الحلول ، فتعلى بعرة قبرى بها ، ثم تراجع ١٠ ماشامت من طيب أو غيره ومعنى رميها بالبعرة : أنها ترى أن هذا الفعل هين عليها مثل البعرة المرمية ، فنسخ الإسلام ذلك بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرَوْنَ أَنَّ نَفْسَهُنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) .

ومنها : ذبح العتائر : قالوا : كل من الرجل منهم يأخذ الشاة ، وتسمى العتير والمتورة فيذبحها ويصب دماها على رأس الصنم ، وذلك يفعلونه فى رجب ، والعتير ١٥ قيل : هو مثل الذبح، وقيل : هو الصنم الذى يُستَر له . قال الطرماح
* نخر صريحا مثل عاترة النبيك *

أراد بالعاترة : الشاة المتورة .

عقد السِّلج والعُشَيْر : وقد تقدم ذكره عند ذكر أسماء نيران العرب .

ذبح الظبي : كان الرجل يتنذر أنه إذا بلغت إبله أو غنمه مبلغاً فأذبح عنها كذا ،
فإذا بلغت ضئلاً منها ، وعمد إلى الظباء فيصطادها ويذبحها وفاء بالندب ، قال الشاعر
عَتَاً باطلاً وزوراً كما يُفْتَرُّ عن حَجَرِ الرِّبَيعِ الظُّبَاءُ

ومنها : حبس البلياء : كانوا إذا مات الرجل يشنون ناقته إلى قبره ، ويعكسون
رأسها إلى ذنبها ، وينقلون رأسها بوليّة وهي البردعة ، فإن أفلتت لم تُرد عن ماء
ولا مرعى ، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك ، ليركبها صاحبها في المعاد ، ليحشر
عليها ، فلا يحتاج أن يمشي ، قال أبو زيد

كالسلايا رموها في الولايا * مانحات السموم حرائل نفود

ومنها : خروج الهامة : زعموا أن الإنسان إذا قُتل ، ولم يطلب بئاره ، خرج
من رأسه طائر يسمى : الهامة ، وصاح على قبره : أسقوني ! أسقوني ! إلى أن
يطلب بئاره ، قال ذو الإصبع

يا عمرو إن لا تدع شتى ومتصتي * أضربك حتى تقول الهامة : أسقوني

ومنها : إغلاق الظهر : كان الرجل منهم إذا بلغت إبله مائة ، عمد إلى البعير الذي
أماه به ، فأغلق ظهره لثلاث ركب ، ويعلم أن صاحبه حى ظهره ، وإغلاق ظهره
أن يتزع ستائر فقرته ويعقر ستامه .

ومنها : التعمية والتفقيّة : وكان الرجل إذا بلغت إبله ألفاً فقام عين الفحل
يقول : إن ذلك يدفع عنها العين والغارة ، قال الشاعر

وهبتها وأنت ذو أمتان * تخفأ فيها أعين البهران

فإن زادت عن ألف فما العين الأخرى ، فهو التعمية .

ومنها : بكاء المقتول : كان النساء لا يبيكين المقتول إلا أن يدرك بثأره ، وإذا أدرك بثأره بكينه ؛ قال شاعر

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليات نسوتًا بوجه نهار
يمجد النساء حواسرا يندبنه * يطمئن حر الوجه بالأمهار

ومنها : رمى السن في الشمس : يقولون : إن الغلام إذا نقر ، فرمى سنه في عين الشمس بسبابة وإبهامه وقال : أبدلني أحسن منها ، أمن على أسنانه العوج ، والفلقج ، والتعل ، قال طرفة

بدلته الشمس من منيته * بردا أبيض مصقول الأثر

ومنها : خضاب النحر : كانوا إذا أرسلوا الخليل على الصيد فسبق واحد منها ، خضبوا صدره بدم الصيد ملامه له ؛ قال الشاعر

كان دماء العاديات بنحوره * عصارة حناء بشيب مرجل

ومنها : التصفيق : كانوا إذا ضل الرجل منهم في الفلاة ، قلب ثيابه ، وحبس ناقته ، وصاح في أذنها كأنه يومئ إلى إنسان ، وصفق بيديه : الوحا الوحا ، النجا النجا ، هيكل ، الساعة الساعة ، إلى - إلى ، عجل ، ثم يحرك الناقة فيبتدى ؛ قال الشاعر

وأذن بالتصفيق من ساء ظنه * فلم يدرك من أي الدين جوابها

يعنى : يسوء ظنه بنفسه إذا ضل .

ومنها : جز النواصي : كانوا إذا أسروا رجلا ، ومثوا عليه فأطلقوه ، جزوا ناصيته ووضعوها في الكائنة ؛ قال الحطيئة

قدنا سلولَ فسألوا من كانتهم * مجدا تليدا وتبلا غير أنكاس
يعنى بالتبيل : الرطال ، وقالت الخنساء
جززا نواصى فرسانهم * وكانوا يظنون أن لا مجزا

ومنها : كى السليم عن الجرب : زعموا أن الإبل اذا أصابها العر فاخذوا
الصحيح وكواه زال العر عن السقيم ، قال النابغة

وكلفتني ذنبَ امرئ وتركته * كذى العر يكوى غيره وهو راع
ويقال : إنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويقولون : تؤمن معه العدوى .

ومنها : ضرب الثور : وزعموا أن الجن تركب الثيران فتصد البقر عن الشرب ،
قال الأعشى

وإني وما كلفتاني وربكم * ليعلم من أمسى أعق وأحويا
لكالثور والجنى يركب ظهره * وماذنبه إن عافت الماء مشربا
وماذنبه إن عافت الماء باقر * وما إن تعاف الماء إلا ليضربا

وقال آخر

كذلك الثور يضرب بالهراوى * اذا ما عافت البسقر الظأ

ومنها : كعب الأرنب : كانوا يلقونه على أنفهم ويقولون : إن من فعل
ذلك لم تصبه عين ولا سحر ، وذلك أن الجن تهرب من الأرنب ، لأنها ليست من
مطايا الجن لأنها تحيض ، قال الشاعر

ولا ينفع التشهير إن حم واقع * ولا زمرح يعنى ولا كعب أرنب

وقيل لزيد بن كُثَّوَة : أحقُّ ما يقولون : إن من خلق على نفسه كعباً أربب لم يقربه جنَّانُ الحى وعُجَّارُ الدار ؟ فقال : إى والله ! ولا شيطان الخمَّاطة ، الخمَّاطة : شجرة التين ، وجان العُشْرة ، وغول العُقر ، وكلُّ الخوافى ، إى والله يطفى نيرانَ السَّعالي .

- ومنها : حيض السُّمُرة : يزعمون أن الصبي إذا خيف عليه نظرة أو خطفة ، فمَلَقَ عليه سَنَ ثعلب ، أو سَنَ هرة ، أو حيض سُمُرة ، أمن ، فإن الجنَّة إذا أرادته لم تهدر عليه ، فإذا قال لها صواحباتها في ذلك ، قالت
كَانَتْ عَلَيْهِ نُفْرَةٌ * ثَعْلَابٌ وَهَرَّةٌ
* والحيض حيض السُّمُرة *

- ١٠ • ومنها : الطاروف والمطروف : يزعمون أن الرجل إذا طرف عين صاحبه ، فهاجت فمسح الطاروف عين المطروف سبع مرات وقال في كلِّ مرة : بإحدى جامت من المدينة ، بأفقى جاءتا من المدينة ، بثلاث جئن من المدينة ، إلى سبع ، سكن هيجانها . ومنها : وطء المقاتليت : يزعمون أن المرأة المقلات إذا وطئت قتيلاً شريفاً بنى أولادها ، وفي ذلك يقول بشر بن أبى خازم

١٥ تظلُّ مقاتلتُ النساءِ يطأنه * يقلن ألا يُلقَى على المرءِ مِثْرٌ

ومنها : تعليق الحلَى على السليم : كانوا يلقون الحلَى على المسجوع ويقولون إنه إذا علَّقَ عليه أفاق ، فيلقون عليه الأُسُورة والرِّعَاط ، ويتركونها عليه سبعة أيام ويمنع من النوم ، قال النابغة

يُسَبِّهُ في وقتِ العشاءِ سليمُها * لَحْلُ النساءِ في يديهِ قَمَاعُ

ومنها : ذهاب الخلد : يزعمون أن الرجل اذا خدرت رجله فذكر أحب الناس اليه ذهب عنه ؛ قال كثير

اذا خدرت رجل دعوتك أشتى * بذكراك من مثل بها فيبون
وقالت امرأة من كلاب

اذا خدرت رجل ذكرْتُ ابن مصعب * فإن قلت : عبدالله ، أجل ثورها
وقيل ذلك لابن عمرو قد خدرت رجله فقال : يا عمده .

ومنها : الحلا : زعموا أنه اذا ظهرت بشفة السلام بشور ، يأخذ مُنْخَلا على رأسه ويمز بين بيوت الحى ، وينادى : الحلا الحلا ، فيلقى في منخله من ما هنا ثمرة ، ومن ما هناكسرة ، ومن ثم بضمة لم ، فاذا امتلأ ، تته بين الكلاب ، فيذهب عنه البقر ، وذلك البثر يسمى : الحلا . ١٠

ومنها : التعشير : يزعمون أن الرجل اذا أراد دخول قرية ، يخاف وبأما ، فوقف على بابها قبل أن يدخلها فمُشْرِكاً ينهى الحمار ، ثم دخلها لم يصبه وبأها ، قال عروة ابن الورد

لعمري لئن عشت من خشية الردى * نهاق الحبير انى للجزوع !
ومنها : عقد الرِّم : كان الرجل منهم اذا أراد سفرا ، عمد الى رِيم ففقدته ، والرم : بنت ، فإن رجع ورأه معقودا ؛ زعم أن امرأته لم تحنه ، وإن رآه محلولاً زعم أنها قد خانتها ؛ قال الشاعر

هل ينفعنك اليوم إن همت بهم * كثرة ما توصى وتعقد الرِّم ؟
وقال آخر

خاتمه لما رأت شيئا بمفرقه * وغرّه حلقها والعقد للرِّم ٢٠

ومنها : دائرة المهقوع : وهو الفرس الذى به الدائرة التى تستنى : المحقعة ،
يرعون أنه اذا عرق تحت صاحبه ، آغلت حليته وطلبت الرجال ؛ قال الشاعر
اذا عرق المهقوع بالمرء انعطت * حليته وازداد حراً عجائبا

ومنها : شق الرداء والبرقع : زعموا أن المرأة اذا أحببت رجلا أو أحبها ثم لم
تسقى عليه ردامه ، ويشق عليها برقعها ، فبد حبها ، فاذا فعل ذلك دام حبها ؛
قال الشاعر

اذا شق برد شق بالبرد برقع * قوالك حتى كلنا غير لابس
فكم قد شققنا من رداء حبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس

ومنها : نوء السماء : كانوا يكرهونه ويقولون فيه داء الإبل ؛ قال الشاعر
ليت السماء ونوءه لم يخلق * ومشى الأقرب في البلاد سليما
ومنها : النسب : وقد تقدم خبره في الفن الأول من الكتاب .

ومنها : وأد البنات : وقد نهام الله عز وجل عنه في قوله : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) . وكانوا يقتلوهن خشية الإملاق أو من الإملاق ؛
وقد قيل : إنهم كانوا يقتلوهن خوف العار أو أن يسبين ، فن قتلهم خشية الإملاق
ما روى عن صمصمة بن ناجية المباشى جد الفرزدق : أنه لما أتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني كنت أعمل عملا في الجاهلية ، أفينفعني ذلك
اليوم ؟ قال : وما عملك ؟ قال : أضللت ناقتين عشراوين ، فركبت جملا ومضيت
في بنائهما قرع لي بيت جريد ، فقصدته فلذا رجل جالس بفنائهما ، فسألته عن الناقتين ،
فقال : ما نارهما ؟ قلت : ميسم بن دارم ، قال : هما عندى ، وقد أحيا الله تعالى

بهما قوما من أهلك من مضر، وإذا عجوز قد خربت من كسر البيت، فقال لها :
 ما وصّمت؟ فان كان سقبا شاركا في أموالنا، وإن كانت حائلا وأدناها، (معنى قوله
 سقبا أى ذكرا، وحائلا أى أنثى) فقالت العجوز : وصّمت أنثى، قلت : أنعيمها؟
 قال : وهل تبيع العرب أولادها؟ قال قلت : أحكم، قال بالتقين والجمل، قلت :
 لك ذلك ، على أن تبغنى الحمل وإياها ففعل ، فأمنت بك يا رسول الله ، وقد
 صارت لى سنة على أن أشتري كل مودة بنتايتين عشاوين وجمل ، فعندى الى
 هذه الغاية ثمانون ومائتا مودة قد أقتذتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 لا ينفعك ذلك ، لأنك لم تبغ به وجه الله تعالى ، وإن تعمل في إسلامك عملا
 صالحا تُثب عليه ، ففى ذلك يقول الفرزدق مقتخرا

وجدى الذى منع الواثدين * وأحى الوثيد فلم تؤمِد!

ومن قتلهم خشية العار : قيس بن حاصم المقرئ وكان من وجوه قومه ومن قوى
 الأموال فيهم وكان يثد بناته وسبب ذلك : أن النعمان بن المنذر لما منعه بنو تميم
 الإناوة التى كانت تؤدّيها له جهز اليهم أخاه الريان بن المنذر، ومعه بكر بن وائل
 فنزاهم ، فاستاق النعم وسبي الذراري ، فوفدت اليه بنو تميم فلما رأها أحب البقاء
 عليها ، فقال النعمان

ما كانت ضرتى لو تعمدها * من فضلنا ما عليه قيس غيلان

فأتاب القوم وسألوه النساء ، فقال النعمان : كل امرأة اختارت أباه ردت اليه
 وإن اختارت صاحبها تركت عليه ، فكلهن اخترن أباهن إلا ابنة لقيس بن حاصم
 اختارت صاحبها عمرو بن المشرج ، فنذر قيس لا يولد له أبنة إلا قتلها ، فأعتل
 بهذا من وأد فزعم أنه حية .

الباب الثالث

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أخبار الكهنة

- ويتصل به الزجر والفعال والطيرة والفِراسة والذكاء ، وكانت كهنة العرب
- لم أتباع من الشياطين يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار ، فيلقونها لمن يقيمهم ،
- ويسألم عن خفيات الأمور حتى جاء الإسلام ، فُنعت الشياطين من استراق
- السمع ، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمِعْ أَلاَّ نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ إِمْدًا) فبعد ذلك أقطعت الكهانة فلم يسمع في الإسلام
- بكهن ، وهذا من معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوال الإشكال
- في الوحى . فمن أخبار الكهنة ، خبر سطيج الكاهن حين ورد عليه ابن أخته عبدالمسيح
- وهو يعالج الموت ، فأخبره خبر ما جاء لأجله ، وذلك أنه لما كانت الليلة التي ولد
- فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرتجس إيوان كسرى ، وسقط منه أربع عشرة شُرفة ،
- ومحدث ناز فارس ، ولم تكن تحدث قبل ذلك بألف عام ، وغارت بحيرة ساوة ، ورأى
- الموبدان إبلا صابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس ،
- فلما أصبح كسرى تصبر تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ومُرزبته ، فلبس
- تاجه ، وقعد على سريره ، وجمعهم وأخبرهم الخبر فينأى عن ذلك إذ ورد عليهم كتاب
- بمخود النار فأزداد غما وسأل الموبدان وكان أعلمهم فقال : حادِثٌ يكون من قبل
- العرب ، فكتب كسرى الى الثمان ابن المنذر : أن وجهه الى رجلا عالما بما أريد أن

أَسْأَلُهُ عَنْهُ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ حَسَّانَ بْنِ ثَقِيلَةَ الْفَسَّانِي فَقَالَ لَهُ كَسْرَى :
عِنْدَكَ عِلْمٌ بِمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ ؟ قَالَ : لِيُخْبِرَنِي الْمَلِكُ فَإِنْ كَانَ عِنْدِي مِنْهُ عِلْمٌ ،
وَلَا أَخْبَرْتُهُ بَيْنَ يَمِينِهِ ، فَأَخْبِرُهُ بِمَا رَأَى فَقَالَ : عِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَ خَالٍ لِي يَسْكُنُ مَشَارِقَ
الشَّامِ يُقَالُ لَهُ : سَطِيطٌ ، فَارْسَلَهُ كَسْرَى إِلَيْهِ فَوَرَدَ عَلَى سَطِيطٍ وَقَدْ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ
فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَحَيَّاهُ فَلَمْ يُجِبْ سَطِيطٌ جَوَابًا فَأَنْشَدَ يَقُولُ

أَحْمُ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمْنِ * أَمْ فَازَ فَأَزَلَّمْ بِهِ شَأْوُ الْعَنَنْ ؟
يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أَعَيْتَ مَنْ وَمَنْ * وَكَاشَفَ الْكُرْبَةَ عَنْ وَجْهِ الْعَضَنْ
أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَتَنْ * وَأَتَمَّهُ مِنْ آلِ ذُتْبِ بْنِ حَجَنْ
أَزْرَقَ تُمُوهَى النَّابِ صَرَارَ الْأُذُنْ * أَبْيَضَ فَضْفَاضَ الرِّدَاءِ وَالْبِدَنْ
رَسُولُ قَيْلِ الْعُجْمِ يَسْرَى بِالْوَسَنْ * لَا يَرْهَبُ الرِّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنْ
يَجُوبُ فِي الْأَرْضِ عَلَى ذَاتِ شَجَنْ * تَرْفَعُنِي وَجَنَّا وَتَهْوِي بِي وَجَنْ
حَتَّى أَتَى عَارِي الْحَاجِي وَالْقَطَنْ * تَلْفَهَ فِي الرِّيحِ بَوَغَاءُ الدَّمَنْ
كَأَنَّمَا حُشِيتَ مِنْ حِضْنِي نَكَنْ *

فَفَتَحَ سَطِيطٌ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : عَبْدُ الْمَسِيحِ ، عَلَى بَجَلٍ مُشِيحٍ ، أَتَى إِلَى سَطِيطٍ ، وَقَدْ أَوْفَى
عَلَى الضَّرِيحِ ، بِمَنْكَ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ ، لَا كَرْتَجَاسَ الْإِيوَانَ ، وَنَحْوَدَ النِّيرَانَ ، وَرَوْيَا
الْمُؤَبَّدَانَ ، رَأَى إِبِلًا صَعَابًا ، تَقْوَدُ خَيْلًا عِرَابًا ، قَدْ قَطَعَتْ دِجْلَةً وَأَنْعَشَتْ فِي بِلَادِ
فَارِسَ ، يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ إِذَا كَثُرَتْ التَّلَاوُهِ ، وَبُعِثَ صَاحِبُ الْهَرَاوِهِ ، وَفَاضَ وَادِي
السَّمَاءِ ، وَظَاصَتْ بِحِيرَةُ سَاوِهِ ، وَنَحْدَتِ نَارُ فَارِسَ ، فَلَيْسَ الشَّامُ لِسَطِيطٍ شَامَا ،
وَلَا بَابِلُ لِلْفَرَسِ مُقَامَا ، يَمْلِكُ فِيهِمْ مَلُوكٌ وَمَلِكَاتُ ، بَعْدَ الشُّرَفَاتِ ، وَكُلُّ مَا هُوَ
أَتَى أَتَى ، ثُمَّ قَضَى سَطِيطٌ لَوْقَتَهُ ، فَتَارَ عَبْدُ الْمَسِيحِ إِلَى رَحْلِهِ وَهُوَ يَقُولُ

- شمر فإنك ماضى العزم شمر * لا يفزعك مخربك وتغير
 إن كان ملك بنى ساسان أفرطهم * فإن ذا الدهر أطوار دهاير
 فربما ربما أضوا بمثله * تهاب صولم الأسد المهاير
 منهم أخوال الصرح بهرام وإخوته * والمهرمان وسابور وشابور
 والناس أولاد علات فن علموا * أن قد أقل فحقور ومهجور
 وهم بنو الأم أنا إن وأوا نشبا * فذاك بالنيب محفوظ ومنصور
 والخير والشر مقرونان في قرن * فالخير متبع والشر محذور
 فلما قص الخبر على كسرى قال : الى أن يملك منّا أربعة عشر تكون أمور؛ فلك
 منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون الى زمن عثمان رضى الله عنه .

- ومن أخبارهم : أن سعدى بنت كرز بن ربيعة كانت قد تطرقت وتكهنّت
 وهى خالة عثمان بن عفان رضى الله عنه، روى عنه أنه قال : لما زوّج النبي صلى الله
 عليه وسلم أبنته رقية من عتبة بن أبي لهب وكانت ذات جمال رائع، دخلت الحسرة
 أو كالحسرة أن لا أكون سبقت إليها ثم لم ألبث أن أنصرفت الى منزلى فالفيت
 خالى فلما رأتى قالت

- أبشروحيث ثلاثا تدرى * ثم ثلاثا وثلاثا أخرى
 ثم يا أخرى كي تمّ عشرا * أناك خير ووقيت شرا
 نكحت والله حصانا زهرا * وأنت يكرؤلقت يبكرا
 وافتها بنت نفوس قدرا * بنت نجي قد أشاد ذكرا
 قال عثمان : فجيبت من قولها، وقلت : ماذا تقولين ؟ فقالت
 عثمان يا ابن أخت يا عثمان * لك الجمال ولك البيان

هذا نبي معه البرهان * أرسله بحقه الديان

وجاءه التنزيل والفرقان * فأتبعه لا تحالت الأوثان

فقلت : يا خالة ! إنك لتذكرين ما قد وقع ذكره في بلدنا فأنتبيه لي ، فقالت :
إن محمد بن عبد الله رسول من عند الله ، جاء بتنزيل الله ، يدعو إلى الله ، مصباحه
مصباح ، وقوله صلاح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، وقرنه نطاح ، ذلت له البطاح ،
ما ينفع الصباح ، لو وقع الذباح ، وسلت الصفاح ، ومدت الرياح ، قال : ثم قامت
فأنصرفت ووقع كلامها في قلبي ، وجعلت أفكر فيه ، وذكر بعد ذلك إسلامه وترويعه
رقية ، فكان يقال : أنهما أحسن زوجين أنفاقا وجمالا .

ومنها أن هند بنت عتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المغيرة ، وكان من قتيان
قريش ، وكان له بيت الضيافة ، خارجا من البيوت ، تغشاه الناس من غير إذن ، ونفلا
البيت ذات يوم وأضطجع هو وهند فيه ، ثم نهض ليمض حاجته ، وأقبل رجل ممن
كان ينشئ البيت فوقه ، فلما رآها ولّى هاربا وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها
برجله وقال لها : من هذا الذي نخرج من عندك ؟ قالت : ما رأيت أحدا ،
ولا أنتهت حتى أنبهتني ! فقال لها : أرجعي إلى أبيك ، وتكلم الناس فيها ، فقال
لها أبوها : يا بنية ! إن الناس قد أكثروا فيك ، فأنبئني نبأك ، فإن يكن الرجل
عليك صادقا دسست عليه من يقتله ، فتقطع عنك المقالة ، وإن يك كاذبا حاكته
إلى بعض الكهان ، فقالت : لا والله ! ما هو علي بصادق ، فقال له : يا فاكه ! إنك
قد رميت أبتى بأمر عظيم ، فحاكني إلى بعض كهّان اليمن ، فخرج الفاكه في جماعة
من بني مخزوم ، وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ، ومعه هند ونسوة ، فلما
شارفوا البلاد ، وقالوا : غدا نرد على الرجل ، تنكرت حال هند ، فقال لها عتبة : إني أرى

(٧)

ما بك من تنكر الحال، وما ذاك إلا لمكروه عندك، فهلا كان هذا قبل أن يشتهر عند الناس مسيرنا؟ فقالت: لا والله! ولكني أعرف أنكم تأتون بشرًا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمى مؤمنا يكون على سبة فقال: إني سوف أختبره لك، فصفر لفرسه حتى أدلى ثم أدخل في إحليله حبة حنطة وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على الرجل فآكرمهم ونحر لهم، فلما تفقدوا قال له عتبة: قد جئتلك في أمر وقد خباناك خيبتا أختبرك به، فانظر ما هو؟ فقال ثمره، في كرهه. قال إني أريد أئين من هذا، قال: حبة برء في إحليل مهر، قال: أنظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، أنهض، حتى دنا من هند فقال لها: أنهض غير رجاء ولا زانية، ولتلدن ملكا اسمه معاوية، فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها بلقبت يدها من يده وقالت: اليك عني فوائقه لأحرصن أن يكون من غيرك؛

١٠

فترجها أبو سفيان .

ومنها . أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المنافرة، فقال هاشم: إني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق، نحرها بمكة أو الجلاء عن مكة عشرين، فرضى أمية وجعل بينهما الخزاعي الكاهن ونحرا إليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا: نحبا له خبيثا فان أصابه تحاكنا إليه، وإن لم يصبه تحاكنا إلى غيره، فوجدوا

١٥

أبا همهمة وكان معهم أطباق بججمعة، فأسكها معه ثم أتوا الكاهن فأناخوا بياحه وكان منزله بسفان: فقالوا: إنا قد خباناك خبيثا فأنبئنا عنه . قال: أحلف بالضوء والظلمة، وما بهامة من تمه، وما بنجد من أكه، لقد خبانكم إلى أطباق ججمه، مع الفلتاح أبي همهمه، فقالوا: صدقت أحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أيهما أشرف بيتا ونفسا، قال: والقمر الباهر،

٢٠

والكوكب الزاهر ، والقناع الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما آتدى بعلم مُسافر ،
من مُنجد وغائر ، لقد سبق هاشم أُمّة الى المائر ، أولا منه وآخره فأخذ هاشم
الإبل ونحرها وأطعمها من حضر ونرج أُمّة الى الشام فأقام بها عشر سنين ، فيقال :
إنها أول عداوة وقعت بين بنى هاشم وبين بنى أُمّة .

ومنها : أن بنى كلاب وبنى رباب من بنى نضر خاصوا عبد المطلب في مال قريب
من الطائف فقال عبد المطلب : المال مالى فسلوني أعطكم ، قالوا : لا ، قال : فاختاروا
حاشميا قالوا : ربيعة بن حُذار الأسدي قراضوا به وعقلوا مائة ناقة في الوادي
وقالوا : الإبل والمال لمن حُكم له ، ونحروا ونرج مع عبد المطلب حرب بن أُمّة
فلما نزلوا بربيعة بث اليهم يمزائر فنحرها عبد المطلب ، وأمر فصنع جزوا وأطعم
من أماء ، ونحر الكلابيون والنضريون ووشقوا قليل لربيعة فقال : إن عبد المطلب
أمر من ولد خزيمه فحق يملق يصله بنو عمه وأرسل اليهم أن أخبروا لى خبيثا فقال
عبد المطلب : قد خبأت كلبا اسمه سوار في عقه قِلادة ، في خرزة مزادة ، وضممتها
بعين جرادة ، فقال الآخرون : قد رضينا ما خبأت وأرسلوا الى ربيعة فقال : خبا ثم خبيثا
حيا قالوا : زد ، قال : ذو برثن أغبر ، وبطن أحمر ، وظهر أُمير ، قالوا : قربت ، قال : سما
فَسَطع ، ثم هبط فطع ، فترك الأرض بلقع ، قالوا : قربت فَطَبَّق قال : عين جرادة ،
في خرزة مزادة ، في عنق سوار ذى القِلادة ، قالوا : زه زه أصبحت فأحكم لأشدنا طمنا ،
وأوسعنا مكانا ، قال عبد المطلب : أحكم لأولانا بالخيرات ، وأبعدنا عن السوات
وأكرمنا أمهات ، فقال ربيعة : والفَسَق والشَّقَق ، والخلق المتفق ، ما لبني كلاب
وبنى رباب من حق ، فانصرف يا عبد المطلب على الصواب ، ولك فصل الخطاب ؛
فوهب عبد المطلب المال لحرب بن أُمّة .

وأخبار الكهنة كثيرةٌ نذكر منها إن شاء الله تعالى في السيرة النبوية جملةً تقف عليها في المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في السِّفر الرابع عشر من كتاب الأصل .

الزَّجَر

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في زجر الطير : إنَّ العلماء بهذا الفن قالوا : إذا خرجتَ من منزلك تطلب حاجةً ، أو تخطب امرأةً ، فنَّعَبَ غرابٌ عن يمينك وعن يسارك أو سَمَحَ أو برح فامض فإنَّكَ مُدْرِكُ حاجتك إن شاء الله تعالى ، فإن نعب أمامك أو فوقك فارجع ففيها تأخير .

وإن خرجتَ تريد خصومةً فنَّعَبَ فوق رأسك فامض فإنَّكَ مُدْرِكُ حاجتك إن شاء الله تعالى .

١٠ فإن خرجتَ تطلب دابةً فنَّعَبَ عن يمينك أو يسارك على حائط مرتفع ، فامض لحاجتك ، فإن نَّعَبَ أمامك فارجع .

وإن خرجتَ تطلب مالاً ضلَّ عنك أو سُرِقَ ، فنَّعَبَ غرابٌ على شجرة يابسة فلا تطلبه فقد استهلك وقد يأتيك بعضُه ، فإن نعب على جدار جديد أو شجرة خضراء فإنَّكَ تصيب مالك إن شاء الله تعالى .

(٢٨)

١٥ فإن خرجتَ تريد الضَّالَّ فنَّعَبَ من ورائك ، فارجع فليس لك في ذلك خيرة ، وإن نعب عن يسارك فإني خائف على نفسك إلا أن يشاء الله .

فإن خرجتَ تريد الصيد فنَّعَبَ من فوقك فارجع فإن نعب أمامك فامض فإنَّكَ تدرك خيراً .

وإن خرجت تطلب سلطاناً في طلب مال أو حاجة فنعب عن يمينك ثم طار ثم نعب أدركت منه طلبتك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد شراء شيء فنعب من يمينك فإنه صالح، وإن نعب عن يسارك فلا خير فيه .

وإن خرجت من منزلك فرأيت غراباً يسبح منقاره على الأرض فإنك تعصيب أو تأتيك هدية من مكان بعيد .

وإن خرجت تطلب حاجة فنعب عن يمينك ثم قطع الطريق إلى يسارك فنعب فإنك تدرك حاجتك عجل إن شاء الله تعالى ! فإن نعب فوق رأسك فارجع فإني أخاف عليك بعض أعدائك .

وإن خرجت تريد سلطاناً فنعب غراب وهو مستقبل الشرق فامكث يومك ذلك فإني أخاف عليك .

فإن خرجت فرأيت غراباً ينفض ريشه، فإنه يأتيك خير عاجل .

وإن خرجت تريد أرضاً بعيدة فرأيت غراباً ينفض فامض لحاجتك، فإنك تدرك أملاك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد السلطان فوقع غرابٌ على شيء فنعب ثلاث مرات فامض لحاجتك، فهو خيرٌ عاجل ويسيرٌ للخواجج إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت فرأيت غراباً ناشراً جناحيه يريد الطيران فامض، فإن نعب فارجع يومك .

وإن خرجت تريد خصومة فنعب من فوقك فامض، وإن نعب فاجابه الآخر فهو جيد صالح .

وإن خرجت تريد خصومةً فنصب من فوقك أو فتح فامض ؛ فإنك تلقى في يومك ذلك ما تريد إن شاء الله تعالى .

وإن خرج جماعةً وفيهم رجل شريف فشح غرابٌ على رأس الشريف ، ثم أتوا ملكاً فإنهم يصيبون خيراً إن شاء الله تعالى .

• وإن خرج يطلب حاجةً إلى سلطان فواجهه غراب فليمكث يومه ذلك ولا يمض في تلك الحاجة ، وإن نعب عن يمينه فقطع الطريق ثم وقع فهو يدرك حاجته .

وإن خرج يريد السلطان أو بعث إليه وهو لا يدري فرأى غراباً يطير قليلاً ، ثم يقع فيلقط من الأرض شيئاً فليمض فإنه يصيب سلطاناً أو ولي قوماً ، وإن رأى غراباً يبحث في الأرض فإن بعض أهله يموت سريعاً ، وإن رآه ينقر في الأرض فذلك ملك .

• وإن خرج فرأى غراباً يطير ثم وقع ثلاث مرات وهو ساكت لا ينعب ، فذلك غم يصيبه إلا أن يدفع الله عز وجل عنه .

وإن خرج فرآه يتفص ثم ينعب ثم يطير فذلك سلطان يناله ويتزوج ، والعلم عند الله .

وإن خرج فرأى غراباً يطير ثم يقع فذلك خير وسرور يأتيه .

• وإن خرج فرأى غراباً يطير نحو عين الشمس فذلك هم يصيبه شديد .

١٥

وإن خرج تلقى بقسراً فليرجع فإن لقي من البغال شيئاً لم يركب فليرجع والمركوبة صالحة لا بأس بها .

وإن خرج يعود مريضاً فتهق حماد عن يمينه أو عن يساره فالمريض صالح ، وإن نهق خلفه فقد أشتد بالمريض مرضه وأنا خائف عليه .

وإن خرج يريد حاجةً فاستقبله غلامٌ يبكي وهو متلطخٌ بَعْرَةٌ وهو ذاهب والغلام راجع فليمض فإن حاجته تقضى ، وإن استقبله غلامٌ يمدو ويتلَهف فإن حاجته تسرو وتطول .

وإن خرج في حاجته فرأى ورشاً يطير، يرتفع ويهبط فليمض فإن ذلك أنجح لحاجته ، وإن رآه يطير مستعلياً فليرجع ، وإن رأى حمامةً مسرولةً تطير من فوق رأسه وتدور فإن حاجته مقضيةٌ بعد بطة ومطل ، وإن رأى حمامةً هايلةً واقمةً تقع وتطير فإن ذلك خير صالح وسرور إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فاستقبلته جنازةٌ وجماعةٌ فليرجع يومه ذلك ولا يعود لحاجته فإنها غير مقضية ، فإن كانت الجنازة قد جاوزته مَدْرَةَ فليذهب لحاجته ، فإن ذلك صالح . وإن رأى نسوةً إلى المقابر وهن مقبلات نحوه فليقعد حتى يمضين عنه فإنه أنجح لحاجته وإن رآهن مُدْبِرَات فليمض في حاجته فإنها مقضية .

وإن خرج من داره فرأى في أرضها تملأ كثيراً وفي حائطها فليمض لحاجته فذلك خير وسرور يناله . فإن رأى دُباباً كثيراً مجتمعاً على حائط وهو يسمع لمن ديباً فذاك مرض يصيبه في بدنه أو يصيب بعض أهله . ومن رأى ذراً كثيراً وقرداناً فذلك فرح ورزق عاجل يناله إن شاء الله تعالى . ومن رأى دَجَاجَتَيْنِ يقتلان بنقر بعضهما فذاك يدل على أنه يقع بينه وبين أمراته كلامٌ وغضب .

وإن خرج من منزله فرأى ورشاً ين يقتلان في جَوِّ السماء رافعين وهابطين فيأتيه ما يُسْرِبُهُ . وإن رأى كلباً والكلاب تطوف حولها ويتبع بعضها بعضاً فإن كان عليه دين قضاء الله عنه وإن كانت له حاجة مهمة قضيت في وجهه ذلك وإن أراد شيئاً يسره الله له وإن أراد سفرًا تيسر له ورجع سالماً .

وإن خرج فرأى على رجل قربة ثم أنشقت فليرجع الى منزله ويتعوذ بالله من شر ذلك اليوم فإنه مكروه جدًا .

وإن خرج فرأى رجلاً وهو يريد أن يملأ قربة فليمض في حاجته فإنه فرح وسرور وخير يناله عاجلاً إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى حمرا أو بغلا عليه راوية مملوءة فشأنه غير صالح وهو مكروه ، وإن كان صاحب الراوية يريد أن يملأها فليمض لحاجته مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فرأى جملا عليه حطب أو بعض منافع الناس فهو من علامات التجاح في الخصومة والظفر العاجل إن شاء الله تعالى ، فإن رآه غير محمول عليه وعليه صاحبه فإن ذلك خير يأتيه وينى اليه بعض أهله من مكان بعيد .

قال : وأرجو أن يدفع الله ، فإن رآه مناخا يرغو فإن ذلك خير يأتيه ويخبر عن شيء مما يحب من ترويح أو غنيمة وهو صالح .

وإن خرج فرأى بيرا قد شرد ورأى من يطلبه فإن ذلك نجاة من علقه وفرح قريب إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى بيرا قد شرد فاجتمع عليه الناس فإن ذلك يدل على ظفوره بدونه وانتقامه منه فليحمد الله على ما رأى ويشكره .

ومن خرج من منزله فرأى قوداً يتقلب والناس حوله فليمض لحاجته فإنها مقضية .

وإن خرج فرأى القرد يلعب والناس مجتمعون عليه وقد صار لعبه الى أن يتقلب ظهرا بطن في الأرض فليرجع من وجهه ذلك فليس بموفق وهو مكروه .

وإن خرج من منزله فرأى غلاما يلعبون بالأكرة ويتساقون فليمض في وجهه ذلك فإنه يصيب رفسةً وشرقا وتمكنا من السلطان ويصيب مالا عظيما .

وإن خرج فراهم يلعبون بالصوالجة فهو رفسة ويدل على مال ردىء حرام يصيبه من سلطان ويركب أمرا عظيما من عمله فليتيق الله .

وإن رأى جوارى يلعبن بالطرق كأنهن يزفن عروسا فهو خير وسرور ودخول في أمر شريف وإنه يربح ربعا عظيما وهو خير الزجر .

وإن خرج فرأى عصفورين يلقتان الحب فهو صالح، وإن رأهما يتسافدان فهو خير يناله في يومه، وإن رأهما مدبرين فليمض لحاجته فإنها مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فتملق بشوبه شيء فليرجع، فإنى أكره له أن يذهب في حاجته تلك .

وإن خرج فرأى حداة تسفد حداةً وهى تصيح فهو نجاح فليمض لحاجته .

وإن خرج فمثر فلا يذهبن في تلك الحاجة وليؤخرها .

ومن الزجر ما مخرجه مخرج الكهانة .

فمن ذلك ما حكى أن أُمَيَّة بن أبى الصَّلْت التَّقَفَى بينا هو يشرب مع إخوان له في قصر عِلَّان بالطائف إذ سقط غرابٌ على شُرْفَةِ القصر فنصب نعبه فقال أُمَيَّة :

بفِكَ الكُنْكَتُ أَى التراب فقال له أصحابه : ما يقول؟ قال يقول : إنك اذا شربت

الكأس التى ببيدك متٌ ، ثم نصب نعبه أخرى ، فقال أُمَيَّة كمفاته الأولى فقال

أصحابه : ما يقول؟ قال : يزعم أنه يقع على هذه المذيلة في أسفل القصر فيستثير عظما

فيبتله فيشجى به فيموت ، فوقع الغرابُ على المذيلة فأثار العظم وأبتله فشجى

فأفات ، فأنكر أُمَيَّة ووضع الكأس من يده وتغير لونه فقال أصحابه : ما أكثر ما سمعنا

مثل هذا وكان باطلا وألحوا عليه حتى شرب الكأس قال فأغى عليه ثم أفاق فقال:
لا يرى فاعتذر، ولا قوى فاعتصر، ثم خرجت نفسه .

وزعموا أن رجلا من كعب خرج في جماعة ومعه سقاء من لبن فسار صدر يومه
فعطش فأناخ ليشرب فإذا غراب ينعب فأنار راحته ، ثم سار فلما أظهر أناخ
ليشرب، فنعب الغراب وتمزغ في التراب فضرب الرجل السقاء بسيفه فإذا فيه أسود
ضخم فقتله ، ثم سار فإذا غراب واقع على سِدْرَة فصباح به فوقع على سَلَمَة فصباح به
فوقع على محبرة فاتهى إليها فأنار كَثْرًا، فلما رجع الى أبيه قال له : إيه ما صنعت ؟
قال : سرتُ صدر يومي ، ثم انخْتُ لأشرب فنعب الغراب، قال أثرها وإلا فلست
بابي ! قال : أثرتها ، ثم انخْتُ لأشرب فنعب الغراب وتمزغ في التراب قال : أضرب
السقاء وإلا لست بابي ! قال : فعلتُ ، فإذا أسود ضخم قال : ثم مه ! قال : ثم رأيتُ
غرابا على سِدْرَة قال : أطره وإلا فلست بابي ! قال : فعلتُ فوقع على سَلَمَة قال :
أطره وإلا فلست بابي ! قال : فعلتُ فوقع على محبرة قال : أحدي بابي ! فأحدها

١٠

ومن الزجر : ما يروى أن كسرى أبرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين
بعث زاجرا ومصورا وقال للزاجر : أنظر ما ترى في طريقك عنده ، وقال للمصور :
اثنني بصورته ، فلما عاد اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها
كسرى على وسادته ، وقال للزاجر : ما رأيت ؟ فقال : لم أرها أجزره حتى الآن
وأرى أمره يعلو عليك لأنك وضعت صورته على وسادتك .

وقيل : إن كثيرا تمسق امرأة من نخاعة يقال لها : أم الحويرث ، فشبب بها فكرهت
أن يبفضحها كما فضح عزة فقالت له : إنك رجل فقير لا مال لك فابتنع مالا ،

ثم تعال فاططيني كما يخطبُ الكرامُ قال : فاحلفي لي ووثقني أنك لا تتزوجين حتى أقدم عليك خلقتُ ووثقتُ له فمدح عبد الرحمن بن الأزدي وخرج إليه ؛ فلقى طلباءً سوانح ، ولقي غراباً يفحص التراب بوجهه فتطير من ذلك حتى قدم على حتى من لمب فقال : أياكم يزجر ؟ قالوا : كلنا ! فمن تريد ؟ قال : أعلمكم بذلك ! قالوا : ذلك الشيخ المنحني الصلْب ، فأتاه فقص عليه القصة فكره ذلك له وقال : قد ماتت أو تزوجت رجلاً من بني عمها فقال كثيرٌ

تيممتُ لمباً أبتنى العلمَ عندهم * وقد رُدَّ علمُ العائِقينَ الى لمب !
فيممتُ شيخاً منهمُ ذا نحالة * بصيراً يزجر الطيرَ منحني الصلْب !
فقلتُ له : ماذا ترى في سوانح * وصوتِ غرابٍ يفحص الأرضَ بالترب ؟
فقال : جرى الطير السنيح بينها * ونادى غرابٌ بالفراق وبالسلب
فإن لا تكن ماتت فقد حال دونها * سؤال خليل باطن من بني كمب

قال : ثم مدح الرجل الأزدي فأصاب منه خيراً ، ثم قدم عليها فوجدوها قد تزوجت رجلاً من بني عمها فأخذه الهلاس فكشع جنباه بالنار ؛ فلما أندمل من علته ووضع يده على ظهره فاذا هو برقتين فقال : ما هذا ؟ قالوا : أخذك الهلاس وزعم الأطباء أنه لا علاج لك إلا بالكشع بالنار فكشعت بها فأنشأ يقول

عنى الله عن أتم الحويرث ذنبها * علام تعنقني وتكلى دوائيا ؟

ولو آذنوني قبل أن يرقوا بها * لقلتُ لهم : أتم الحويرث داثيا

وحكى أن صاحب الروم بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له : أنظر أين تراه جالسا ، ومن الى جانبه ، وأنظر ما بين كتفيه حتى الخاتم والشامة ؛ فقدم

ورسول الله صلى الله عليه وسلم على تَشْرِيزٍ واضعاً قدميه في الماء، وعن يمينه على طيه السلام، فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال : « تحوّل فانظر ما أُسْرَتْ به » فنظر ثم رجع الى صاحبه فأخبره الخبر فقال : لعلوّت أُسْرُهُ وللملكت مانت قدمي وقال : بالثمن الملو وبالماء الحياة .

- ومن الزجر : ما روى عن أبي ذؤيب الهذلي قال : إنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحى خيفةً عليه فبتُّ ليلةً نابتة النجوم طويلاً الأناة لا ينجاب ديمورها ولا يطلع نورها حتى اذا قُرب السحر غفوت فهاتف لى هاتف يقول

خَطْبُ أَجَلِ أَنَاخِ بِالْإِسْلَامِ * بَيْنَ النَّخِيلِ وَمَعْقَدِ الْآطَامِ

- ١٠ قِيضُ النَّبِيِّ عَجْدَ فَيُوتَا * تَذَرِي الدَّمْعَ عَلَيْهِ بِالسَّجَامِ

- قال أبو ذؤيب : فوُبتُ من نومي فزعاً فتنظرتُ الى السماء فلم أر إلّا سعد الذابح ففألتُ به ذبحاً يقع في العرب، وعلمتُ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد مات أو هو ميتٌ من عقه، فركبتُ ناقتي وسرتُ حتى أصبحتُ فطلبتُ شيئاً أزجره، فعن لى شيهمٌ قد أرم على صلٍ وهو يتلوى عليه والشيهم يقضمه حتى أكله فزجرتُ ذلك شيئاً مهماً فقلت : يتلوى الصلّ : آفتال الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أقلتُ أكل الشيهم إياه : غلبَ القائم على الأمر فحشئتُ ناقتي حتى اذا كنت بالعلبة زجرتُ الطير فأخبرني بوفاته . ونصب غراب سانحاً بمثل ذلك فتعذتُ من شرِّ ماعزٍ لى فى طريقى، ثم قديتُ المدينة ولأهلها خميج كضجيج الحجيج أهلوا جميعاً بالإحرام فقلتُ : مه ! قالوا قِيضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فحشئتُ المسجد فأصبته خالياً فأتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأصبتهُ بابه مُرْجِجاً وقد
- ٢٠

خلا به أهله فقلت : أين الناس ؟ فقيل : في سقيفة بني ساعدة صاروا إلى الأنصار
 بفئت السقيفة فوجدت أبا بكر، وعمر رضي الله عنهما ، وأبا عبيدة ، وسالمًا ،
 وجماعة من قريش ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة ومعهم شعراؤهم وأمامهم
 حسان بن ثابت ، وكُتب في ملائمتهم فأويث إلى الأنصار فتكلموا فأكثرُوا وتكلم
 أبو بكر فله من رجل لا يُطيل الكلام ويُسَمِّعُ مواضعَ الفصل ، والله لتكلم بكلام
 لم يسمعه سامعٌ إلا آتقاد له ومال إليه ، وتكلم بعده عمر رضي الله عنه بكلام دون
 كلامه ، ومدَّ يده فبايعه ، ورجع أبو بكر رضي الله عنه ورجعت معه ، فشهدتُ
 الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدتُ دفنه قال : ولقد بايع الناس
 من أبي بكر رجلا حلَّ قدامها ولم يركب دُناياها وأنصرف أبو ذؤيب إلى بادية
 وثبت على إسلامه .

ومنه : ما روى عن مُصمَّب بن عبد الله الزُّبيري أنه حَدَّثَ عن رجل قال :
 شَرَدْتُ لَنَا إِبِلٌ فَأَتَيْتُ حَلِيسًا الْأَسَدِيَّ فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا فَقَالَ لَبِنْتُ لَهُ : خُطِي ، نَغَطَّتْ وَنَظَرْتُ
 ثُمَّ أَتَقَبَضَتْ وَقَامَتْ مُنْصَرِفَةً فَنَظَرْتُ حَلِيسٌ فِي خَطِّهَا فَضَحَكَ وَقَالَ : أَتَدْرِي لِمَ قَامَتْ ؟
 قُلْتُ : لَا ، قَالَ : رَأَتْ أَنَّكَ تَعْبُدُ إِبِلَكَ وَأَنَّكَ تَتَرَوَّجُهَا فَأَسْتَحْيَتْ فَقَامَتْ ، فَفَرَجْتُ
 فَأَصْبَحْتُ إِلَى قَوْمٍ تَزَوَّجْتُهَا بَعْدَ .

الغَالِ وَالطَّيْرَةُ

حُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ لِسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ عَنَسَةٌ قَالَ سَعِيدُ لَابْنِهِ يَحْيَى : أَيُّ شَيْءٍ تَجَلَّه ؟
 قَالَ : دَجَاجَةٌ بِفَرَارِيحِهَا ، وَإِنَّمَا أَرَادَ احْتِقَارَهُ بِذَلِكَ لِأَنَّ أُمَّهُ كَانَتْ أُمَةً فَقَالَ سَعِيدُ :
 إِنْ صَدَقَ الطَّيْرُ لِيَكُونَ أَكْثَرُكُمْ وَلَدًا فَكَانَ كَذَلِكَ .

لما طلب عامر بن إسماعيل مروان بن محمد أترضه بالقيوم قوم من العرب فسأل رجلاً : ما أسمك ؟ فقال منصور بن سعد : وأنا من سعد العشرة ، فتبسم تفاؤلاً به وتيمناً وأستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة .

- ومن الطيرة : ما حكى عن بعضهم قال : حضرت الموقف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصاح به رجل من خلفه : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ! فقال رجل من خلفه : دعاه بأسم ميت ! مات والله أمير المؤمنين ، ولا يقف هذا الموقف أبدا ! فالتفت إليه فاذا هو اللهي ، فقتل عمر قبل الحول .
- وحكى أن عمر رضي الله عنه نرج الى حرة واقم فلقى رجلا من جهة فقال له : ما أسمك ؟ قال : شهاب ، قال : أين من ؟ قال : أين بحرة ! قال : ومن أنت ؟ قال : من الحرقة ! قال : ثم من ؟ قال : من بنى ضرام ! قال : وأين متلك ؟ قال : بحرة ليل ! قال : وأين تريد ؟ قال : لظى وهو موضع ! فقال عمر : أدرك أهلك ، فما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا ، قال : فأدركهم ، وقد أحاطت بهم النار .

- وقال المدائني : وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان فخرج هاربا منه فقتل قرية من الصعيد يقال لها : شكر ، فقدم عليه حين نزلها رسول لبيد الملك فقال له عبد العزيز : ما أسمك ؟ قال طالب بن مديك ! فقال : أوه ! ما أراي راجعا الى الفسطاط أبدا ، ومات في تلك القرية .

وقيل : بينا مروان بن محمد في إيوان له يُنفذ الأمور ، فأنصعدت زجاجة الأموال ، فوقعت الشمس منها على منكب مروان وكان هناك عياف فقال : صدع الزجاج

أمر منكر على أمير المؤمنين، ثم قام فاتبعه ثوبان مولى مروان . فقال له : ويحك ! ما قلت ؟ قال . قلت : صَدْعُ الزجاج صَدْعُ السلطان ، ستهب الشمس بملك مروان ، يقوم من الترك أو عُراسان ، ذلك عندى واضح البرهان ! قال : فما ورد لذلك شهران حتى ورد خبر أبى مُسلم .

• وقال إبراهيم بن المهدي : أرسل إلى محمد الأمين في ليلة مُقمرة من ليالى الصيف فقال : يا عمي ! إن الحرب بيني وبين طاهر قد سكنت فصر إلى فاني اليك مشتاق بخته وقد بُسط له على سطح ، وعنده سليمان بن جعفر ، وعليه كساءٌ رُوذباري ، وقلنسوة طويلة ، وجواريه بين يديه وضعف جاريته عنده . فقال لها : غنني فقد سررت بمومتي فأندفعت تغنيه

١٠ هُم قتلوه كي يَكُونُوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى مرآز به !
 بنى هاشم كيف التواصل بيننا * وعند أخيه سيفه ونجائبه ؟
 هكذا غتته ، وإنما هو

* وعند علي سيفه ونجائبه *

نفضب وتطير ، وقال : ما قصبتك ؟ ويحك ! غنني ما يسرتني ، ففتت
 هذا مقام مطرود * هُدمت منازل ودوره !

١٥ فازداد تطيرا ، ثم قال : ويحك ! آتيني وغني غير هذا ففتت

كُتِبَ لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر جرما منك ضرج بالدم

فقال لها : قومي الى لعة الله ، فوثبت ، وكان بين يديه قدح بلور وكان لجه إياه يسميه محمدا باسمه ، فأصابه طرف ذيلها فسقط على بعض الصواني فأنكسر ،

- فأقبل على وقال : أرى والله يا عم أن هذا آخر أمرنا ، فقلت : كلا ! بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك ، قال : ودجله والله هادئة ما فيها صوت يجدف ، ولا أحد يتحرك ، فسمعت هاتفا يهتف : (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) قال لي : سمعت يا عم ؟ فقلت : وما هو ؟ وقد والله سمعته ، فإذا الصوت قد عاد فقال : أنصرف بيتك الله بخير فحال ابن لا تكون الآن قد سمعت ما سمعت ، فأنصرفت وكان آخر المهد به .

- وشبه بهذا ما حكى عن علوية المغني قال : كنت مع المأمون لما خرج الى الشام ، فدخلنا دمشق فطفنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بني أمية ، ويتبع آثارهم ، فدخلنا مصفا من مصفونهم ، مفروشا بالرخام الأخضر ، وفيه بركة ماء ، فيها سمك ، وأمامها بستان ، فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح ودعا بالطعام والشراب ، وأقبل على فقال : غنني ونشطني ، فكان الله تعالى أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت من شعر عبد الله بن قيس الرقيات

لو كان حولي بنو أمية لم • تنطق رجال أراهم نطقوا
من كل قمر محض ضرائبه * عن منكيه القميص يفرق

- قال : فنظر الى متغصبا ، وقال : عليك وعلى بني أمية لعنة الله ، وملك ! أقلت لك سرفي أو سؤفي ؟ ألم يكن لك وقت تذكر فيه بني أمية إلا هذا الوقت تعرض بي ؟ فتجلدت عليه وعلمت أني قد أخطأت ، فقلت : أتلومني على أن أذكر بني أمية ؟ هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مائتي غلام مملوك له ، وملك ثمانية ألف دينار [وهبوا له سوى الخيل والضياع والرقيق ^(١)] : وأنا عندكم أموت

جوعاً، فقال: أولم يكن لك شيء تذكّرني به نفسك غير هذا؟ فقلت: هكذا حضّرني حين ذكّرهم، فقال: أمرض وتبّه على إرادتي وغنّ فأنساني الله كلّ شيء أحسنه إلا هذا الصوت

الحين ساق الى دمشق وما * كانت دمشق لأهلنا بلدا

قادتك نفسك فاستقدت لها * وأرتك أمر غواية رشدا

فرماني بالصدح فأخطاني وأنكسر الصدح، وقال: قم الى لعنة الله وحرّ سقر! فركب، وكانت تلك الحال آخر عهدي به حتى مرض ومات بعد ذلك بقليل .

ومثل ذلك ما حتى في قسلة المتوكل، وذلك أنه جلس يوم الأربعاء لأيام خلون من شوال سنة تسع وأربعين ومائتين وقال للفتح بن خاقان: أحب أن نصطحب؛ فأحضّر المغنين وفيهم أحمد بن أبي العلاء فقال له: غنّ فننّى يا عاقل من الملام دعاني * إك البلية فوق ماتصفان زعمت بثينة أن فرقنا غدا * لا مرحبا بعد فقد أبكاني

فتطير المتوكل منه، وقال: أحمد! كيف وقع لك أن تننّى بهذا الشعر، قال: فشغل قلب ابن أبي العلاء لما أنكر عليه، ثم ذهب ليفنّ غيره، ففناه ثانية، فقال المتوكل: نسأل الله خير هذا اليوم، وصرف المغنين وقام لصلاة الظهر، فلما فرغ قال له الفتح: يا سيدي أتميم يومك، فدعا بالشراب وقال: أين ابن أبي العلاء؟ فأحضّر فقال له: غنّ، فأغنى عليه فأعاد البيتين فأغتم المتوكل غاية الغم وقُتل في الليلة الآتية من ذلك اليوم .

قال القاضي أبو علي الجويني: حضرت بين يدي سيف الدولة أبي الحسن صدقة ابن منصور بن دؤيب، وأبنته أبو المكارم محمد إذ ذاك مريض مرضه الذي مات فيه

وقد أتى بديوان أبي نصر بن ثباته فتصقحه فوقع بيده وقال : يعزى سيف الدولة
أبا الحسن ويرث أبنه أبا المكارم محمد ، فأخذت الهبلد وأطبقت فهاد فتصقحه فخرج
ذلك ، ومن القصيدة التي عاها قوله

فَاتْ بِمَيَّا فَارِقِينَ حُصَيْرَةً * تَرَكَهَا عَلَيْهَا نَاطِرُ الْجُودِ دَامِيَا

تَضَمَّنَهَا أَيْدِي فَتَى تَكَلَّتْ بِهِ * غَدَاةُ قَوَى أَمَالِنَا وَالْأَمَانِيَا

وَلَمَّا عَدَمْنَا الصَّبْرَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ * أَتَيْنَا أَبَاهُ نَسْتَفِيدُ التَّعَاذِيَا

وحكى : أنَّ أبا الشَّحْمَقِ تَخَّصَّ مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل ،
فلما أراد الدخول إليها أَدْنَقَ لَوَاؤَهُ في أَوَّلِ دَرَبِ مِنْهَا ، فَطَطَّرَ مِنْ ذَلِكَ وَعَظَّمَ عَلَيْهِ ،
فَقَالَ أَبُو الشَّحْمَقِ

مَا كَانَتْ مَتَدَقُّ اللَّوَاءِ لِرَبِيَّةٍ * تُخَنِّتِي وَلَا أَمْرٍ يَكُونُ مَبْدَلَا

لَكِنْ هَذَا الرَّجْحُ ضَعِيفٌ مَتْنُهُ * صَفَرُ الْوَلَايَةِ فَاسْتَقِلَّ الْمُتَوَصِّلَا

فسرى عن خالد ، وكتب صاحب البريد بذلك الى المأمون ، فزاده ديار ربيعة
وكتب اليه : هذا التضعيف الموصل متن رحك ، فأعطى خالد أبا الشحيمق عشرة
آلاف درهم .

وقيل : لَمَّا تَوَجَّهَ الْمُسْتَرَشِدُ لِلِقَاءِ السُّلْطَانِ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مَلِكِ الشَّاهِ السَّالْجُوقِ ،
وَقَعَ عَلَى الشَّمْسِيَةِ الَّتِي تُرْفَعُ عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ مِنَ الْجَوَارِحِ وَالْحُجَّ ، كَلَّمَا تُقَرَّعَادُ ، فَتَضَلَّ
النَّاسُ لَهُ بِذَلِكَ وَسُرَّهَوْ بِهِ ، فَقَالَ إِنْسَانٌ يُعْرَفُ بِمَلِكْدَارٍ : هَذَا جَارِحٌ وَمَتَبَضُّ الْكَفِّ
وَلَيْسَ فِيهِ بُشْرَى بَلْ ضَعْفَا ، وَأَقْبَلَ السُّلْطَانُ فِي جَيْشِهِ فَكَانَتْ الْكَمَرَةُ وَقُبُضَ
عَلَى الْمُسْتَرَشِدِ وَقُتِلَ مِنْ بَعْدِ .

نخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد، فكان أول من استقبله أعور فأمر بضربه
وحبسه، ثم نخرج وتصيد صيدا كبيرا، فلما عاد استدعى الأعور وأمر له بصلة،
فقال الأعور: لا حاجة لي في صلتك، ولكن أئذن لي في الكلام، فقال: تكلم! قال:
لقيتني فضررتني وحبستني، ولقيتك فصددت وسأمت فأيتنا أشام؟ فضحك وخلاه.

الفراسة والذكاء

يقولون: عظم الجبين يدل على البله، وعرضه يدل على قلة العقل، وصغره على
كُلْف الحركة، والحاجبان اذا اتصلا على استقامة دلا على تخنث وأسترخاء، واذا
ترجعا نحو الصدين دلا على طئير وأستزاء، والعين اذا كانت صغيرة الموق دلت على
سوء دخلة، وخُبت شمائل، واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد، والعين
المتوسطة في حجمها دليل فطنة وحسن خُلق وصرورة، والناثئة على اختلاط عقل،
والطائرة على حدة، والتي يطول تحديقها على لجة وحمق، والتي تكسر طرفها على خفة
وطيش، والشعر على الأذن يدل على جودة السمع، والأذن الكبيرة المنتصبة تدل
على حق وهديان.

وحكى: أن أبا موسى الأشعري وجه السائب بن الأفرع في خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الى مہرجا بعد أن فتحها ودخل دار المُرُزَّان بعد أن جمع السبي
والغنائم، ورأى في بعض مجالس الدار تصاوير فيها مثال ظبي وهو مشير بإحدى يديه
الى الأرض، فقال السائب: لأمر ما صوّر هذا الظبي هكذا، إن له لسانا، فأمر
بحفر الموضع الذي الإشارة اليه فأفضى الى موضع فيه حوض من رخام، فيه سقطة
جوهر فأخذه السائب ونرج به الى عمر رضي الله عنه.

- وقيل : كان المعتضد يوما جالسا في بيت يُبنى له وهو يشاهد الصنّاع فرأى في حملتهم عبدا أسود منكرا للخلق ، شديد المرح ، يصعد على السلالم مرقاين مرقاين ويميل يضعف ما يحمل غيره ، فانكر أمره ، وأحضره وسأله عن سبب ذلك ، فجلج فقال لوزيره : قد تحمّنت في هذا نجّينا ما أحسبه باطلا ، إما أن يكون معه دنائير قد ظفر بها من غير وجهها ، أو لصا يتستّر بالعمل ، ثم قال : على بالأسود فأحضره وضربه ، وحلف إن لم يصدقه لضرب عنقه ، فقال الأسود : ولى الأمان يا أمير المؤمنين ، قال : نعم ! إلا ما كان من حدّ ، فظن أنه قد أتمه ، فقال : كنت أعمل في آتون الأجر ، منذ سنين ، فانا منذ شهور جالس إذ مرّ بي رجل في وسطه كيس فتبعته وهو لا يعرف مكانى خلّ الحميات وأخرج منه دينارا فتأثّله فاذا كله دنائير فكفّفته وسدّدته فاه وأخذت الحميان وحملته على كتفى وطرحته في التتور وطيّنت عليه ، فلما كانت بعد أيام أخرجت عظامه وطرحتها في دجلة والدنائير معى تقوى قلبي قال : فأرسل المعتضد من أحضر الدنائير ، وإذا على الكيس : لفلان بن فلان ، فنادى في المدينة ، فحضرت أمر أنه وقالت : هذا زوجى وقد ترك طفلا صغيرا خرج في وقت كذا ومعه كيس فيه ألف دينار ، فغاب الى الآن ، فلمّ الدنائير اليها وأمرها أن تتخذ ، وضرب عنق الأسود وأمر أن يوضع في الآتون .

- وقيل : جلس المنصور في إحدى قباب المدينة فرأى رجلا ملهوفاً مهموما يحول في الطرقات ، فأرسل من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنه خرج في تجارة فأفاد مالا ورجع الى منزله به ، فدفعه الى أمراته ، فذكرت المرأة أن المال سُرق ولم يرتقباً ولا تسلفاً ، فقال له المنصور : منذ كم تزوجتها ؟ قال : منذ سنة ، قال : فبكراً أو ثيباً ؟

قال ثيباً، قال : فلها ولد من سواك ؟ قال : لا، قال : شابة أم مسنة ؟ قال :
شابة، فعدا المنصور بقارورة طيب، وقال : تطيب بهذا، فهو يذهبُ همك،
فاخذها وأتقلب الى أهله، ثم قال المنصور لأربعة من ثقاته : أقعدوا على أبواب
المدينة، فمن مرَّ بكم وعليه شيء من هذا الطيب فاتوني به، وأشهم من ذلك الطيب،
ومضى الرجل بالطيب، فدفعه الى أمراته وقال : وهبه لى أمير المؤمنين، فلما شتمته
بعثت به الى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت اليه المال فتطيب به، ومرَّ مجتازاً
ببعض الأبواب، فأخذ وأتى به الى المنصور، فقال له : من أين آستفدت هذا
الطيب ؟ فلجلج لسانه، فسأله الى صاحب شرطته وقال : أن أحضر الدنانير وإلا
فاضربه ألف سوط، فإ هو إلا أن جُرد وهُدِّد، فأحضر الدنانير على حالتها فأعلم
المنصور بذلك، فعدا صاحب الدنانير وقال : أرايتك إن رددتُ عليك متاعك بعينه
أتحكمتني في أمرأتك ؟ قال : نعم ! قال : خذ دنانيرك وقد طلقتُ أمرأتك وخبره
الخبر .

ودخل شريك بن عبد الله القاضي على المهدي فأراد أن يعفّره فقال للخادم : آئت
القاضي بعود، فذهب بجاء بالعود الذي يلتهى به، فوضعه في حجر شريك، فقال شريك :
ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هود أخذه صاحب العسس البارحة فأحببنا أن
يكون كسره على يد القاضي، فقال شريك : جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين، ثم ضرب به
الأرض فكسره ثم أفاضوا في حديث آخر حتى نسي الأمر ثم قال المهدي لشريك :
ما تقول فيمن أمر ويكلاً له أن يأتي بشيء بجاء بغيره فتلف ذلك الشيء ؟ فقال :
يضمن يا أمير المؤمنين، فقال للخادم : آضمن ما تلف .

الباب الرابع

من القسم الثاني من الفن الثاني

في الكنايات والتعريض

والكنايات لها مواضع ، فأحسنها المدول عن الكلام القبيح الى ما يدل على معناه
 في لفظ أبهى منه . ومن ذلك أن يُعْلَم الرجل فلا يدعى باسمه ويكنى بكنيته ،
 أو يكنى بأسم ابنه صيانة لأسمه ، وقد ورد في ذلك كثير من آي القرآن فلهذا قوله ﴿قُلْ لَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ أي كنيأه . وقد كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على بن أبي طالب رضى الله عنه : بأبي تراب ؛ وقال البحرى

يتشاقن بالصغير المسمى * موضعات وبالكبير المكنى

وهذا يدل على أن المراد بالكنية التبجيل ؛ وقول ابن الرومى

بكت ضجوها الدنيا فلما تينت * مكانك منها آستشرت وتنت
 وكان ضيلا شخصها فتناولت * وكانت تسمى ذلة فتصكت

وقال أبو محضر الهذلى

أبى القلب إلا حبه عامرية * لها كنية : عمرو ، وليس لها عمرو

ومن عادة العرب وشأنهم ؛ استعمال الكنايات في الأشياء التى يستحي من
 ذكرها ، قصدا للتعقّف باللسان ، كما يتعقّف بسائر الجوارح ، قال الله عز وجل
 تأديبا لعباده (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) فقرن عفة البصر

بعقة الفرج ، وفي القرآن كُتِبَتْ عَلَيْهَا مِنَ الصَّرِيحِ تَزْيِهَا عَنِ اللَّفْظِ الْمُسْتَحْجَنِ ،
 كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَى شِئْتُمْ) وقال أبو عبيد : هو
 كُتَابَةُ ، شَبَّهَ النِّسَاءَ بِالْحَرْثِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَقَالُوا لِمَ لُجُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا) ،
 قِيلَ : هُوَ كُتَابَةُ عَنِ الْفَرُوجِ ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ : (يَوْمَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ
 وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى
 نِسَائِكُمْ) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
 وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) قال المفسرون : هذا تنبيه بأكل الطعام على
 عاقبة ما يصير إليه ، وهو الحَدَثُ ، لِأَنَّهُ مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ فَلَا يَدَّ أَنْ يَحْدِثَ . ثُمَّ قَالَ :
 (أَنْظِرْ كَيْفَ تُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ) وَهَذَا مِنْ أَلْفَافِ الْكُتَابَةِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (أَوْجَاءَ
 أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُ النِّسَاءَ) فَالْغَائِطُ : الْمَطْعَمُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَكَانُوا يَأْتُونَهُ
 لِحَاجَتِهِمْ وَيَسْتَتِرُونَ بِهِ عَنِ الْإِمَاكِنِ الْمَرْفُوعَةِ . وَمَنْ لَمْ يَرِ الْوُضُوءَ مِنْ لَحْسِ النِّسَاءِ
 جَعَلَ الْمَلَامَةَ هَاهُنَا كُتَابَةً عَنِ الْفِعْلِ .

وَمِنَ الْكُتَابَاتِ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَهُوَ إِنْ كَانَ قَدْ وَرَدَ فِي الْأَمْثَالِ
 أَشْبَهُ بِالْكُتَابَةِ — مِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ” إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدَّمَنِ ” يُرِيدُ بِهَا الْمَرْأَةَ
 الْحَسَنَاءَ فِي الْمَنْبِتِ السَّوِّءِ ، وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ : أَنَّ الرِّيحَ تَجْمَعُ الدَّمَنَ ، وَهُوَ الْبَعْرُ فِي الْبُقْعَةِ
 مِنَ الْأَرْضِ فَإِذَا أَصَابَهُ الْمَطَرُ نَبَتَ نَبَاتٌ غَضًّا يَهْتَزُّ وَتَحْتَهُ الدَّمَنُ الْخَلِيبُ ، يَقُولُ :
 فَلَا تَنْكَحُوا هَذِهِ الْمَرْأَةَ الْحَسَنَاءَ بِجُلَاهَا ، وَنَبَاتُهَا خَيْبٌ كَالدَّمَنِ ؛ فَإِنْ أَعْرَاقُ السَّوِّءِ
 تَزْرَعُ أَوْلَادَهَا ، وَقَالَ زُقَيْرِبْنُ الْحَارِثِ

وَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دَمَنِ الثَّرَى * وَتَبْقَى حَرَازَاتُ الثَّغْوِ كَمَا هِيَ !

وقوله صلى الله عليه وسلم : «سَمَى الْوُطَيْسَ» قاله لما جال المسلمون يوم حُنين، والوطيس : حفيرة تخفف في الأرض شبيهةً بالنتور ، وقال الحسن : لبث أيوب عليه السلام على المزبلة سبع سنين ، وما على الأرض يومئذ خلقٌ أكرم على الله منه ، فما سأل الله العافية إلا تعريضا في قوله : (إِنِّي مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) والعرب تكنى عن الفضلة المستفزة بالألفاظ كلها كنايات ، منها : الرجيعُ والنجوُّ والبرازُ والقائطُ .
والعذرةُ والحش ، فبعض هذه الألفاظ يراد بها نفس الحديث ، وبعضها يراد بها المواضع التي يأتي إليها الحديث ، وكذلك استعملوا في إتيان النساء : الجامعة ، والمرافعة ، والمباشعة ، والمباشرة ، والملامسة ، والمماسّة ، والخلوة ، والإفضاء ، والفشيان ، والتفتي ، وكل هذه الألفاظ مذكورة في القرآن .

- وحكى : أن رجلا من بني المبركان أسيرا في بكر بن وائل ، وعزموا على غزو قومه ، فسألم رسولا الى قومه ، فقالوا : لا ترسل إلا بمحضرتنا لئلا تذرهم ، وحبى بعد أسود ، فقال له : أتعقل ؟ قال : نعم إني لعاقِل ! قال : ما أراك عاقلا ! ثم أشار بيده الى الليل ، فقال : ما هذا ؟ قال : الليل ! قال : أراك عاقلا . ثم ملا كفيه من الرمل فقال : كم هذا ؟ قال : لأدرى وإنه لكثير ، قال : أبأ أكثر ؟
النجوم أم النيران ؟ قال : كلٌّ كثير ، فقال : أبلغ قومي التحية ، وقل لهم ليُكرموا فلانا ،
يعنى أسيرا كان في أيديهم من بكر ، فإن قومه لي مكرمون وقل لهم : إن العريج قد أذبي ، وشككت النساء ، وأمرهم أن يعروا ناقى الحراء ، فقد أطالوا ركوبها ، وأن يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معهم حوسا ، وآسالوا عن خبرى أحنى الحارث ؛

فلما أدّى العبد الرسالة إليهم قالوا : قد جئنا الأعور ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ، ولا جملاً أصهب ، ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فتصوّوا عليه الفِصّة ، فقال : قد أُنذركم ، أما قوله : قد أدبى المرغ ، يريد : أن الرجال قد استتلموا ولبسوا السلاح ، وقوله : وشكت النساء ، أى اتخذن الشكّاء للسفر ، وقوله : الناقة الحمراء ، أى أرحموا عن الدهناء وأركبوا الصّمان وهو الجمّل الأصهب ، وقوله : بأية ما أكلت معكم حبساً أى أخلاط من الناس وقد غزوكم ، لأن الحليس يجمع القمح والسمن والإقبط ، فأمتثلوا ما قال ، وعرفوا لحن كلامه . وحكى أبو الفرج الأصفهاني بسنده الى مجاهد ابن سعيد عبد الملك بن عمر قال : قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة ، فأرسل الى عشرة أنا أحدهم من وجوه أهل الكوفة ، فسرنا عنده . ثم قال : ليحدثني كلّ رجل منكم أحدثه . وأبدأ أنت يا أبا عمرو ، قلت : أصلح الله الأمير ، أحدث الحق أم حديث الباطل ؟ قال : بل حديث الحق ، قلت : إن امرأ القيس الى أليّة أن لا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وأثنين ، بفعل يخطب النساء فإذا سألن عن هذا ، قلن أربعة عشر ، فينأ هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يعمل ابنة له صغيرة ، كأنها البدر لثمة ، فأعجبته فسألها : يا جارية ! ما ثمانية وأربعة وأثنان ؟ فقالت : أما ثمانية فاطباء الكلبة ، وأما أربعة فأخلاق الناقة ، وأما اثنتان فتدبى المرأة ، فخطبها الى أبيها ، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، بفعل لها ذلك ، وعلى أن يسوق اليها مائة من الإبل ، وعشرة أعيد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس ، ففعل ذلك ، ثم إنه بعث عبدا له الى المرأة ، وأهدى لها نحيماً من سمن ، ونحيماً من عسل ، وحلّة من قصب ، فنزل العبد

- على بعض المياه، فنشر الحلة فلبسها فتعلقت بِسَمُرَةٍ فأنشقت، وفتح النحّين فاطلم أهل الماء منهما فتقصا، ثم قدم على حى المرأة وهم خلوف فسالها عن أيها وأمها وأخيها، ودفع إليها هديتها فقالت له : أعلم مولاك أن أبى ذهب يقرب بعيدا، ويبعد قريبا، وأن أمى ذهبت تشق النفس نفسين، وأن أنى ذهب يراعى الشمس، وأن سماءكم أنشقت، وأن وعاءيكم نضبا، فقدم الغلام على مولاه فأخبره، فقال : أما قولها : أن أبى ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا : فإن أباهما ذهب يحالف قوما على قومه، وأما قولها : ذهبت أمى تشق النفس نفسين : فإن أمها ذهبت تقبلُ امرأة نساء، وأما قولها : ذهب أنى يراعى الشمس : فإن أخاها فى سرج له يرماه، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به، وقولها : أن سماءكم أنشقت : فإن البُرد الذى بعثت به أنشقت، وأما قولها : أن وعاءيكم نضبا : فإن النحّين قصا، فاصدقنى، فقال : يامولاي !
- ١٠ إلى نزلت بماء من مياه العرب، فسالونى عن نسبي، فأخبرتهم أنى أبى عمك، وفشرتُ الحلة فلبستها وتجلتُ بها، فتعلقت بِسَمُرَةٍ فأنشقت، وفتح النحّين فاطعمتُ منهما أهل الماء . فقال : أوّلى لك، ثم ساق مائه من الإبل، وخرج ومعه الغلام ليسقى الإبل، فعجز، فأعانه أمرؤ القيس فرمى به الغلام فى البئر، وخرج حتى أتى المرأة بالإبل فأخبرهم أنه زوجها، فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى أزوى هو أم لا ؟ ولكن أنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها، ففعلوا، فأكل ما أطعموه، قالت : أسقوه لبنا حازرا (دمو الحاضر) فسقوه، فشرب، فقالت : أفرشوا له عند القرث والدم، ففرشوا له، فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : أريد أن أسألك عن ثلاث، قل : سلى عما بدا لك، فقالت : لم تخنلج شفتاك؟

قال : من تقبيل إياك ! قالت : لم تختلج فخذاك ؟ قال : لتوركي إياك ! قالت : فلم يختلج كشحك ؟ قال : لا لتراي إياك ! قالت : عليكم العبد ! فشدوا أيديكم به ، ففعلوا ، قال : ومترقوم فاستخرجوا أمراً القيس من البئر ، فرجع الى حيّه وأستاق مائة من الإبل وأقبل الى أمراءه . فقيل لما : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدري أنوبى هو أم لا ؟ ولكن آنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ؛ فلما أتوه بذلك ، قال : وأين الكبد والسنام والملحاء ؟ فأبى أن يأكل ، فقالت : أسقوه لبنا حازرا ، فأبى به ، فأبى أن يشربه وقال : أين الصريف والرئيشة ؟ فقالت : أفرشوا له عند القرث والدم ، ففرشوا له ؛ فأبى أن ينام وقال : أفرشوا لي فوق التلعة الحمراء وأضربوا عليها خباء ، ثم أرسلت اليه : هلم شريطي عليك في المسائل الثلاث ، فأرسل اليها : سليني عما شئت ، فقالت : لم تختلج شفتاك ؟ قال : لشرب المشمشات ؛ قالت : فلم يختلج كشحك ؟ قال : للبس الحبرات ؛ قالت : فلم يختلج فخذاك ؟ قال : لركض المطهومات ؛ قالت : هذا زوبى لعمرى ! فليكن به ، وأقتلوا العبد فقتلوه ، ودخل أمراء القيس بالحارية ؛ قال أبى هبيرة : حسبيكم ! فلا خير في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن يأتينا أحداً بأعجب منه ، فقمنا فانصرفنا وأمر لي بمائة .

وقيل : بعث بسمامة بن الأعور العنبري الى أهله بثلاثين شاةً ونخعي صغيريه سمن ، فسرق الرسول شاة ، وأخذ من رأس النخعي شيئا ، فقال لهم الرسول : ألكم حاجةٌ أخبرُ بها ؟ فقالت أمراءه : أخبره أن الشهر محاق ، وأن جدينا الذي كان يطالما وجدناه مرتوما ، فأرتجى منه الشاة والسمن .

وقيل : أسرت طيء غلاما ، فقدم أبوه ليفديه ، فاشتطوا عليه . فقال أبوه :
 لا والذي جعل الفرقدين يُسيان ويصبحان على جبل طيء ! ما عندى غير ما بذلت ،
 ثم أنصرف وقال : لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خير فهمه . كأنه قال : إلزم الفرقدين
 على جبل طيء ، ففهم الإبن تمريره وطرده إبلا لم من ليلته ونجا .

- ومن التخليص المتوسط اليه بالكثاية ، ما روى عن عدى بن حاتم بن عبد الله الطائي ،
 أنه قال يوما في حق الوليد بن عقبة بن أبي معيط : ألا تعجبون لهذا ؟ أشعر برّكا يؤتى
 مثل هذا المصر ، والله ما يحسن أن يقضى في تمرتين . فبلغ ذلك الوليد فقال على
 المنبر : أنشد الله رجلا سمانى أشعر برّكا إلا قام ، فقام عدى بن حاتم فقال : أيها
 الأمير ، إن الذى يقوم فيقول : أنا سميكت أشعر برّكا لجرى ، فقال له : أجلس
 يا أبا طريف ! فقد براك الله منها ، بفس وهو يقول : ما برأى الله منها .

وقيل : كان شريح عند زياد بن أبيه وهو مريض ، فلما خرج من عنده أرسل اليه
 مسروق رسولا وقال : كيف تركت الأمير ؟ فقال : تركته يأمر وينهى ، قال مسروق :
 إنه صاحب مرض ، فارجع اليه وآسأله ما يأمر وينهى ، قال : يأمر بالوصية
 وينهى عن النوح .

- ١٥ • خطب رجل الى قوم فجاءوا الى الشعبي يسألونه عنه ، وكان به عارفا ، فقال : هو
 والله ما علمت نافذ الطلعة ، ركين الجلسة ، فزوجه ، فاذا هو خياط فأنوه فقالوا :
 غررنا فقال : ما فعلت وإنه لكما وصفت .

وخطب باقلاقي الى قوم وذكر أن الشعبي يعرفه فسأله فقال : إنه لعظيم الرماد، كثير الغاشية .

قيل : أخذ المس رجلين فقال لها : من أنتم ؟ فقال أحدهما
أنا ابن الذي لا يُنزل النهر قدره * وإن نزلت يوما فسوف تعود
تري الناس أفواجا الى ضوء ناره * فنهض قياماً حولها وقعوداً !

وقال الآخر

أنا ابن من تخضع الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالنل وهي صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمه !

فظنوها من أولاد الأكابر، فلما أصبح سأل عنهما ، فإذا الأول ابن طبّاح والثاني
ابن حجام . ١٠

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأحنف : أى الطعام أحب اليك ؟
قال : الزبد والكأه . فقال : ما هما بأحب الطعام اليه ، ولكنه يحب الخصب
للسامين .

وقال لقمان لابنه : كُلْ أطيب الطعام ، وَتَمَّ عَلَى أَوْطَى الْفَرْشِ ، كُنْ عَنْ إِبْكَارِ
الصَّيَامِ ، وَإِطَالَةِ الْقِيَامِ . ١١

ومن جيد التورية وغريبها مع توتى الصدق في موطن الخوف : قولُ أبي بكر
الصدّيق رضى الله عنه ، وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رَدِيقُهُ مَآمٍ
المجرة ، فقيل له : من هذا يا أبا بكر ؟ فقال : رجل يهْدِي السَّيْلَ .

ورُفِعَ الى عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة وصيةً لرجل بمال أمر أن يُخَفِّدَ به حصون . فقال : أشعروا به خيلاً للسبيل ، أما سمعتم قول النخعي

ولقد علمت على تجني الردى * أن الحصون الخيلُ لامدْرُ القرى

قيل كان البراء بن قبيصة صاحبَ شرابٍ ، فدخل على الوليد بن عبد الملك ،

وبوجه أثر ، فقال : ما هذا ؟ قال فرس لى أشقر ، ركبته فكبأ بي ، فقال :
لو ركبْتَ الأثهبَ لَمَّا كبا بك ، يريد الماء .

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن الزبير : ما ثابت من الإسماء ! ليس بأسم رجل ولا امرأة ، قال : يا أمير المؤمنين لا ذنب لى لو كان أسمى الى ، لسميتُ نفسى

زينب ، يُعْرَضُ به ، فإنه كان يعشق زينب بنت عبد الرحمن بن هشام فخطبها ،

فقال : لا أوتخ نفسى بأئى الذبان .

قال ثُمَيْرَى لفقعى : إني أريد إتيانك فأجد على بابك جروا ، فقال له الفقعى :

أطرح عليه تراباً وأدخل ، أراد الثُمَيْرَى قول الشاعر

ينام الفقعى وما يُصَلِّي * ويخرى فوق قارعة الطريق

وأراد الفقعى قول الآخر

ولو وُطئت نساءُ بنى نعيم * على تُربٍ نليقنَ التراباً

قال عبد الله بن الزبير لامرأة عبد الله بن حازم السلمى : أشرحى المَال الذى وضعته

تحت آسيتك ، فقالت : ما ظننت أن أحداً يلى شيئاً من أمور المسلمين يتكلم بهذا ،

فقال بعض من حضر : أما ترون الخلع الخفى الذى أشارت إليه ؟ فلما أخذ المجاج

أم عبد الرحمن بن الأشعث تجنب ما عيبَ على ابن الزبير ، فكفى عن المعنى فقال لها :

عمدت الى مال الله فوضعتَه تحت ذيلك .

ماتت للهذلي أم وليد، فأمر المنصور الربيع بأن يعزّيه ويقول له : إن أمير المؤمنين
يوجه اليك بيجارية نفيسة لها أدب وطرفٌ تُسليك عنها، وأمر لك بفرس وكسوة وصلة؛
فلم يزل الهذلي يتوقعها، ونسيها المنصور، ثم حجّ ومعه الهذلي فقال له وهو بالمدينة :
أحب أن أطوف الليلة في المدينة، وأطلب من يطوف بي فقال : أنا لها يا أمير
المؤمنين؛ فطاف به حتى وصل الى بيت عاتكة فقال : يا أمير المؤمنين ! وهذا بيت
عاتكة الذي يقول فيه الأصوص

• يا بيتَ عاتكة الذي أنزل •

فأنكر المنصور ذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه؛ فلما رجع أمر القصيدة
على خاطره فاذا فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم « منقُ الحديث يقول ما لا يفعل
فتذكر الموعد وأنجزه وأعتذر إليه •

اجتمع الشعراء بباب أمير من أمراء العرب ، فترجل بياز فقال رجل من بني
تميم لآخر من بني نعيم : هذا البازي ! فقال النخري : إنه يصيد القطا؛ عرض
الأول بقول جرير

أنا البازي المطل على نعيم • أتبع من السماء لها أنصبابا

وأراد الآخر قول الطرماح

تيم بطرق اللؤم أهدى من القطا • ولو سلكت طرق المكارم ضلت

قال عمر بن هبيرة الفزاري لأيوب بن عليان النخري وهو يساره : عُص من بئلك !
فقال : إنها مكتوبة، أراد بن هبيرة قول جرير

فُصّ الطرف إنك من نعيم • فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأراد النخعي قول ابن دارة

لا تأمنن قزارياً خلوت به • على قلوبك وأكتبها بأسيار

وقيل : كان العزيز بن المعز العبدى أحد الخلفاء بمصر يلعب بالتمام فتسابق هو
وخادم له فسبق طائر الخادم طائر الخليفة ؛ فبعث الى وزيره ابن كلث اليهودى

- يستعلمه عن ذلك فاستحي أن يقول : إن طائر الخليفة سبق ، فكتب إليه
يا بن الذى طاعته عصمة • وحبه مفترض واجب
طائرک السابق لکته • جاء وفى خدمته حاجب

- جاءت امرأة الى عمر رضى الله عنه فقالت : أشكو اليك زوجى ، خير أهل
الأرض إلا رجلاً سبقه لعملى ، أو عمل مثل عمله ، يقوم الليل حتى يصبح ، ويصوم
النهار حتى يمسي ، ثم أخذها الحياء فقالت : أقلنى يا أمير المؤمنين ! فقال : جزاك
١٠ الله خيراً ! فقد أحسنيت الشاء ، فلما ولت قال كعب بن شؤر : يا أمير المؤمنين لقد
أبلفتك اليك فى الشكوى ، فإنها كنت بذلك عن عدم المباشرة .

الباب الخامس

من القسم الثانى من الفن الثانى

فى الألفاز والأحاجى

- ١٠ قالوا : واشتقاق الألف من ألفز اليربوع ولغز : إذا حفر لنفسه مستقيماً ، ثم أخذ بمنة
ويسرة ليوارى بذلك ويعنى على طالبه . وللفز أسماء فثها : المأياة ، والويعس ،
والرمز ، والمأاجاة ، وأبيات المعال ، والملاحن ، والمرموس ، والتاويل ، والكأاية ،

والتعريض، والإشارة، والتوجيه، والمعنى، والممثل، ومعنى الجميع واحد، واختلافها
بجسب اختلاف وجوه اعتباراته، فانك إذا اعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يعابيك،
أى يظهر إعياءك وهو التعب، سميته : معاياة، وإذا اعتبرته من حيث صعوبة
فهمه واعتياص استخراجه، سميته : عويصا، وإذا اعتبرته من حيث إنه قد عمل
على وجوه وأبواب، سميته : لُفْزَا، وفعلك له : إلغازا، وإذا اعتبرته من حيث إن
واضعه لم يفصح عنه قلت : رَمَزَ، وقريب منه الإشارة، وإذا اعتبرته من حيث
إن غيرك حاجاك أى أستخرج مقدار عقلك، سميته : محاجة، وإذا اعتبرته من
حيث إنه أستخرج كثرة معانيه، سميته : أبيات المعاني، وإذا اعتبرته من حيث
إن قائله قد يوهمك شيئا ويريد غيره، سميته : لحنا وسميت فعلك : الملاحن، وإذا
أعتبرته من حيث إنه ستر عنك ورؤس فهو : المرموس، والمرس: القبر، وإذا اعتبرته
من أن معناه يؤول اليك، سميته : مؤولا، وسميت فعلك : تاويلا، وإذا اعتبرته
من حيث إن صاحبه لم يصترح بفرضه، سميته : تعريضا وكناية، وإذا اعتبرته من
حيث إنه ذو وجوه، سميته : الموجة، وسميت فعلك : التوجيه، وإذا اعتبرته من
حيث إنه مغطى عليك، سميته : مُعَمَّى .

قال الحكيم أمير الدولة المعروف بابن التليذ في الميزان

ما واحد مختلف الأسماء؟ * يعدل في الأرض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء * أعمى يرى الرشد كل رائي
أنحس لا من علّة وداء * يُفني عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو أمراء * بالرفع والخفض عن النداء
* يفصح إن علّق في الهواء *

قوله : مختلف الإسماء يعني ميزان الشمس ، والأصطرلاب ، وسائر آلات الرصد ، وهو معنى قوله : يحكم في السماء . وميزان الكلام : النحو ، وميزان الشعر : العروض ، وميزان المعاني : المنطق ، وهذه الميزان والذراع والمكيال .

وقال آخريه

- ما تقولون ؟ : فيما نزل من السماء ، وخلق في الهواء ، له عينٌ عبياء ، وكفٌ شلاء ، ليس له إن عدل ثواب ، ولا عليه إن جار عقاب ، خلق من ثلاثة أجناس ، تضعضه الأنفاس ، جسمه عارٍ من غير لباس ، أنرس اللسان ، في أذنه نحرسان ، مكرر الذكر في القرآن ، يتطوى إذا نام كالصل ، وفعله المستقبل معتل ، وله في الآخرة أكبر عمل .

وقال أبو نصر الكاتب في الخاتم

- ١٠ ومنكوج إذا ملكتك كف * وليس يكون في هذا مرأ
له عينٌ تظللها ضياء * فإن تحلث ظليل الماء
يظل طليعةً للوصل هونا * ولشاشي بزورته آحناء
وقد أوضحته وأبنت عنه * ففسره فقد برح الخفاء

أراد بقوله : تظللها ضياء أي أنها مفتوحة وكلها بالإصبع ، وقد بيعت المحبوب بجامعه علامة للزيارة أودعنا عليها وهو أمانٌ للجاني .

١٥

وقال ابن الرومي في خيلة السراج

ما حية في رأسها درة * تسبح في بحر قليل المدى ؟
إن غيبت كان العمى حاضرا * وإن بدت لاح طريق الهدى !

وقال السرى الرقاء فى شبكة الصياد

وكثيرة الأحداق إلا أنها * عمية ما لم تنفخس فى ماء
وإذا هى أنفخست أفادت ربها * ما لا يتأل بأعين البصراء

وقال آخر فى النوم

وحاملي يحملنى * وما له شخص يرى !
إذا حصلت فوقه * وهو لذيد المنطقى !
سريت لأدرى أرى * أرض سريت أم سما !

وقال أبو العلاء المعرى فى ركابى السرج

خليلان نيطا فى جوانب مجلس * جداراه قدام له ووراء !
مضى يضع الرجلين مائس عليهما * يزل عنه فى وشك حقا وحفاء !

قوله : خليلان لتشابههما ، والمجلس : السرج ، وجداراه : قريوسه وراذفته ،
والخفا مقصور : وجع الرجل ، وممدود : من مثنى الرجل خافيا بغير فعل .

وقال ابن القاسم عبد الصمد بن نائل فى القفل

مجامع يعقد عقد الكلبة * إن رامه غيرك جر نكبة
ينام كالأمرد لا كالقحبة * حتى إذا شك القمء جنبه
وطالج الجذبة بعد الجذبة * وأحل بالحقنة لا بالشربة
ألقى جنينا نجتبه المزبة * ثم إذا عاد إليه أشبه
بعض حروف المعجم المنكبة * يفيض وهو صادق المحبة
يعتقد السلم وينوى حربه * وهو على ذاك طويل الصلبة

شبهه بالجامع : لدخول الفَراش في بطنه ، وقوله : يعقد عقد الكلية : في عُسر المفارقة ، وإن فتحه غيرك جرّ نكبة عليك لسرقة ما فيه ، ينأى كالأمرد : لأنكجابه ، والقصد : الذكر وهو المفتاح ، والجنين : الفراش ، وإذا عاد إليه أشبه حرف الكاف .

وقال في أسم سعيد

- يسم عن أول أسمه حي * ثم بشان حروفه يسي
 ثم بحرفين لو بدا بهما * أسدى بدا، صورة أسمها تُني
 أربعة نصفها بكملتها * في العدّ لم تنقص ولم تُربى
 هذا وفيه أسم يوم آتفت * مفائر العُجم فيه والعُرب
 فاعمل الفكر في تأمله * وأركب به كلّ مرّكب صعب

- ١٠ شبه السين بالفرغ، وثانيه العين وهي تسمى القلوب، والحرفان يد وهي أربعة في العدد وستة في الصورة، وإذا أخذت السين والعين فهي أربعة وهي جملة العدد، وفيه عيد وهو يوم التفتاح بالزينة واللبوس .

وقال ابن أبي البقل الكاتب في القلم

- ١٥ اصم عن المنادى لا يجيب * به تحبو وتشتمل الخطوب
 ضليل الجسم "أعلم" ليس تحي * عليه غيوب ما تُحنى القلوب
 تراه راجلاً لا روح فيه * ويحييه ويُطقه الزكوب
 بين لسانه ما كن سوداً * معارفه ويُخرسه المشيب
 يقسم في الوري يؤسى ونعى * ويحكم والفضاء له مجيب
 عجت لسطوة فيه وضعف * وكلّ أموره عجب عجب

- ٢٠ أراد بقوله : أعلم : مشقوق الشفة .

وقال أبو العلاء المعري في الملح

وبيضاء من سرّ الملاح ملكتها * فلما قضت إرْبى جِوتُ بها محبي
فباتوا بها مستمتعين ولم تزل * تحثّم بعد الطعام على الشرب
قوله : سرّ أى خالصة، والملاح جمع ملح، والإرب : الحاجة .

وقال آخر في عودى الفناء والبخور

وما شيثان إسمهما سواء * وأصلهما معا عند آنتساب
إذا حضراك بتّ قرير عين * بلا طعم يلدّ ولا شراب
وما أن يوجدان النفع إلّا * بضرب أو بضرب من عذاب
معنى إسمهما سواء ظاهرٌ، وأصلهما خشب، والضرب الأول : ضرب العود،
والثاني : من العذاب وهو الإحراق .

وقال آخر في الحرب

ما ذات شوك لها جناح * يختطف الناس من قريب
وهى عقيم ترى بنينا * من بين مُريدٍ وبين شيب
ياكل بعض البتين بعضا * طلوع شمس الى غروب
تصحيفها الداء غير شك * قد يحسم الداء بالطبيب
والدواء معكوسه مكان * يصلح للطائر النجيب
يعرفها من يكون طبا * بالشعر والنحو والقريب

هذا لئلاز معنى في الحرب، وشوكها : السلاح، وجناحها : جانبها، وعقيم :
لأنها لا تلد، وبنوها : رجالها، وأكلهم : قتلهم، وتصحيفها : الحرب، وعكسه :

وقال آخر في الثدى

وما أخوات مشتهرانِ جدًّا * كما آتته الفَراة والفراة
يَضْمَهُما على مرّ اللّيل * وما آجتمعا ولا آقترقا إهاب
لذلك وذو دموع هاملات * ولكن كلّ دمعهما شراب
يصونهما عن الأبصار دين * ويضرب دون نيلهما حجاب

هما : ثدي المرأة، ويضمّهما إهاب : وهو الجلد .

وقال آخر في الفخّ

وما ميت كفتته ودفته * فقام الى حقّ صحيح فاوثقه

وقال آخر وهو لنز

حلف الحبيب على لا سميته * فكنته ولطفت خوف تفاضيه
ظبي ! اذا ما زارني حلّ اسمه * قلبي وذلك من عجيب عجائيه
ويكون إن رحمته ونعمته * وقلبت ما تشتهي من صاحبه
ويكون إن تحمفت مبداء الذي * أصبحت تهواه لعين مراقبه
وتراه بعد الجزم إن ميزت في التصحيف مقلوبا أشدّ معائيه
وحروقها فالنصف منها جذرها * وحساب ذلك غير متعب حاسيه
فاطلبه سادس سادس ثانيه نا * فيه وثائقه لكذالك لطائيه
وتعاهه من بعد مثل حروفه * في البيت صحّ أسم الحبيب لقائيه

هو لغز في فرجة ، والترخيم : حذف الآخر ، والخرم : حذف الأول ؛ فإذا رخم
ونرم وقلب بقى : حر ، وإذا قلبت الفاء فافا بقى : قرحة لعين المراقب ، وإذا صحفته
مقلوبا ، وجرمت آخره صار : هجر ، والنصف من حروفه آثان ، وهما جذر جميع
حروفه ، وقوله : فأطلبه سادس سادس : يعنى البهت السادس .

وقال آخر في سلمى

سل ماهراً بالقريض والأدب * ما أسم فتاة قعيدة النسب
قد صرح الشعر باسمها فتى * فكُرتَ فيها ظفرتَ بالمعجب
الاسم : سلمى ، وهو ظاهر في أول البهت .

وقال آخر في الكوة

ومضروبة تحب إذا ما ضربتها = وإن تركت من شدة الضرب ماتت ١٠

وقال أبو عبد الله بن المغلس في السراج

وداع الى نفسه في الظلام * وما سمعت أذنه صوته
إذا هو بيض وجه الطريش في سؤد في وجهه يته

وقال آخر في الصدى

وساكن يسكن في الفلاة * ليس من الوحش ولا النبات ١٥
ولا من الجن ولا الحيات * ولا انخيام الشعر والأبيات
ولا بذى جسم ولا حياة * كلا ! ولا يدرك بالصفات
بلى ! له صوت من الأصوات * يُسمع في الأحيان والأوقات

وقال ابن المغلس في النخلة

وقائمة أبدا لا تنام * وما قدمت قطّ مذ قامت

تميش إذا غسلوا رجلها * وإن حلقوا رأسها مات

وقال آخر

- ما يقول سيدنا الشيخ : في شيء نزل من السماء، وركض في الهواء، وخيم في البيداء،
نطق على نفسه فأفصح، وتكلم فيّين وأوضح، أفقر وأغنى، وأمات وأحيا، له شوارق
من غير غضب، ورقصات حل غير طرب، يسبق الفرس السريع، ويسبقه الطفل
الرضيع، مختلف الألوان، يوجد في كلّ زمان، ما أكثر لغاته ! وأعم في البشر ذكر
صفاته ! وهو خفيف ثقل، كثير قليل، كبير صغير، طويل قصير، غل رخيص،
قوى ضعيف، سريع بلىء، بارد حارّ، نافع ضارّ، أبيض أسود أزرق، قريب
١٠ بعيد، قديم جديد، متحرك ساكن، ظاهر باطن، يتجسّر ويتكسر، ويتعوج
ويتدور، سلطانه في الشمال وبه يذلّ، وضعفه في الجنوب وبه يمزّ، نحيل يخفى
جثة الفيل في طيه وعطفه، ويتخلل جفن العين الرمدة برفقه ولطفه، يمشی على
الحديق فلا يؤلمها، ويطلّ القلوب فلا يؤكّلمها، على أنه يقطع الطريق، ويخيف
الفريق، كم أهلك من قوم وما راق ولا سفك ! يحمل ألف قنطار، ويعجز عن حمل
١٥ دينار، وهو ليسلّ نهارى، عربى عجمى، برى بحرى، سهل جبلى، رومى توبى،
هندي حبشى، صيني جاهلي إسلامي، كان مع آدم في الجنة، وصحب نوحا في السفينة،
وتوسط النار مع إبراهيم، كم له مع موسى من خبر ! ولموسى فيه من آية وأثر ! حمل
المسيح على غير ظهره، وما سار في برّ ولا بحر، أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم من
جسده، ونزقه على صحابته، إذا نطقت به كان بعض أحد خلفاء بنى العباس السبعة

٢٠

وهو ١٤٣١ ٠

وقال آنر

ما شيء وجهه قر، وقلبه حجر إن علقته ضاع، وإن أدخلته السوق أبي أن يباع،
وإن فككته دعا لك، وإن ركبت نصفه هالك، وربما كثر أموالك، وإن حذفت
آخره، وشددت ثانيه، أورك الألم عند الفجر، والضجر عند العصر : هو السملج
الفضة .



ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويص

فمن ذلك : أمرأتان ألتفتا برجلين قاتلاهما : مرحبا بابننا وزوجينا وآبى زوجينا،
وذلك أن كل واحد منهما تزوج بأم الآخر فهما أبناهما وزوجاهما وآبنا زوجيهما .
رجلان كل واحد منهما عم الآخر وابن أخيه، وذلك : أن كل واحد من أبيهما
تزوج بأم الآخر، فرزق كل واحد منهما ولدا فكل من الولدين عم الآخر وابن أخيه .
رجلان كل واحد منهما خال الآخر وابن أخته، وذلك : أن كل واحد من
أبويهما تزوج بابنة الآخر، فرزق كل واحد منهما ولدا فكل من ولديهما خال الآخر
وابن أخته .

رجل وأمرأتان هو خال أحديهما، وهي خالته وعم الأخرى، وهي عمته،
وذلك : أن جدته أم أبيه تزوجت بأخيه لأمه وأخته لأبيها تزوجت باب أمه،
فولدتا بنتين فبنت أخته خالته وهو خالها، وبنت جدته عمته وهو عمها، وهذا أصل
الآيات المنظومة في ذلك

ولى خالة وأنا خالها * ولى عمّة وأنا عمّها

رجلان كل واحد منهما ابن خال الآخر وابن عمته، وذلك : أن كل واحد من أبيهما تزوج باخت الآخر، فزوّج كل منهما ولدا، فكل من وليهما ابن خال الآخر وابن عمته .

رجلان كل واحد منهما عم والد الآخر، وذلك : أن كل واحد من أبيهما تزوج بأم أب الآخر، فكل من أولادهما عم أب الآخر .

رجلان كل واحد منهما عم أم الآخر، وذلك : أن كل واحد من أبيهما تزوج بابنة ابن الآخر، فكل من أولادهما عم أم الآخر .

رجلان كل واحد منهما خال أم الآخر، وذلك : أن كل واحد من أبيهما تزوج بابنة بنت الآخر، فكل من أولادهما خال أم الآخر .

١٠. رجلان أحدهما عم الآخر والآخر خاله، وذلك : أن رجلين تزوج أحدهما امرأة وتزوج الآخر ابنة أبها، فولد لكل منهما ولد فابن الأب عم ابن الأبن، وابن الأبن من أم امرأة الأب، هو أخوها وخال أبها .

رجلان أحدهما عم الآخر وخاله، والآخر ابن أخيه وابن أخته، وذلك : أن رجلا له أخ لأب وأخت لأم فزوّج أخاه لأبيه بأخته لأمه فولدها ولدا فهما كذلك .

القسم الثالث من الفن الثاني

في المدح، والهجو، والمجون، والفكاهات، والمُلح، والمخر، والمعاقرة،

والندمان، والقيان، ووصف آلات الطرب

وفيه خمسة أبواب

الباب الأول

من هذا القسم

في المدح، وفيه ثلاثة عشر فصلا

حقيقة المدح وما قيل فيه، ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام، ما قيل في الإعطاء

قبل السؤال، ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام، ما قيل في وفور العقل، ما قيل

في الصدق، ما قيل في الوفاء والمحافظة، ما قيل في التواضع، ما قيل في الفناعة والتراحة

ما قيل في الشكر والثناء، ما قيل في الوعد والإيجاز، ما قيل في الشفاعة، ما قيل

في الاعتذار والاستعطاف .

فأما حقيقة المدح، فقد عبر عنها المحدثون في "غاية الاختصار والإيجاز" بقوله :

حقيقة المدح : وصف الموصوف بأخلاق يُحمد صاحبها عليها، ويكون تَنَمُّنًا حميدًا .

قال الله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ

الْفُتُو مَعْزُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ) وقال

عمر بن الخطاب (أَتَابُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَالْأَنَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " وقد أولوا الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا رأيتم المذبحين فاحثوا في وجوههم التراب " قال العتيبي هو المدح الباطل والكذب .

- وأما مدح الرجل بما هو فيه فلا بأس به ، ومما يعزى هذا أن العباس بن عبدالمطلب وكعب بن زهير ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم ، مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد أنه حثا في وجه أحد منهم ترابا .
- وقيل في حثو التراب معنيين : أحدهما التغليظ في الرد عليه ، والثاني يقال له : بفيك التراب .

- ١٠ وللشعراء عادة في تجاوز قدر المدح فوق ما يستحقه حتى إن ذلك أفضى بكثير منهم الى الكفر والخروج عن الحد أعاذنا الله من ذلك ؛ وقال أنوشروان : من أثنى عليك بما لم توله فغير بعيد أن يذمك بما لم تحبه . وقال وهب بن منبه : من مدحك بما ليس فيك ، فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيك .

وأشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه قول زهير بن أبى سئى فى هيرم بن سنان

- ١٥ دع ذا ! وعُدَّ القول فى هيرم * خير الكهول وسيد الحضر
لو كنت من شىء سوى بشر * كنت المنور ليلة القدر
ولأنت أوصل من سمعت به * لنوائل الأرحام والعصر
ولنعم حشو الذرع أنت اذا * دُعيت تزال ولج فى الدغر
فقال عمر رضى الله عنه : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما حضر أبا بكر الصديق رضى الله عنه الوفاة ؛ قالت عائشة رضى الله عنها
وهو يغمض

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه * ثمّال اليتامى عصمة للأرامل
فنظر إليها وقال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخر

ولو كنت أرضاً كنت ميثاء سهلة * ولو كنت ليلاً كنت صاحبة البدر
ولو كنت ماءً كنت ماء غمامة * ولو كنت يوماً كنت تربية الفجر
وقال محمد بن هاني

أغير الذي قد خط في اللوح أبنتى * مديحاً له إني إذا لعنود
وما يستوى وحى من الله منزل * وقافية في الغابرين شروء

١٠

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمُتَمِّ بن نُؤيرة صِف لي أخاك فإني أدراك
تمدحه ، فقال : كان أُنسى يحبس المزداد بين الصَّوحَيْن في الليلة القَرَّة معقلاً للريح
الخطيل ، عليه الشَّمْلَةُ القلوب ، يقود الفرس الحرون فيصبح ضاحكاً مستبشراً :
الخطيل : الطويل المضطرب ، والقلوب : التي لا تنضم على الرجل لقصرها .

وسأل عبد الله بن عباس صَعَصعة بن صُوحان العبدي عن إخوته فقال : أما زيد
فكما قال أخو عباس

١٥

فتى لا يزال أن يكون بوجهه * إذا نال خلان الكرام شوب

ثم قال : كان والله يا ابن عباس ، عظيم المروءة ، شريف الأُتوة ، جليل القدر ، بعيد
الشر ، كعش المروءة ، زين النُدوة ، سليم جوائح الصدر ، قليل وساوس الفكر ،

ذاكرًا لله تعالى في طَرَفِ النَّهَارِ وَزَلْفًا مِنَ اللَّيْلِ، الْجُوعِ وَالشَّجَعِ عِنْدَهُ سَيَّانٌ، لَا مَنَافِسَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا غَافِلَ عَنِ الْآخِرَةِ، يُعْطِلُ السَّكُوتَ، وَيَدِيمُ الْفِكْرَ، وَيَكْثُرُ الْإِعْتِبَارُ، وَيَقُولُ الْحَقَّ، وَيُلْهِجُ الصَّدَقَ، لَيْسَ فِي قَلْبِهِ غَيْرُ رِيهٍ، وَلَا يَهْمُهُ غَيْرُ نَفْسِهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا ظَنُّكَ بِرَجُلٍ سَبَقَهُ عَضْوُ مِنْهُ إِلَى الْجَنَّةِ؟ رَحِمَ اللَّهُ زَيْدًا! فَأَيْنَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهُ؟ فَقَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ سَيِّدًا شَجَاعًا، شَيْخًا مُطَاعًا، خَيْرَ وَسَّاعٍ، وَشَرَّ دِقَاقٍ. لَيْتَ النَّحِيَّةَ، أَحْوَذَى الْغَرِيزَةَ، لَا يُثْبِتُهَا مُنْهَنَةً عَمَّا أَرَادَ، وَلَا يَرْكُوبُ إِلَّا مَا أَعْتَادَ، سَيِّئًا الْعَدَى، فَيَاضَ النَّدَى، صَعِبَ الْمَقَادَةُ، جَزَلَ الرَّفَادَةُ. أَخُو إِخْوَانٍ، وَفَتَى فِتْيَانٍ، ثُمَّ أَنْشَدَ شِعْرَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ

إذا قال لم يترك مقالًا لقائل * بملتقطاتٍ لا يرى بينها فصلًا

قضى فشنى ما في النفوس فلم يدع * لذي إربة في القوم جدًا ولا هزلًا

وَدَخَلَ ضَرَّارُ بْنُ حَنْمَةَ الْكِنَانِيُّ عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ لَهُ: صَفِّ لِي عَلِيًّا فَقَالَ لَهُ: أَوْ تَعْنِي؟ فَقَالَ: لَا أَعْنِيكَ؟ قَالَ: أَمَا إِذَا لَا بَدَّ، فَإِنَّهُ كَانَ بَعِيدَ الْمَدَى، شَدِيدَ الْقُوَى، يَقُولُ فَصْلًا، وَيَحْكُمُ عَدْلًا، يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ، وَتَنْطَلِقُ الْحِكْمَةُ نَوَاحِيهِ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَتَزْهَرُهَا، وَيَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظُلُمَتِهِ، كَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الْعَبْرَةِ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ، يَلْقُبُ كَفِيهِ، وَيَخَاطَبُ نَفْسَهُ، يَسْجِيهِ مِنَ اللَّبَاسِ مَا قَصُرَ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا خَشِنَ، كَانَ وَاللَّهِ كَأَحَدِنَا يَذِينُنَا إِذَا أَتَيْنَاهُ، وَيُعَيِّنُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ، وَكَانَ مَعَ تَقَرُّبِهِ إِلَيْنَا وَقُرْبِهِ مِنَّا لَا نَكَلِّمُهُ هَيْبَةً لَهُ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَمِنْ مِثْلِ لَوْ لَوْ مُنْظُومٍ، يُعْظَمُ أَهْلَ الدِّينِ، وَيَحِبُّ الْمَسَاكِينَ، لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ، وَلَا يَبْأَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ.

وذكر عمرو بن معديكرب بن سليم فقال : بارك الله على حى بنى سليم ما أصدق
في الهيباء لقاءها ! وأثبت في النوازل بلاءها ! وأجزل في الثأبات عطاءها ! والله لقد
قابلتهم فما أجبتهم ، وما جيتهم فما أغفمتهم ، وسألتهم فما أبغلتهم .

وقال بعض العرب : فلان حنق الأقران غداة التزال ، وربيع الضيفان عشيّة
النزول .

وقال آخر : فلان ليث إذا ضدا ، وبدر إذا بدا ، ونجم إذا هدى . وسُم إذا أردى .
ودخل على النعمان بن المنذر بن أمريئ القيس ابن عمرو بن عدى القمى فغياه
بغية الملوك ثم قال : أيفانرك ذوفائش وأنت سائنس العرب ، وعروة الحسب
والأدب ، لأنك آمين من يومه ! ولعبيدك أكرم من قومه ، ولقفاك أحسن من
وجهه ، وليسارك أجود من يمينه ، ولظنك أصدق من يقينه ولومدك أتلج من
رفده ، ونظالك أشرف من جدّه ، ولنفسك أمتع من جُنده ، وليومك أزهر من
دهره ، ولفترك أبسط من شبره ، ثم قال

أخلاقُ مجدك جَلَّتْ ما لها خطر * في البأس والجود بين الحلم والخفَرِ

مُتَوِّجٌ بالمصالي فوق مَفْرِقِهِ * وفي الوغى ضيفم في صورة القمرِ

إذا دجا الخطب جلاه بصارمه * كما يُجَلِّي زمانُ المحل بالمطرِ

فتَهَلَّل وجهُ النعمان سرورا ، ثم أمر أن يُحشى فوه دِزًا وكِشَى أثواب الرضى وكانت
حباب أطواقها الذهب بقصب الزُّرْد . ثم قال النعمان : هكذا فليمدح الملوك .
وذو فائش : هو سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يَحْصُب بن مالك وكان النابغة

مُتصلاً به قبل اتصاله بالثمان ، وله فيه مدائح كثيرة فاقص الله تعالى من الثمان
 ابن المنذر بعد ذلك لما حكي أنه دخل حسان بن ثابت على الجفني فقال : أنعم
 صباحاً أيها الملك ! السماء غطائك ، والأرض وطاؤك ، ووالدي ووالدتي فداؤك ،
 أئني ينافسك ابن المنذر؟ فوالله لقدالك أحسن من وجهه ، ولأنتك خير من أبيه ،
 ولنظلك خير من شخصه ، ولصمتك أبلغ من كلامه ، ولشمالك خير من يمينه ، ثم قال

فذلك أحسن من وجهه * وأنتك خير من المنذر

ويُسرى يديك إذا أعسرت * كيمنى يديه فلا تمسرى

أخذ المعنى الحسن بن هاني فقال

بأبي أنت من غزالٍ غرير * بذ حسن الوجوه حسنٌ ففاكا

ونظر بعض الشعراء الى هذا المعنى فقال يمدح زُبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر

المنصور أم الأمين

أزبيدة ابنة جعفر * طوبى لرائك المصاب

تعطين من رجليك ما * تعطى الأكف من الرقاب

فلما أنشد ذلك تبادر العبيد ليقعوا به فقالت زبيدة : كفوا عنه فلم يرد إلا خيراً ،

ومن أراد خيراً فأخطأ خير من أراد شراً فأصاب ، إنه سمع الناس يقولون : ففاك

أحسن من وجه خيرك ، وشمالك أئدى من يمين سواك ، فقدّر أن هذا مثل ذاك ،

أعطوه ما أمل ، وعرفوه ما جهل ؛ ومثله : مدح شاعرٌ أميراً فقال

أنت الهام ابن الهما * م الواسع ابن الواسعة

فقال له : من أين عرفتُها؟ قال : قد جربتُها فقال : أسوأ من شعرك ، ما أتيت

به من عذرك !

قال دخل خالد بن عبد الله العنبري على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة فقال : يا أمير المؤمنين من تكن الخلافة قد زانته فانت قد زيتها ، ومن يكن شرقة فقد شرقتها ، وانت كما قال الشاعر

وإذا الدر زان حسنَ وجوه * كان للدر حسنَ وجهك زينا

• فقال عمر بن عبد العزيز : أُعْطِيَ صاحبكم مَقُولاً ، ولم يُعْطَ معقولاً . ولما دخل عبد الله المأمون بغداد تلقاه وجوه أهلها فقال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين ! بارك الله لنا في مَقْدَمِكَ ، وزادك في نعمتك ، وشكرك على رِعْيَتِكَ ، تقدّمت من قبلك ، وأتعبت من بعدك ، وأياست أن تُماين مثلك ، أما فيمن مضى فلا نعرفه ، وأما فيمن بقي فلا نرجوه ، فحن جميعاً ندعوك ، ونُثْنِي عليك . خَصِبَ لنا جنابك ، وعُدب شرايك ، وحسنت نصرتك ، وكُرمَت مقدرك . جبرتَ الفقيرَ ، وفككتَ الأسيرَ ، فانت يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر

مازلت في البذل للنوال وإطلاق لعانٍ بجرمه علق

حتى تمنى البراء أنهم * عندك أمسوا في القيد والحلق

وقال رجل للحسن بن سهل : لقد صرت لا أستكثر كثيرك ، وإن قليلك أكثر من كثير غيرك . وقال الرشيد لبعض الشعراء : هل أحدثت فينا شيئاً ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! المديح كله دون قدرك ، والشعر فيك فوق قدرى . ولكني أستحسن قول المتأني

ماذا عسى ماحٍ يُثْنِي عليك وقد * ناداك في الوحي تهديسٌ وتطهيرُ

فَتُ الماحح إلا أن أسننا * مستنطقات بما تخفى الضمائرُ!

وقال رجل في خالد بن صفوان : قريح المنطق ، جزل الألفاظ ، عريق اللسان ، قليل الحركات ، حسن الإشارات ، حلو الشئام ، كثير الطلاوة ، صموتا قولا ، يهنا الحرب ، ويدأوى الدبر ، ويفك المحز ، ويطبق المفصل ، لم يكن بالزسر في مروءته ، ولا بالهذر في منطقته ، متبوعا غير تابع ، كأنه علم في رأسه نار .

- وقيل لبعض الخلفاء : إن شبيب بن شيبه يستعمل الكلام ليستعد به ، فلو أمرت به أن يصعد المنبر بقائمة لا توضح ، قال : فأمر من أخذ بيده فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : إن لأمر المؤمنين أشباها أربعة ، فمنها : الأسد الخادور ، والبحر الزائر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر ، فأما الأسد الخادور ، فأشبه منه صوته ومضاه . وأما البحر الزائر ، فأشبه منه جوده وعطاؤه . وأما القمر الباهر ، فأشبه منه نوره وضياؤه . وأما الربيع الناضر ، فأشبه منه حسنه وبهاؤه ، ثم نزل .

- وقيل دخل رجل على المنصور فقال له تكلم بحاجتك ، فقال : يبيك الله تعالى يا أمير المؤمنين ! قال : تكلم بحاجتك ، فإنك لا تقدر على مثل هذا المقام في كل حين . قال : والله يا أمير المؤمنين ! ما أستعصر أجلك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغتم مالك ، وإن عطائك لشرف ، وإن سؤالك لزين ، وما بأمرئ بذل اليك وجهه نقص ولا شين ، فأحسن جائزته وأكرمه .

وقال محمد بن مالك القرطبي من رسالة : ما رأيت وجهها أسمع ، ولا حلما أرحم ، ولا صبية أسمع ، ولا بشرا أبدى ، ولا كفا أندى ، ولا غرة أجمل ، ولا فضيلة أكمل ،

ولا خُلُقًا أصفى، ولا وعدًا أوفى، ولا ثوبًا أطهر، ولا تبتًا أوفر، ولا أصلًا أطيب،
ولا رأيًا أصوب، ولا لفظًا أعذب، ولا عرضًا أنقى، ولا بناءً أبقى، مما خص الله به
ثالث القمرين، وسراج الخالقين، وعماد الثقلين المعتمين بالله .

وقال بعض الكتّاب : إن من النعمة على المتحي عليك أن لا يخاف الإفراط ،
ولا يامن التقصير ، ولا يحذر أن يلحقه تقيصة الكذب ، ولا يتمي به المدح الى
غاية ، إلا وجد في فضلك عونًا على تجاوزها . ومن سعادة جَدُّك أنَّ الداعي لك
لا يعدم كثرة المشايخين له ، والمؤمنين معه .

وقال آخر : إني فيما أتعامل من مدحك كالخضبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر
الزاهر الذي لا يخفى على كل ناظر ، وأيقنت أني حيث آتيتي بي القول الى العجز
مقصرٌ عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ، ووكلت الإخبار عنك الى
علم الناس بك .

وقال أبو عبد الله محمد بن الخياط من رقعة طويلة في المظفر في أوّلها : حجب الله
عن الحاجب المظفر أعين الناس ، وقبض دونه أيدي الحادثات ، فإنه مذ كان
أنور من الشمس ضياءً ، وأكل من البدر بهاءً ، وأندى من النيث كفاً ، وأحمى من
الليث أفضاً ، وأخفى من البحر بناهاً ، وأمضى من النصل لساناً ، وأنجبه المنصور بجرى
على سنّيه ، وأدب فأخذ بسننه ، وكانت الرياسة عليه موقوفة ، والسياسة اليه مصروفة ،
قصرت الأوهام عن كنه فضله ، وعجزت الأقلام عن وصف مثله ، غير أن الفضائل
لا بد من نشرها ، والمكارم لا عذر في ترك شكرها .

فهذه نبذة كافية مما ورد في المثنون فلنذكر ما ورد من المنظوم في ذلك .

قال أبو هلال السكري : سمعتُ أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد يقول :
 امدح بيت قالته العرب قول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر
 ألم تر أن الله أعطاك سورة ؟ * ترى كل ملك دونها يتذبذب
 بأنك شمس والملوك كواكب * إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبُ

• وهو مأخوذ من قول بعض شعراء كندة مدح عمرو بن هند
 تكاد تميد الأرض بالناس أن رأوا * لعمرو بن هند غصبة وهو عاتبُ
 هو الشمس وافت يوم سعيد فافضلت * على كل ضوء والملوك كواكبُ
 وقال نصيب

هو البدر والناس الكواكبُ حوله * وهل يشبه البدر المضى كواكبُ

١٠ وقالوا : أبدع بيت قيل في المديح قول النابغة
 فإنك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلت أن المتأني عنك واسعُ
 وقوله : " أخلاقُ جمدك " — الأيات وقد خدمت — وقد تداول الناس قول النابغة
 * فإنك كالليل الذي هو مدركي *

فقال الفرزدق

١٥ فلو حمتني الريحُ ثم طلبني * لكنتُ كشيءٍ أدركته مقادرةُ
 وقول النابغة أبلغ ، لأن الليل أعم من الريح ، والريح يُمتنع منها بأشياء ، والليل
 لا يمتنع منه بشيء . وأخذ سلم الخاسر قول الفرزدق فقال
 فأنت كالدهر مبنوثا حباءله * والدهر لا ملجأ منه ولا هربُ
 ولو ملكتُ عتائن الريح أصرفه * في كل ناحية ما فأنك الطلبُ

وقالوا : أجدو شئ قيل في الحسن مع الشعاعة من شعر المتقدمين والمحدثين
قول أبي العتاهية يمدح الرشيد بن المهدي وولده

بنو المصطفى ! هارون حول سريره * نغير قيام حوله وقعود
تقلب الحائط المهابة بينهم * عيون ظباء في قلوب أسود

وقالوا : أمدح بيت قاتله العرب قول أبي الطمّحان القتي

أضاعت لهم أحسابهم ووجوهم * دجى الليل حتى نقام الجزع ناقبة
نجوم سماء كلما آنقض كوكب * بدا كوكب ياوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود * تسير المتايا حيث سارت كتائبه

وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها يحيى بن أوس بن حارثة ، ابن لأُم الطائي ،
وكان أسيراً في يده ، فلما مدحه بها أطلقه بعد أن جزأ ناصيته ، وأول القصيدة
إذا قيل : أى الناس خير قبيلة ؟ * وأصبر يوماً لا توارى كواكبه ،
فإن بنى لأُم بن عمرو أرومة ، * علت فوق صعب لأتال مرائبه !

أضاعت لهم أحسابهم الأبيات .

ومثله قول ابن أبي السَّمط

فقى لا يبالى المدبلجون بنسوره * الى بابه أن لا تضىء الكواكب
له حاجب من كل أمر يتسبته * وليس له عن طالب العرف حاجب

ومثله قول الحطّيشة

نمشى على ضوء أحساب أضأن لنا . * كما أضاعت نجوم الليل للشارى

ومثله قول الآخر

وجوه ، لو أن المدبلجين آعثنوا بها * صدعن الدجى حتى يرى الليل نجلي

وقال عيسى بن أوس يمدح الجُنَيْد بن عبد الرحمن

الى مستنير الوجه طال بسؤدد * تقاصر عنه الشاق المتطاوُل
مدحتك بالحق الذى أنت أهله * ومن مَدج الأَقوام حق وباطل
يعيش الندى مادمت حياً فإن نمت * فليس لى بعد موتك طائل
وما لأمرئى عندى تحيلة نعمة * سواك وقد جادت على تحائل

وقالوا : أمدح بيت قائله العرب قول الأعشى

فنى، لو يُنادى الشمس ألفت قناعها * أو القمر السارى لآلئى المآلدا
وهذا من الغلو وهو مذموم عند بعضهم .

ومثله فى الغلو قول طَرْفِج بن إسماعيل

لو قلت للسيل : دع طريقك والشموج طيه كالمضيب يتلج
لأرتد أو ساخ أو لكاف له * فى جانب الأرض عنك منزعج
ومن الغلو قول أبى تمام فى الممتص بالله

يُبْنِ أبى إسحاق طالت يدُ العل * وقامت قناة الدين واشتد كاهله
هو البحر من أى النواحي أتته * فلجته المعروف والجود ساحله
تمود بسط الكف حتى لو أنه * أراد آقباضاً لم تُطعمه أناسله
ولو لم يكن فى فقه غير نفسه * لجاد بها فليتي الله سائله

وقال الصكرى

وكيف بيت الجار منك على صدى ؟ * وكفك بحر بلجة الجود ساحله

وقال أبو هلال العسكري يرفعه الى الأصمعي قال : سمعت أعرابياً يقول : إنكم معاشر أهل الحضرة، لتخطئون المعنى، إن أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول : كأنه الأسد، ويصف المرأة بالحسن فيقول : كأنها الشمس، ولم لا تجعلون هذه الأشياء بهم أشبه؟ ثم قال : والله لأنشدتك شعرا يكون لك إماما، ثم أنشدني

• انا سألت الوري عن كلِّ مَكْرُمَةٍ * لم تُلِفْ نِسْبَتُهَا إِلَّا إِلَى الْمَوْتِ
فَقِي جَوَادًا أَعَارَ اللَّيْلَ نَائِلَةً * فَالْئِثْلُ يَشْكُرُ مِنْهُ كَثْرَةَ النَّيْلِ
وَالْمَوْتُ يَرْهَبُ أَنْ يَلْقَى مِيتَتَهُ * فِي شِدَّةٍ عِنْدَ لَفِّ الْخَيْلِ بِالْخَيْلِ
لَوْ عَارَضَ الشَّمْسُ أَلْفَى الشَّمْسِ مَظْلَمَةً * أَوْ زَاغَ الصُّمُّ أُلْجَاها إِلَى الْمَيْلِ
أَوْ بَارَزَ اللَّيْلَ غَطَّتْهُ قَوَادِمُهُ * دُونَ الْخَوَافِ كَيْثِلَ اللَّيْلِ فِي اللَّيْلِ
أَمْضَى مِنَ النَّجْمِ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ * وَعِنْدَ أَعْدَائِهِ أَجْرَى مِنَ السَّبِيلِ
ومثله قول الآخر

عَلَّمَ الْغَيْثَ النَّدَى حَتَّى إِذَا * مَا حَكَاهُ عِلْمُ الْبَاسِ الْأَسَدِ
فَلَهُ الْغَيْثُ مَقَرُّ النَّدَى * وَلَهُ الْلَيْثُ مَقَرُّ الْجِلْدِ

وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ
• أَأَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي * حَيَاؤُكَ؟ إِنْ شِئْتَكَ الْحَيَاءُ
كَرِيمٌ لَا يَنْتَرِهَ صَبَاحٌ * عَنْ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَلَا مَسَاءُ
فَارْضُكَ أَرْضُ مَكْرَمَةٍ بَقِيَّتِهَا * بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
ونحوه قوله

لِكُلِّ قَبِيلَةٍ شَرَفٌ وَعِزٌّ * وَأَنْتَ الرَّأْسُ تُقَدِّمُ كُلَّ هَادٍ

وقال ابن الرومي

قوم يحملون من مجد ومن شرف * ومن غناء محلّ البيض واليَلْب
حلّوا عليهما من صكل بحجمة * نفعا ودفعوا وإطلا لا على الريب
قوم هم الرأس إذ حسّاهم ذنب * ومن يمثّل بين الرأس والذنب

وقال أبو هلال العسكري

فابشر فإنك رأس والعلى جسد * والمجد وجه وأنت السمع والبصر
لولاك لم تك للأيام متقبّة * تسمو اليها ولا للدهر مفتخر

وقال علي بن جبلة

لولا أبو دلف لم تميّ عارقة * ولم ينو نوء مأمول بآمال
يا بن الأكارم من عدنان، قد علموا * وثاله المجد بين العم والخال
ونقل الناس من عديم إلى جدية * وصارف الدهر من حال إلى حال
أنت الذي تُنزل الأيام منزلاً * وتُمسك الأرض عن خسف وزلال
وما مددت مدى طرف إلى أحد * إلا قضيت بآمال وآجال
تزود خطا تسمى البيض راضية * وتستهل قبكي أوجه المال

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول زهير

تراه إذا ما جئته متهللاً * كأنك تعطيه الذي أنت سائلة

وعاب بعضهم هذا البيت وقال : جعل المدوح يفرح بفرض يناله ، وليس هذا

صفة كبير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي

ولئن فرحت بما يُنيلك إنه * بما ينيلك من نداء أفرح

ما زال يعطينا أطفا أو ما كنا * حتى ظننت أبا عَظيل يمزح

ومثله قول أبي تمام

أَسْأَلُ نَصِيرَ لَأَسْأَلُهُ فَإِنَّهُ * أَحَقُّ إِلَى الْإِرْفَادِ مِنْكَ إِلَى الرَّفْدِ

وقالوا : أمدح بيت قائله العرب قول الخطيئة

مَنْ تَأْتِيهِ تَعَشُّوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ * تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ

وقال القاسم بن حنبل

مَنْ الْبَيْضُ الْوَجُوهُ بِخِيَسَانٍ * لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاءُوا
لَمْ يَشْمَسِ النَّهَارُ إِذَا اسْتَقْلَتْ * وَنُورٌ لَا يَنْتَبِهُ الْمَاءُ
هَمْ حُلُوهَا مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى * وَمِنْ حَسْبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَامُوا
فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجِيدٍ * وَمَكْرَمَةٍ دَنَتْ لِهَمْ السَّمَاءُ

وقالوا أيضا : أمدح بيت قيل قول الأقل أيضا

قَوْمٌ، سِنَانٌ أَبُوهُمْ حِينَ تَنْسِبُهُمْ * طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
لَوْ كَانَ يَقَعْدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ * قَوْمٌ بِهَزْمٍ أَوْ بِمَجْدٍ قَعْدُوا
يُحْسِنُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعِيمٍ * لَا يَنْزِعُ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا لَهُ حُسْنُ دَعْوَا

وقالوا : أمدح بيت قاله محدث ، قول مروان بن أبي حفصة في معن

أَبْنِ زَائِدَةَ ١٥

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْلِقَاءِ كَأَنَّهُمْ * أَسْوَدُ لَهَا فِي غِيلِ خِفَانٍ أَشْبَلُ
هَمْ الْمَانَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَانُوا * لِجَارِهِمْ بَيْنَ الْمَاكِثِينَ مَنَزَلُ
بِهَالِيلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ * كَأَوَّلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
هَمْ الْقَوْمِ، إِنْ قَالُوا أَصَابُوا، وَإِنْ دُعُوا * أَجَابُوا، وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا

وقال السكري: وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر وقال: لو استعمل
الإنصاف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدّم ومتأخّر وهو

إذا أبو أحمد جادت لنا يده * لم يُحمِدِ الأجودان: البحرُ والمطرُ
وإن أضأت لنا أنوارَ غُرَّتِه * تضائل النيران: الشمسُ والقمر
وإن مضى رأيه أو جدّ عزيمته * تأخر الماضيان: السيفُ والقدرُ
من لم يكن حَذِراً من حدّ صولته * لم يدر ما المزعجان: الخوفُ والحذرُ
حلّو، إذا أنت لم تبعث مرارته * فإن أمرَ خلّو عنده الصبرُ
سهل الخلاق إلا أنه خَشِنٌ * لئنُ المهزّة إلا أنه حجر
لا حيةٌ ذكّر في مثل صولته * إن صال يوما ولا الصمصامة الذكّرُ
إذا الرجال طفت آراؤهم وعموا * بالأمر ردّ إليه الرأي والنظر
اللود منه عيانٌ لا آرتياب به * إذ جود كلّ جوادٍ عنده خبر

وقال: ومن المديح القليل النظير، قول علي بن محمد الأفوه

أوقوا من المجد والعليا في قُلَيْلٍ * ثمّ قواعدهنّ البأس والجودُ
سُبُط اللقاء إذا شمت محائلهم * بسُلّ اللقاء إذا صيد الصناديدُ
مُحْسَدُونَ، ومن يعلق بمجلبهم * من البرية يصبغ وهو محسودُ

وقالوا: أمدح بيت قاله محدث قول علي بن جبلة في أبي دُلَف

إنما الدنيا أبو دُلَفٍ * بين يديه ومحتضرة
فإذا ولّى أبو دُلَفٍ * ولّت الدنيا على أثره

وهي من القصائد المشهورة، وأولها

ذاد ورد النّي عن صديقه * وأرعوى، واللهو من وطئه

جاء منها في مدحه

يادواء الأرض إن فسدت * ويجير البسر من عُسرة
كل من في الأرض من عَرِب * بين باديه الى حَضِرَة
مستعير منه مكرمة * يكتسبها يوم مفتخرة
إنما الدنيا أبو دلف *

قال العسكري : ومن المديح البارع قول بشار

ألا أيها الطالبُ المبتغى * نجومَ السماءِ بسعى أتم
سمعت بمكرمة ابن العلاء * فأنشأت تطلبها لست قم
إذا عَرَضَ الهمُّ في صدره * لها بالعطاء، وضرب اليهم
قلل الخليفة إن جثته * نصيحا ولا خير في المتهم
إذا أيقظتك جسامُ الأمور * فنبه لها عمرا ثم تم
فتى، لا يبيت على دِمتة، * ولا يشرب الماء إلا بدم
يحب العطاء وسفك الدماء * فيغدو على نعيم أو يقم

قال ومن المديح القليل النظير : قول أمانة بنت الجلاح الكلية

إذا شئت أن تلقى قى لو وزنته * بكل معدى وكل يمانى
وفى بهم جودا وحلما وسؤددا * وبأما، فهذا الأسود بن قنان
فتى، كالقناة البكر، يُسفر وجهه * كأن تلالي وجهه القمران
أغرأ أبر آخى زار ويرب * وأوتهم عقدا بقول لسان
وأفاهم عهدا وأطولهم يدا * وأعلامهم فلا بكل مكان.

وأضربهم بالسيف من دون جأريه * وأطعنهم من دونه بسناب

كأن المطايا والنمايا بكفه * صحابان مقرونان مؤلفان

ومن المدح البارع قول أبي تمام

رأيت لبيش خلاق لم تكن * لتكلى إلا في اللباب المهذب

له كرم لو كان في الماء لم ينقض * وفي البرق ما شام أمرؤ برق خلب

أخو عزيمات بذله بذل عسني * البنا ولكن عذره عذر مذنب

يهولك أن تلقاه في صدر حفيل * وفي نحر أعداء وفي قلب موكب

وما ضيق أقطار البلاد أضافي * اليك ولكن مذهبي فيك مذهبي

وهذي بنات المدح فأجر ذيوها * عليك وهذا مركب الحد فأركب

وقد أحسن التنويع في قوله

وثنية من خير ممر الطلي * بيض المطايا حين يسود الأمل

شموس مجيد في سموات صلي * وأشد موت بين ظاهات أمل

وقالت الخلساء في أخيها صخر



طويل النجاد رفيع العما * دساد عشيرته أمردا

إذا القوم مدوا بأيديهم * إلى المجد مد إليه يدا

فبال الذي فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مضعدا

فكلفه القوم ما عالم * وإن كان أصغرهم مؤلدا

تري الحمد يهوى إلى بيته * يرى أفضل الكسب أن يمهدا

وقال آخر

وَمُصْعِدِ هَضْبَاتِ الْمَجْدِ يَطْلُمُهَا * كَأَنَّهُ لَسُكُونُ الْجَاشِ مُنْحَدِرُ
مَا زَالَ يَسْبِقُ حَتَّى قَالَ حَاسِدُهُ * لَهُ طَرِيقٌ إِلَى الْعِلْيَاءِ مُحْتَصِرُ

وقال إبراهيم بن العباس

• تَلَجَّ السُّنُونُ بِيَوْتَهُمْ وَتَرَى لَهَا * عَنْ بَيْتِ جَارِهِمْ أَزْوَارَ مَنْكَبٍ
وَتَرَاهُمْ بِسَيُوفِهِمْ وَشَفَارِهِمْ * مُسْتَشْرِفِينَ لِرَاغِبٍ أَوْ رَاهِبٍ
حَامِينَ أَوْ قَارِبِينَ حَيْثُ لَقِيْتَهُمْ * نَهَبَ الْعَفَاةَ وَتَزَهَّدَ لِلرَّاهِبِ

وقال أيضا

• إِذَا السَّيَّةُ الشَّهَاءَ مَدَّتْ سَمَاءَهَا * مَدَدَتْ سَمَاءَ دُونِهَا فَتَحَلَّتْ
وَعَادَتْ بِكَ الرِّيحُ الْعَقِيمُ لَدَى الْقَرَى * لِقَاحًا فَدَرَّتْ عَنْ نَدَاكَ وَطَلَّتْ

وقال ابن الرومي

كَأَنَّ مَوَاهِبَهُ فِي الْمَحْوِ * لَ آرَآؤُهُ عِنْدَ ضَيْقِ الْحَيْلِ
فَلَوْ كَانَ غَيْثًا لَعَمَّ الْبِلَادَ * وَلَوْ كَانَ سَيْفًا لَكَانَ الْأَجَلُ
وَلَوْ كَانَ يُعْطَى عَلَى قَدْرِهِ * لَأَغْنَى النَّفُوسَ وَأَفْنَى الْأَمَلُ

• وقال أبو الحسن بن أبي البغل البغدادي يمدح أبا القاسم بن وهب وقد تخدم

ذكر بعضها لابن أبي طاهر

إِذَا أَبُو قَاسِمٍ جَادَتْ لَنَا يَدُهُ * لَمْ يُجِدْ الْأَجُودَانُ : الْبَحْرَ وَالْمَطَرُ
وَإِنِ أَضَاءَتْ لَنَا أَنْوَارُ غَرَّتِهِ * تَضَاعَلُ النُّجُومُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَإِنِ بَدَأَ رَأْيُهُ أَوْ جَدَّ عَزَمَتُهُ * تَانَحَرُ الْمَاضِيَانِ : السَّيْفُ وَالْقَدَرُ

ينال بالظن ما كان اليقين به * والشاهدان عليه العين والأثر
كانه وزمام النهر في يده * يدرى عواقب ما يأتي وما يذر

وقال ذو الرمة

يطيب تراب الأرض إن تزلوا بها * ويختال أن تعملو عليها المنابر
وما زلت تسمو للعالي وتجتى * جنى المجد مذ شئت عليك المآزر
إلى أن بلغت الأربعين فألقيت * اليك جماهير الأمور الأكابر
فاحكمتها لا أنت في الحكم عاجز * ولا أنت فيها عن هدى الحق جائز

وقال الشريف الرضي

يا غرس النهر عن مقاتله * كل زمان عليك منهم
شخصك في وجه كل داجية * شئني وفي كل مجهل علم

وقال أبو الحسن السلمي

إذا زدت لم تلق من دون بابي * حجابا ولم تدخل عليه بشافعي
كجاء الفرات الجلم أعرض وزده * لكل أناس فهو سهل الشرائع
تراه إذا ما جتته متللا * تهلل أبكار الفيوث الموامع

وقال محمد بن الحسين الأمدى

من القوم لما استغرب المحمد غيرهم * من الناس أمسوا منه فوق الغرائب
إذا سلموا كانوا صدور مراتب * وإن حاربوا كانوا قلوب مواكب
جواد متى ما رامت الرياح شأوه * كبت دون صرى خطوه المتقارب
وبحر ندى لو زاره البحر حدثت * عجائبه عن فعله بالعجائب

وقال الأحمسي : كنتُ بالبادية فرأيتُ امرأةً على قبر تبتكي وتقول

فمن للسؤال ومن للنوال * ومن للقال ومن للخطب ؟

ومن للحجة ومن للحجة * اذا ما الحكمة جثوا للركب ؟

اذا قيل : مات أبو مالك * ففى المكرمات قريح العرب

[فقد مات عز بن آدم * وقد ظهر النكد بعد الطرب^(١)]

قال : فلتُ إليها، وسألها عنه، فقالت : فديتُك ! هذا أبو مالك الجمام، ختن
أبى منصور الحائك، فما ظننتُ إلا أنه من سادات العرب .

وقال العباد الأصمهاقي

حيون يخفون إحسانهم * ويعتذرون كان قد اساءوا

اذا أظلم الدهر أعدوا عليه * وإن أظلم الخطب يوماً ضاعوا

بمثلكمُ قد أقرت الرجال * فتلکمُ لم تله النساء

وللناس من حسن أيامكم * بدولكمُ كل يوم هناء

وقال ايضاً

فَلَا طَوِينَ عَلَى أَغْرَ مُسَحَّجِلٍ * عَرْضَ الْفَلَاحِ إِلَى أَغْرَ مُحَجِّبٍ

لَيْتَ الْوَعَى غَوَى الْوَرَى غَيَّتِ النَّدى * بِدَرِ النَّدى، نَم ! وَصَدَرَ الْمَوَكِبِ

وَإِذَا أَسْتَوَى فِي دَسْتِهِ مَالَتْ لَهُ * أَعْنَاقُ كُلِّ مَسْجُوجٍ وَمُعْصَبِ

وَتُبِيتَ رَأْفَتُهُ جُفُودَ عِدَانِهِ * وَتَحِيلَ هَيْبَتُهُ عَقُودَ الْمُتَعَنِي

إِنَّ الْمَالِكَ مَا تَزَالُ بَرَأْيُهُ * فِي صَائِبٍ وَيَعُودُهُ فِي صَيْبِ

(١). الزيادة عن أمال القائل ج ١ ص ٦٣

يجسوك معتذرا اليك فيأله * من محسن تمرره نجمة مذنّب
يُرقي بأصلي في العلاء مُحَيِّم * شرقا وفرج بالكرام مطنّب

وقال أحمد بن محمد الناهي

له سورة في البشر تُقرأ في الملا * وتنبئ في مُحَنِّف العطاء وتُكَبِّبُ
إذا ما على أمطرتك سماءه * رأيت الملا أنوازها تُهَلِّبُ
وأزهر يبيض الندى منه في الرضا * وتُحمر أطراف القنا حين يفضبُ
أمير الندى ما للندى عنك مذهب * ولا عنك يوما للوغائب مَرَّغَبُ

وقال أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي

سيد شادت علاه له * في الملا آباؤه النجب
وله بيت يُمدّ له * فوق مجرى الانجم الطنب
حسبه بالمصطفى شرقا * وعلى حين يتنسب
رتبة في المز شاحنة * قصرت عن مثلها الرتب

وقال ابن نيابة السعدي

يرى الشمس أماً والكواكب إخوة * وينظر من بدر السماء الى ربيب
غنت عن الآمال حين رأيته * وأصبح من بين الوري كلهم حسي
فلم أطلب المعروف من غير كفه * وهل تطلب الأمطار إلا من السحب؟

وقال أبو حامد أحمد الأنطاكي

لو نبيل بالمجد في العلياء منزلة * لنال بالمجد أعنان السموات
يرى الخطوب رأيي يُستضاء به * إذا دجا الرأي من أهل البصيريات
فليس يلقاه إلا عند عارفة * أو واقفا في صدور السمهرات

وقال أبو طالب المأمون

قد وجدنا خطا الكلام فإساحا * بفعلنا النسيب فيك أمتداحا
وأفضنا ما في الصدور ففاض الشمدح قبل النسيب فيك أنفاسا
وعمدنا الى علاك فصغنا * لصدور القريض منها وشاحا
وصدعنا في أوجه الشعر من يـ * يـ مساعيك بالندى أوضاحا
كم كسير جبرته وفقير * مستمع رددته مُستباحا
وأمان تُريس بسطت لها في القول حتى أعدتهن فإصاحا
وبلاي جواج رُضتَها بالمزم حتى أنسيتها الجماحا
شهرت منك آل سامان عضبا * يتجبع السى غربه إنجماحا
لا يذوق الإغفاء إلا رجاء * أن يرى طيف مستمع رواحا

وقال أحمد بن محمد النامي

أمير العلا إن العوالي كواسب * علاءك في الدنيا وفي جنة الخلد
يمر عليك الحول، سيفك في العلل، * وطرفك ما بين الشكيمة واللبد
ويمضي عليك الدهر، فملك للملا * وقولك للتقوى، وكفك للرفد

وقال أيضا

فنى، قسم الأيام بين سيوفه * وبين طريفات المكارم والتلبد
فسود يوما بالسجاج وبالردى * وبيض يوما بالفضائل والحمد

وقال صاحب بن عباد

أيها الآملون حطوا سريما * برفع الهاد وارى الزناد

فهو إن جاد دُم حاتم طيء * وهو إن قال قل قُتس إِيَادِ
وإذا ما ربا فابن زياد * من علاه وأبن آل زيادِ

وقال أبو طالب المأمونى من قصيدة

فنى مُلكتُ بردتاه عُلَا * وثبلا وفضلاً ومجداً وخيرا
إذا ضمتَه الدستُ ألقيته * صحاباً مطيئراً وبدراً مُنيرا
وإن أبرزته وعى خلتَه * حُسُلاً بَتورا وليثاً هَصورا
وطوراً مُعيداً وطوراً مُبيداً * وطوراً مجيهاً وطوراً أميرا
ترى فى ذراه لسانَ المنى * طويلاً وباعَ اللبالي قصيرا
تضمُّ الأُمرءَ منه ذُكَاءً * وتحمل منه المذاكى شبيهاً

وقال أبو الطيب المتنبى

يمشى الكرام على آثارِ غيرهم * وأنت تخلق ما تآق وتبتدع
من كان فوق محلّ الشمس موضعهُ * فليس يرفعه شيء ولا يضع

وقال أبو المعالى محمد بن مسعود الأصفهاني شاعر الخريدة

قد حلّ فى مدرجِ العلياء مرتبةً * مطامحُ الشهب عن غاياتها قِفْ
أغرّى بوصفِ معاليه الورى شغفاً * لكنه والمعالي فوق ما وصفوا
إن ناصبته العبدُ فالدهر معتذر * أو أنكروا فضله فالهجد معتريف

وقال السلاحي شاعر اليتيمة

يزور نائلُك المافى وضارمك الشماصى فتحويهما أيدي وأعناقُ
فى كلِّ يوم لبثت المجد منك غنى * وثروةً وليت المال إملاقُ
كم خضت من لجةٍ للضع زاحرة، * ماءُ المتون بها - حاشاك - دفاقُ

وقال المتنبي

أنت الجوادُ بلا منٍّ ولا كديرٍ * ولا مطالٍ ولا وعيدٍ ولا مَلِيلٍ

وقال أبو الفرج البقاء

لاغيثُ نعماءٍ في الوري خَلَبَ الشُّبْرُق ولا وِرْدُ جوده وشَلُّ
جاد الى أن لم يُبقِ نائلُهُ * ما لآ ولم يَسِقْ للورى أملُ

وقال محمد بن الحسن الحاتمي شاعر القيمة

وَمَنْ عَوَّدَتْهُ الْمَكْرَمَاتُ شِمَائِلًا * فَلَيْسَ لَهُ عِنَّا - وَلَوْ شَاءَ - نَاقِلُ
وإن راسل الأعداء فالجود رُسُلُهُ * اليهم وأطراف الموالى الرسائلُ
عَظُمَتْ، فهذا الدهرُ دونك همةٌ، * وَجُدْتَ فهذا القطرُ عندك باخُلُ

وقال مؤيد الدين الطفرائي

لودبَ رأيك في كهوبٍ قَتَا * ما مَسَّهَا طَنْبٌ ولا خَلُّ
أو كان ضوؤك للفرالة لم * يَحْجُبُ ضِيَاءَ جَبِينِهَا الطُّفْلُ
أو كان لطفك في الحياة لما * طَافَتْ بِهَا الْأَسْقَامُ وَالْمَلُّ
أنت الذي لولا علاه عَقَتْ * طُرُقُ الْهَدَى وَأَسْتَبْهُمُ السُّبُلُ
في كُلِّ شَعْبٍ مِنْ رَوَيْتِهِ * شُعْبٌ وَمِنْ آرَائِهِ شَعْلُ
يرتدُّ عَنْهُ جَفْنٌ حَاسِدِهِ * فَكَأَنَّهُ بِالنَّارِ يَكْتَحِلُ
وَجْهٌ كَيَوْمِ الصَّحْوِ مَبْتَسِمٌ * وَيَدُّ كَلِيلِ الدَّجَنِ تَنْهَمِلُ
مَسَحَتْ عَلَى الْأَنْوَاءِ رَاحَتَهُ * فَانْسَاقَ مِنْهَا الْعَارِضُ الْمَطْلُ
إِنْ ضَمَّ غَيْثٌ أَوْ خَبَأَ قَرٌّ * بَخِينِهِ وَيَمِينَةِ الْبَدَلِ

وقال ابن الرومي

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات - اذا دجون - نجوم
فيها معالم للهدى ومصايح * تجلو الدجى والانحرىات رجوم

وقال أبو الطيب المتنبي

- قومٌ بلوغُ الغلامِ عندهم * طعنٌ نحو الكاة لا الحلم
كأنما يولد الندى معهم * لا صفرٌ عاذرٌ ولا هرمٌ
اذا تولوا عداوةً كشفوا * وإن تولوا صليعةً كتموا
تظن من كثرة اعتذارهم * أنهم أنعموا وما علموا
إن برقوا فالتفوف حاضرة * أو نطقوا فالصواب والحكم
أوشهدوا الحرب لالحق أخذوا * من مهج الدارعين ما احتكوا
أوركبا الخيل غير مُسرجة * فإت ألقاذهم لها حزمٌ
شرق أمراضهم وأوجههم * كأنها في نفوسهم شيمٌ
أعبدكم من صروف دهركم * فإنه في الكرام منهم
- ١٠

وقال أيضا

- ودانت له الدنيا فأصبح جالسا * وأيامه فيما يريد قيامٌ
وكل أناس يتفقون إمامهم * وأنت لأهل المكرام إمامٌ
- ١٥

وقال أيضا

هم المحسنون الكر في حومة الوغى * وأحسن منه كرم في المكارم
ولولا احتقار الأسد شبتها بهم * ولكنها معدودة في البهائم

وقال المشوق الشامي شاعر اليتيمة

يروح الى كسب الناء ويتدى * اذا كان هم الناس كسب الدراهم
وان جلس الأقوام عن واجبي الندى * وحق العطايا كانت أول قائم
يزيد آتباها كلما زار قاصد * كانت به شوقاً الى كل قادم

وقال السلامي شاعرها

تُشبهه المذبح في اليأس والندى * بمن لو رآه كان أصغر خادم
ففي جيشه نحسون ألفا كمتري * وأمضى وفي خزائنه ألف حاتم

وقال أبو طالب المأموني من قصيدة

يُعمم بالهندي حين يسله * أسود الوغى بالضرب فوق العائم
فلا ملك إلا ما أقت عروشه * ولا غيث إلا ما أفضت لشائم
ولا تاج إلا ما توليت عقده * على جبهة الملك المكنى بقاسم
فرايك نجم في دجى الليل ثاقب * وعزمك غضب في طلي كل ناجم

وقال المشوق الشامي

ما زال يبنى كعبة للعلل * ويحبل الجود لها ركنا
حتى آتى الناس فظافوا بها * وقبلوا راحتته اليمنى

وقال المأموني من قصيدة

همام يئس المشرقية ساخطا * ويضعك أبكار الأمانى راضيا
ولو أنت مجرا يستطيع ترقيا * اليه لأم البحر جدواه راجيا

ذكر ما قيل في الافتخار

قالوا : أغر بيت قائله العرب قول جرير

إذا غضبت عليك بنو تميم • حسبت الناس كلهم غضابا

قال : دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له : ممن الرجل ؟

قال : من الذين قال لهم الشاعر

إذا غضبت عليك بنو تميم ، البيت •

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل

يزيد بنو سعيد على عَدَد الحصى • وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

بنات بني عوف طهارى نقيه • وأوجههم عند المشاهد عُراة

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

فلا وأبيك ما ظلمت قريع • بأن ينوا المكارم حيث شاموا

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم • ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

قال : أجلس ، لا جلست ، واقه لقد خفت أن تفخر على !

وقالوا : أغر بيت قائله العرب قول الفرزدق

ترى الناس ما سیرنا يسرون خلفنا • وإن نحن أوماننا الى الناس وقفوا !

وقال عمرو بن كلثوم وهو أبلغ ما قاله جاهل في الافتخار

ونحن الحاكون إذا أطعنا • ونحن العاقمون إذا عصينا !

ونحن التاركون لما سخطنا • ونحن الآخذون لما رخصنا !

وقال إبراهيم بن العباس

إما ترينى أمام القوم متبعا * فقد أرى من وراء الخليل أتبع
يوما أبيع فلا أرى على تشب * وأستبيع فلا أبقي ولا أدع
لا تسأل القوم عن حى صبحهم * ماذا صنعت؟ وماذا أهله صنعوا؟

وقالوا : من أحسن ما مدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة

وما أنا فى نفسى ولا فى عشيرتى * بمهتضم حتى ولا قارح يسنى
ولا مسلم مولاى عند جناية * ولا خائف مولاى من شر ما أجنى
وأن فؤادى بين جنبي عالم * بما أبصرت عيني وما سمعت أذنى
وفضلى فى الشعر واللّب أنى * أقول على علم وأعلم ما أعنى
فأصبحت إذ فضلت مروان وأبنته * على الناس قد فضلت خير أب وأبنى

وقال أبو هفان

لعمري لئن بيعت فى دار غربية * بناق إذ ضاقت على المآكل
فما أنا إلا السيف يأكل جفته، * له حلية من نفسه وهو عاطل

قال أبو هلال العسكري : ولا أعرف فى الاقتحار أحسن مما أنشده أبو تمام وهو

فقل لزهيد إن شمت سراتنا * فلستما بشتامين للتشم
ولكننا نأبى الظلام وقتضى * بكل رقيق الشفرتين مصم
وتجهل أيدينا ويحمل رأينا * ونشم بالأفعال لا بالكلم

ومن الاقتحار قول السموءل بن عاديا من كلمته التى أولها

اذ المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جيل
وإن هولم يحل على النفس ضيقها * فللس إلى حسن الشتاء سبيل

- وقائلي ما بال أسرة عاديًا * شادي وفيها قلةٌ ومحول
تُبرنا أنا قليلٌ عبيدنا * فقلتُ لها إن الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياها مثلنا * شبابٌ تسامى للعلا وكحول
وما ضرنا أنا قليلٌ وجارنا * عزيز وجار الأكرين ذليل
وأننا أناس لا نرى القتل سبةً * إذا ما رأته طامرٌ وسلول
يقربُ حب الموتِ آجالنا لنا * ونكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيدٌ حنف أمه * ولا طلل منا حيث كان قبل
تسيلُ على حدّ الطباة نفوسنا * وليست على غير الطباة تسيل
صفونا فلم نكدر وأخلص سِرنا * إناثٌ أطابت حملنا ونحول
علونا إلى خير الظهور وحطنا * لوقت إلى خير البطون نُزول
فنحن كماء المزن ما في نصابنا * ككهام ولا فينا يمد بخيل
وتنكر إن شئنا على الناس قولهم * ولا يتكرون القول حين نقول
إذا سيد منا خلا قام سيد * قوولُ لما قال الكرام فعول
وما أنعمت نارُنا دون طارق * ولا فُمننا في النازلين نزل
وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غررٌ معلومة ومجول
وأيافنا في كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارين فلول
معوذة أن لا تُسلل نصالحنا * فتُفمد حتى يُستباح قبيل
سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم * وليس سواء عالمٌ وجهول
فإن بنى الديان قطب لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتجهول

وقال أبو هلال المسكوي من قصيدة

وما ضاع مثل حيث حلت ركابُهُ * بل حيث ضاع المجد مثل ضائع
ومثل مخضوع له غير أنه * إذا كان مجهول الفضائل خاضع
ومثل متبوع على صكل حالة * فإن ينقلب وجه الزمان فتابع

وقال عبد الله بن المعتز

سألتك يا الله هل تعلماني؟ * ولا تكلم شيأ فعندك خبري
أرفع نيران القري لمفاتيها * وأصبر يوم الروع في فقرة الثغري؟
وأسأل نيتلا لا يُعاد بمثله * فيفتحه بشرى ويختمه عذري؟

ومن الاختصار قول بعض الشعراء، وروى الحسن بن ثابت من قصيدة أولها

أنسيم ريمك أم خيار العنبر * يا هذه، أم ربح مسك أرفي؟
قولي لطيفك أن يصد عن الحشى * سطوات نيران الأسى، ثم أجهري
وأنهى رمانك أن يُصبن مقاتل * فينال قومك سطوة من معشري
إننا من النفر الذين جياؤهم * طلعت على كسرى بريح صرصر
وسأبن تاجى ملك قيصر بالقنا * وأجتزأ باب الدرب لابن الأصفر
كم قد ولدنا من ككريم ماجد * دامى الأظافر أو ربيع مُططير
خُلقت أنامله لقايم مُرهف * ولينذل مكرمة وذروة منبر
يلقى الرماح بوجهيه وبصدره * ويقيم هامته مقام المنفر
ويقول للطرف أصطر لثبا التنا * فهدمت ركن المجد إن لم تصير
وإذا تأمل شخص ضيف مُقربل * مُتسريل سربال ثوب أغبر
أوما الى الكوماء هذا طارق * نحرثقى الأعداء إذ لم نُحصر

١٠

١٥

٢٠

ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام

- حقيقة الجود بذل المال ، قال الله عز وجل : (لَنْ تَأْكُلُوا الرِّحَىٰ تَتَّقُوا مِمَّا كَرِهْتُمْ) وقال تعالى : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْمَ قَلْبِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لغيره إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزيتوا دينكم بهما » وقال صلى الله عليه وسلم : « تجاوزوا عن ذنب السيخى فإن الله عز وجل أخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر » وقال صلى الله عليه وسلم : « الجود من جود الله تعالى لجودوا يهود الله عليكم » . « ألا إن السخاء شجرة في الجنة أغصانها متدلية في الأرض فمن تعلق بنفس من أدخله الجنة » . « ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة » . وقال علي بن عبد الله بن عباس : سادة الناس في الدنيا الأعيان . وقال بعض الحكماء : الجواد من جاد بماله وصان نفسه عن مال غيره . وقيل لعمرو بن عبيد : ما الكرم؟ فقال : أن تكون بمالك متبرما ، وعن مال غيرك متورما . ويقال : مراتب السخاء ثلاثة : سخاء وجود وإيثار ، فالسخاء إعطاء الأقل وإساک الأكثر ، والجود إعطاء الأكثر وإساک الأقل ، والإيثار إعطاء الكل من غير إساک بشئ ، وهو أشرف درجات الكرم ، وبه استحقوا ثناء الله عز وجل عليهم في قوله : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) . ومن كلام ينسب إلى جعفر بن محمد : لا يتم المعروف إلا بثلاثة : تعجيله ، وتصغيره ، وسره . الجود زكاة السعادة ، والإيثار على النفس موجب لاسم الكرم ، وقال : لا يستحي من بذل القليل فإن الحرمان أقل منه . قال بعض الشعراء
- أعط القليل ولا يمتك قتته * فكل ما سد قفرا فهو محمود

وقال علي بن الحسين : الكريم يتبع فضله ، والثيم يفتخر بماله .
وقال الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما : آيها الناس من جاد ساد ، ومن
يُحْسِل رُقْل ، وأن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه . وقيل ليزيد بن معاوية :
ما الجود ؟ قال : أن تُعطى المال من لا تعرف ، فإنه لا يصير اليه حتى يتخطى
من تعرف .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه : لو لم يكن في الكرم ، إلا أنه صفة من صفات
الله تعالى ، تسمى بها فهو الكريم عز وجل . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » . وقيل لعبد الله بن جعفر : إنك قد أسرفت في بذل
المال ، قال : إن الله عز وجل قد عوّذني بمادة أن يتفضل علي ، وعودته أن
أفضل على عباده ، وأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني . وقال المأمون لمحمد بن عباد
المهلبي : إنك مثلاف ، قال : منع الجود ، سوء ظن بالمعبود . قال الله تعالى :
(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِّصُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) . وقال أكرم بن صيفي حكيم
المرب : ذللوا أخلاقكم للطالب ، وقودوها الى المحامد ، وعلموها المكارم ،
ولا تقيموها على خلق تلثمونه من غيركم ، وصلوا من رغب اليكم وتحلوا بالجود يُكسبكم
الحبة ، ولا تمتدوا بالبخل ، تشعبوا الفقر ، أخذه شاعر فقال

أمرن خوف فقر تعبته * وأثرت إنفاق ما تجمع ؟
فصرت الفقير وأنت الغني * وما كنت تعدو الذي تصنع

وكتب رجل من البخلاء الى رجل من الأحنفاء يأمره بالإنفاق على نفسه ويخوفه
الفقر ، فأجابه : (الشيطان يصدكم الفقر ويأمركم بالفسحشاء والله يصدكم مفقرة
منه وفضلاً) وإني أكره أن أترك أمراً قد وقع لأمر لعله لا يقع .

وكان سعيد بن العاصي يقول على المنبر : من رزقه الله رزقا حسنا ، فلينفق منه سرا وجهرا ، حتى يكون أسعد الناس به ، فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين ، إما لمُصلِح ، فلا يقل عليه شيء ، وإما لمُفسد ، فلا يبقى له شيء . أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال

- أسعد بمالك في الحياة فإنما « يبقى خلافة مصلح أو مفسد
فاذا جمعت لمفسد لم يُغْنِهِ « وأخو الصلاح قليله يترد
وقال أبو ذر رضى الله عنه : لك في مالك شريكان ، الحدّان ، والوارث ، فإن
أستطعت أن لا تكون أبغس الشركاء حظاً فأفصل . وقال زُرَّجَمُور النَّمَارِسي :
إذا أقبلت عليك الدنيا ، فاتفق منها ، فإنها لا تفي ، وإذا أدبرت عليك ، فاتفق

- منها ، فإنها لا تبق ، أخذ الشاعر هذا المعنى فقال
لا تَظُنَّ بُدُنِيًّا وهى مَقْبِلَةٌ « فلو س ينقصها التذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تمجود بها « فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

- وكان كسرى يقول : عليكم بأهل السخاء والشجاعة ، فإنهم أهل حسن ظن بالله ، ولو أن أهل البخل ، لم يدخل عليهم من خسر يُخلهم ، ومذقة الناس لهم ، وإطباق القلوب على بعضهم ، إلا سوء ظنهم بهم في الخلف ، لكان عظيم ، أخذه محمود الوراق فقال

- من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا « والبخل من سوء ظن المرء بالله
وقيل لأبي عَقِيل البلّغ العراقي : كيف رأيت مروان بن الحَكَم عند طلب الحاجة إليه ؟ قال : رأيت رغبته في الإتمام ، فوق رغبته في الشكر ، وحاجته الى قضاء الحاجة ، أشد من حاجة صاحبا .

- وقال زياد : كفى بالخييل عارا، أن أسمه لم يقع في حمد قط .
- وقال أسماء بن خارجة : ما أحب أن أرى أحدا عن حاجة طلبها ، لأنه لا يخلو أن يكون كريما ، فأصون له عِرْضَه ، أولئها ، فأصون عِرْضِي منه .
- وقال إبراهيم بن المهدي : قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها كان لا يبيف بيده قلم ، ولا يستريح قلبه ، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال ، وإدخال المرافق على الضعفاء : أخبرني عن الحالة التي خففت عنك النَّسَبَ ، وهونت عليك الثَّمنَ ، في القيام بحوائج الناس ، ما هي ؟ قال : قد والله سمعتُ [تفريد الطير بالأعصار ، في فروع الأشجار ، وسمعتُ خفق أوتار العيسدان ^(١)] وترجيع أصوات القيان ، فما طربتُ من صوت قط ، طربتُ من ثناء حسن ، بلسان حسن ، على رجل قد أحسن ، ومن شُكر من لم يمتحِر ، ومن شفاعمة محتسب ، لطالب شاكر ، قال إبراهيم : فقلت ، لله أبوك ! لقد حشيت كرما . وكان طلحة بن عبدالله بن عوف الزهري من أجود قريش في زمانه ، فقالت له امرأته : ما رأيت قوما ألأم من إخوتك ، فقال لها : له ؟ وأنى قلت ذاك ؟ فقالت : أراهم إذا أيسرت أتوك ، وإذا أعسرت تركوك ، قال : هذا والله كرمهم ، يأتوننا في حال القوة عليهم ، ويتركوننا في حال العجز عنهم .
- وحكى أن رجلا شيخا أتى سعيد بن سالم ، وكتبه في حاجة وما شاء ، فوضع الشيخ زجَّ عصاه التي يتوكأ عليها ، على رجل سعيد حتى أدماها ، فما تأوه لذلك ، وما نهاه ، فلما فارقها ، قيل له : كيف صبرت على هذا منه ؟ فقال : خفت أن يعلم جنايته ، فيقطع عن ذكر حاجته .

ذكر من انتهى اليهم الجود في الجاهلية

وذكر شيء من أخبارهم

(١١)

- والذي انتهى اليهم الجود في الجاهلية حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، وهريم بن سنان المُرِّي، وكعب بن مامة الإيادي، وضرب المثل بحاتم وكعب، والمشهور حاتم. وكعب هذا: هو الذي جاد بنفسه، وآثر رفيقه بالماء في المفازة، ولم يشهر له خبرٌ غير هذا. وأما حاتم فأخباره مشهورة

منها: أنه كان إذا أشدَّ البرد، أمر غلامه يسارا، فأوقد نارا في بقاع من الأرض، لينظر إليها مَنْ ضلَّ عن الطريق، وفي ذلك يقول

أَوْقَدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ • وَالرِّيحُ يَا وَاقِدَ رِيحٍ صِرٌّ
عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ • إِنْ جَلَبْتَ ضَيْفًا فَانْتِ حُرٌّ

١٠

قالوا: ولم يك حاتم يمسك غير سلاحه وفروسه، ثم جاد بفروسه في سنة أزمه.

قالت النوار امرأة حاتم: أصابتنا سنة أقشعرت لها الأرض، وأغبر أفق السماء، وضبت المراضع عن أولادها، لا تبشُّ بقطرة، وأيقنا بالهلاك، فوالله، إنِّي لفي ليلة صَبَّرة، بعيدة ما بين الطرفين، إذ تَضَاغَى صَبَبُنَا جُوعًا، عبد الله، وعدى، وسفانة، فقام حاتم إلى الصبيين، وقلت إلى الصبية، فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل، وأقبل يعلّتي، فعرفت ما يريد، فتناومت، فلما تهوَّرت النجوم، إنَّا بشيء قد رفع كسر البيت، فقلت: مَنْ هذا؟ فوالى، ثم عاد آخر الليل، فقال مَنْ هذا؟ قالت: جارئك فلانة، أتيتك من عند صبية يتعاونون عوى الذئاب، فما وجدتُ معولًا إلا عليك أبا عدى، فقال: أعجلهم، فقد أشبعك الله وإياهم. فأقبلت المرأة تعجل آتسين،

١٥

ويمشى بجانبها أربع كأنها تمامة حولها رِثاءُها ، فقام الى فرسه ، فوجأ لبته بجذية ، نفر ، ثم كَشَطَ من جلده ، ودفع المذبة الى المرأة ، وقال : شألك ، فأجتمعنا على اللحم تَسْوَى ، وأنا كل ، ثم جمل يأتهم بيتا بيتا ، فيقول : هبوا عليكم بالنار ، وأنفع بثوبه ناحية ينظر اليها ، لا والله إن ذاق منه مضخة وإنه لأحوج اليه منا ، فأصبحنا وما في الأرض إلا عظم أو حافر .

وقيل : كان مبدأ الأمر لحاتم في الجود ، أنه لما تَرَضَّع ، جعل يُخرج طعامه فإن وجد من يأكله معه أكله ، وإن لم يجد طرحه ، فلما رأى أبوه ، أنه يهلك طعامه ، قال له : أَلْحِقْ بالإبل ، نفرج إليها ، فوهب له جارية ، وفرما وِفَلَوْها .

وقيل : بل هلك أبو حاتم وهو صغير ، وهذه القصة كانت مع جده سعد بن الحشرج ، فلما أتى حاتم الإبل ، طِفَقَ يبتنى الناس ، فلا يجدهم ، ويأتى الطريق ، فلا يجد عليه أحدا ، فبينما هو كذلك ، إذ بَصُرَ برُكْب على الطريق ، فأتاهم ، فقالوا : يا فتى ، هل من قَرَى ؟ فقال : تسألونى عن القَرَى ؟ وقد تَرَوْنِ الإبل ! وكان الذى بَصُرَ بهم ، عبيد ابن الأبرص ، وبشر بن أبى خازم ، والناطقة الذبياني ، وكانوا يريدون النمان ، فنحروا لهم ثلاثة من الإبل ، فقال عبيد : إنما أردنا اللبن ، وكانت تكفيتنا بكرة ، إن كنت لا بد متكلفا لنا شيئا ، فقال حاتم : قد عرفت ، ولكن رأيت وجوها مختلفة ، وألوانا متفرقة ، فظننت أن البلدان غير واحد ، فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى ، إذا أتى قومه فقالوا فيه أشعارا أمتدحوه بها ، وذكروا فضله ، فقال حاتم : أردت أن أُحْسِنَ إليكم ، فصار لكم الفضل على ، ولانى أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبل عن آخرها ، أو تقوموا اليها فتقتسموها ففعلوا ! فأصاب كل واحد تسعا وثلاثين بيرا ، ومضوا على سفرهم الى النمان ، وأن أبا حاتم أو جدّه ، سمع بما فعل ، فقال :

- أين الإبل؟ فقال : يا أبت طوقك بها طوق الحمامة مجدا وكزما ، لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أثنى به علينا عوضا من إبلك ، فلما سمع أبوه ذلك ، قال : أبايل فعلت ذلك؟ قال : نعم ، قال : والله لأأسألك أبدا ، تفرج أبوه بأهله ، وترك حاتما ، ومعه جاريته وفرسه وقلوه . قال : فبينما حاتم يوما نائم ، إذ أنبته ، وحوله نحو مائتي بئر يحمل وتحمل بعضها بعضا ، فساقها الى قومه ، فقالوا : يا حاتم ، أبقى على نفسك ، فقد رزقت مالا ، ولا تعودك الى ما كنت فيه من الإسراف ، قال : فإنها نهب بينكم ، فأنشيت ، ثم أقبل ركب من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان ، فلقوا حاتما ، فقالوا له : إنا تركنا قومنا يُنتون عليك خيرا ، وقد أرسلوا اليك برسالة ، قال : وما هي ؟ فأنشده الأسديون شعرا ، ليعيد ، وأنشده الليثيون شعرا للنايفة ، ثم قالوا : إنا لنستحي أن نسألك شيئا وإن لنا حاجة ، قال : وما هي ؟ قالوا : ١٠ صاحب لنا راجل ، فقال حاتم : خذوا فرسي هذه ، فاحملوا عليها صاحبكم ، فأخذوها ، وربطت الجارية فلوها بثوبها ، فأفلت فاتبته الجارية لترده ، فقال حاتم : مالחקكم من شيء فهو لكم ، فذهبوا بالفرس والفلو والجارية .

- وأما هيرم بن سنان ، فمن أخباره : أنه آلى على نفسه أنه لا يسلم عليه زهير إلا أعطاه قتل مال هيرم ، وكان زهير يتر بالنادى وفيه هيرم فيقول : أنعموا صاحبا ما خلا ١٥ هيرما ، وخير القوم تركت ، قالوا : وكان عبد الله بن جُدعان ، حين كبر ، أخذت بنو تميم على يده ، ومتموه أن يعطى شيئا من ماله ، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه ، قال له : آذن مني ، فإذا دنا منه لطمه ، ثم قال : آذنب فاطلب لطمتك أو ترضى ، فترضيه بنو تميم من ماله ، وفيه يقول الشاعر

- والذي إن أشار غموك لطمًا * تبع الظلم نائل وعطاء ٢٠

- ومن أخبار الكرام : ما حُكي أن خالد بن عبد الله القسري أمير العراق، كان يكثر الجُلوس مع يدعو بالبر ويقول : إنما هذه الأموال ودائع العرب لا بد من تفرقها، فقال ذلك مرة، وقد وفد عليه أخوه أسد بن عبد الله من خراسان، فقام، فقال : أيها الأمير إن الودائع تُجمع لا تُفرق، فقال : ويحك ! إنها ودائع المكارم، وأيدينا وكلاؤها، فإذا أتاها المُلقي فأغنياء، والظمان فارويناه، فقد أدبنا فيها الأمانة، ومصر يزيد بن المهلب بأعرابية في هروبه من محسن عمر بن عبد العزيز، وهو يريد البصرة، فقدمت له صَترًا قبلها، ثم قال لأبنته معاوية : ماملك من الثقة؟ قال ثمانمائة دينار، قال : أدفعها إليها ! فقال له أبنته : إنك تريد الرجال، ولا تكون الرجال إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهي بعد لا تعرفك، فقال : إن كانت ترضى باليسير، فأنا لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني، فأنا أعرف نفسي، أدفعها إليها، فدفعها إليها . ١٠
- قال الأحنف : كثرت على الدييات بالبصرة، لما قُتل مسعود، فلم أجدها في حاضرة تميم، فخرجت نحو يثرب، فسألت : من المقصود هناك؟ فأرسلت إلى قُبة، فإذا شيخ جالس يفنأها، مؤترد بشملة، مُحْتَبٍ بجبل، فسلمت عليه، وأنشبت له، فقال : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت : توفى، قال : فما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها؟ قلت : مات، قال : فأى خبر في حاضر تكم بعدها؟ قال : فذكَرت الديات التي لزمنا للأزد وربيعة، قال : أم، فإذا راج قد أراح عليه بألف بعير، فقال : خذها، ثم أراح عليه آخر بمثلها، فقال : خذها، قلت : لا أحتاج إليها، فأنصرفت بالألف، ووالله ما أدرى من هو إلى الساعة . ١٥
- وروى عن معن بن زائدة، قال : لما هربت من المنصور، خرجت من باب حرب، بعد أن أملت في الشمس أياما، وخففتُ لِحْيَتِي وعارضني، ولبست ٢٠

- جبة صوف غليظة، وركبت جملاً، ونحرت عليه لأمضى الى البادية، قال : تبعني
أسود متقلد سيفاً، حتى إذا غبت عن الحرس، قبض على خطام الجمل فأناخه، وقبض
على، فقلت : ما شأنك؟ فقال : أنت بنية أمير المؤمنين قتلته : ومن أنا حتى
يطلبني أمير المؤمنين؟ فقال ممن بن زائدة قتلته : يا هذا ! أتق الله وأين أنا من
ممن؟ فقال : دع هذا عنك، فأنا والله أصرف بك، فقلت له : فإن كانت القصة
كما تقول، فهذا جوهر حمله معي، بأضعاف ما بذله المنصور، لمن جاءه في نفذه
ولا تسفك دمي، فقال : هاته، فأخرجته اليه، فنظر إليه ساعة، وقال : صدقت
في قيمته، لست قابله حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتني أطلقتك، فقلت : قل،
فقال : إن الناس قد وصفوك بالهود فأخبرني هل وهبت قط ما لك كله ! قلت :
لا، قال : فتصفه ! قلت : لا، قال : فقلته ! قلت : لا حتى بلغ العشر فاستحييت
وقلت : إني أظن قد فعلت هذا، فقال : ما ذاك بعظيم، أنا والله واجل، ورزقي
على أبي جعفر، عشرون درهماً، وهذا الجواهر قيمته ألف دينار، وقد وهبت لك،
وهبتك لنفسك، ولهودك الماثور بين الناس، ولتعلم أن في الدنيا من هو أجود
منك، ولا تسجك نفسك، ولتخفف بعد هذا كل شيء ففعله ولا تشوق عن
مكرمة، ثم رمى بالقدر إلى، وخل خطام الجمل وأنصرف، فقلت : يا هذا ! قد والله
فضحتني، ولسفك دمي أهون علي مما فعلت، فخذ ما دفعته اليك، فإني عنه في غي،
فصيحك، ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامى هذا، فوالله لا أخذه، ولا آخذ
لمعروف ثمتاً أبداً، ومضى، فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت، وبذلت لمن جاءني به ماشاء،
فما عرفت له خبراً، وكان الأرض آبلت من، وكان سبب غضب المنصور على ممن
أبن زائدة : أنه خرج مع عمرو بن يزيد بن عمرو بن هيرة وأبلى في حربه بلاء حسناً.

ويقال : إن شاعرا أتى وهب بن وهب ، وكان جوادا ، فلدحه فنهش وبش له وثني له الويادة وأضافه ورفده وحمله ، فلما أراد الرجل الرحلة ، لم يخدمه أحد من غلمان وهب ، فانكر الرجل ذلك مع جميل فعله ، فعاتب بعضهم ، فقال له الغلام : إنا إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعين الراحل على الفراق .

وكان الحارث بن هشام المخزومي في وقعة اليرموك ، وبها أصيب فأنشده الجراح ، فاستسقى ماء ، فألقى به ، فلما تناوله ، نظر إلى عكرمة بن أبي جهل صريعا في مثل حاله ، فرد الإناء على الساق ، وقال : أمض إلى عكرمة بن أبي جهل ، فمضى إليه ، فأبى أن يشرب قبله ، فرجع إلى الحارث ، فوجده ميتا ، فرجع إلى عكرمة ، فوجده قد مات ، فلم يشرب واحد منهما .

وقد وصف الناس أهل الجود والكرم بمدائح ، سنذكر ما أسجودناه منها .
فمن ذلك ما حكى عن أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بشعلب ، قال : كان ببغداد فتى يُعَيِّن ستة أشهر ، فاستقبلته ببعض السكك ذات يوم ، فقال : شعلب ؟ قلت : نعم ، قال : فأنشدني فأنشدته

وإذا مررت بقبْرِه فاعقِ به * كُومَ المِجان وكلَّ طرفٍ سابع

وأنضج جوانبَ قبره بدمائها * فكنا يكون أخا دم وذبايح

فصيحك ، ثم سكّت ساعة ، وقال : ألا قال ؟

أنهبا بي إن لم يكن لكَا عَقْرٌ على تُربِ قبره فاعقِ آري

وأنضج من دمي عليه فقد كا * ن دمي من نكاه لو تعلمان

ثم رآني يوما بعد ذلك فتأملتني ، وقال : شعلب ! قلت : نعم ، قال : أنشدني

فأنشدته

١٠

١٥

٢٠

أُطَارَ الْجَوْدُ نَائِلُهُ * إِذَا مَا مَالُهُ تَفَسَّدَا
وَأِنْ لَيْتَا شَكَأْنَا * أَمَارَ قَوَادِهِ الْأَسَدَا

فضحك، وقال : ألا قال ؟

عَلَّمَ الْجَوْدُ التَّدَى حَتَّى إِذَا * مَا حَكَاهُ عَلَّمَ الْبَاسَ الْأَسَدُ
فَسَلَّهُ الْجَوْدُ مَقَرًّا بِالنَّدَى * وَلَهُ اللَّيْثُ مَقَرًّا بِالْجَمَلَةِ

وقال مسلم بن الوليد وهو مما يجوز إيراد في الشجاعة والكرم
يعود بالنفس إن ضنَّ الجوادُ بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود
وأول من أتى بهذا المعنى طعنة بن عبدة حيث قال

تَجُودُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا * فَأَنْتَ بِهَا يَوْمَ الْلِقَاءِ خَصِيبُ

وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني : من جاد بنفسه عند اللقاء ، وبماله
عند العطاء ، فقد جاد بنفسه كليهما ، قالوا : وأجود ما قيل في ذلك قول أبي العتاهية
يمدح العباس بن محمد

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا أَبَنَ مُحَمَّدٍ * قُلْ "لَا" وَأَنْتَ مَحَلَّةٌ مَا قَالَهَا
إِنَّ السَّمَاحَةَ لَمْ تَزَلْ مَعْقُولَةً * حَتَّى حَلَّتْ بِرَاحَتِكَ عِقَالَهَا
وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَارَتُ فِي بِلَدِهِ * كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكَانَتْ هِلَالَهَا

فلم يثبه العباس ، فقال

هَزَزْتُكَ هِرَّةُ السِّيفِ الْمَحْلَى * فَلَمَّا أَنْ ضَرَبْتُ بِكَ أَنْثِيْتُ
فِيهَا مِدْحَةً ذَهَبَتْ ضَيَاعًا * كَذَبْتُ عَلَيْكَ فِيهَا وَأَقْرَبْتُ

فلما سمع العباس الإبيات غضب ، وقال : والله لأجهلن في حقه ، قال : فتر

أبو العتاهية بإسحاق بن العباس ، وقال له إسحاق : أنشدني شيئا من شعرك فأنتدم

ألا أيها الطالبُ المستغيثُ * بمن لا يُقيد ولا يرفد
ألا تسأل الله من فضله * فإن عطاياه لا تنفد
إذا جثت أفضلهم للسؤا * ل رد وأحشاؤه ترعد
كأنك من خشية للسؤا * ل في عينه الحية الأسود
فصير إلى الله من لؤمهم * فإنى أرى الناس قد أصلدوا
وإنى أرى الناس قد أبرقوا * بلوم النّاهل وقد أرعدوا

ثم مضى ، فقيل لإسحاق : إن هذا الشعر له فى أبيك ، فقال إسحاق : أولى له ،
لم حرض نفسه وأحوج أبا العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقدرته ؟

وقد أورد أبو الفرج الأصفهانيّ خبر هذه الأبيات ، فقال : أمتدح ربعة الرقيّ
العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بقصيدة لم يُسبق إليها حسنا ، وهى
طويلة يقول فيها

لو قيل للعباس : يا ابن عميد * قل "لا" وأنت غلّد ماقلما
ما إن أعد من المكارم خصلة * إلا وجدتك عمها أو خالما
وإذا الملوك تساورت في بلدة * كانوا كواكبها وكنّت هلالما
إن المكارم لم ترل معقولة * حتى حلت براحتك عقالما

قال : فبعث إليه بدينارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين ، كاد
أن يخن غضبا ، وقال للرسول : خذ الدينارين فهما لك على أن تردّ لى الرقعة ، من
حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربعة ، وأمر من كتب
في ظهرها

مدحتك مِدْحَةُ السيف المَحْلُ * لتَجْرَى في الكرام كما جَرِيَتْ
فهبها مِدْحَةُ ذهبت ضياعا * كذبتُ عليك فيها وأقريتُ
فانت المرء ليس له وقاءٌ * كَأَنِّي إِذْ مدحتك قد زَيتُ

①

ثم دفعها إلى الرسول وقال : ضمها في الموضع الذي أخفيتها منه ، ففعل ، فلما

• كان من الغد ، أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات ، غضب ، وقام من

وقته ، فركب إلى الرشيد ، وكان أثيرا عنده يبعثه ويقتمه ، وكان قد هم أن يخطب

إليه أبنته ، فرأى الرشيد الكراهة في وجهه ، فقال ما شأنك ؟ قال : هجاني ربعة الرق ،

فأحضره الرشيد ، وقال له : يا ماص كذا وكذا من أمه أنهجو عني ، وأثر خلق الله

عندي ؟ لقد هممت أن أضرب عنقك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد أمتدحت

١٠ بقصيدة ما قال أحد مثلها من الشعراء في أحد من الخلفاء ، ولقد بالفت في الثناء ،

وأكثر الوصف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضارها فقل ، فلما سمع

الرشيد ذلك ، سكن غضبه ، وأحب أن ينظر في القصيدة ، فأمر العباس بإحضارها

فتلأ عليها ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين ، إلا أهرت بإحضارها ؟

فأحضرت ، فإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها وأستجادها وأعجب بها ، وقال :

١٥ والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ، ولقد صدق ربعة فبر ،

ثم قال للعباس : كم أثبتت عليها ؟ فسكت العباس ، وتغير لونه ، وغص بريقه ، فقال

ربعة : أنا بنى عنها يا أمير المؤمنين دينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من المودة

عليه ، فقال : بحياتي يارقي كم أنا بك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أنا بنى

إلا بلدينارين ، فغضب الرشيد غضبا شديدا ، ونظر في وجه العباس ، وقال : سوءة

٢٠ لك ! أية حال فعلت بك عن إنايته ؟ أفلة مال ؟ فوالله لقد نولتك جهدي ، أم

انقطاع المال عنك ؟ فوالله ما أقطعك بك ، أم أصلك ؟ فهو الأصل الذي لا يدانيه شيء ، أم نفسك ؟ لا ذنب لي ، بل نفسك والله فعلت بك ذلك ، حتى فضحت أجدادك وفضحتني ، وفضحت نفسك ، فنكس العباس رأسه ، ولم ينطق ، فقال الرشيد : يا غلام ، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم ، وخلمة ، وأحمله على بغلة ، ثم قال له : بحياتي لا تذكره في شيء من شرك تمريرضا ولا تصريحاً ، وفتر الرشيد عما كان قد هم به من أن يتزوج إليه وأظهر له بعد ذلك جفاء واطراحاً .

وقال محمد بن هاني

الواهب الألف إلا أنها بدر * والطاعن الألف إلا أنها نسق
تأتي عطاياه شتى غير واحدة * كما تدافع موج البحر بصطفي

وقال الرضى الموسوي

رياء والأيام ظمانه * من الندى نسوان بالإشير
لا يمك العذل يديه ولا * تأخذ منه نوة النحر

وقال أيضاً

ذخائره العرف في أهله * ونزات أمواله السائلونا

وقال أمية بن أبي الصلت التقي يمدح عبد الله بن جندعان

أذكر حاجتي أم قد كفاني * حياؤك إن شمتك الحياء
وعلمك بالأمور وأنت قرم * لك الحسب المهلب والسناء
كريم لا يشيره صباح * عن الخلق السني ولا مساء
إذا أمني طبعك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

وقال الشماخ بن ضَرَار

- تَزُورُ أَمْرًا يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَا لَهُ * وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْمُحَامِدِ يُعْمِدِ
وَأَنْتَ أَمْرٌ، مَنْ تُعْطِهُ الْيَوْمَ نَائِلًا * بِكَفِّكَ، لَا يَمْنُكَ مِنْ نَائِلِ الْفِدِ
تَرَى الْجُودَ لَا يُدْنِي مِنَ الْمَرْءِ حَتْفَهُ * كَمَا الْبَخْلُ وَالْإِمْسَالُ لَيْسَ بِجُلْدِ
مُفِيدٍ وَمِثْلَافٍ، إِذَا مَا سَأَلْتَهُ * نَهَلَّ، وَاهْتَرَأَهْتَازَ الْمَهْنِدِ
مَنْ تَأْتِيهِ تَعْشُوهُ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ * تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عَنْهَا خَيْرُ مُوقِدِ
قَالَ : وَلَمَّا سَمِعَ عَمْرُ بْنُ رَضِيٍّ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ ، قَالَ : كَذَبَ ، تِلْكَ نَارُ مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وقال السري الرفاء

- كَالْبَيْتِ وَالْبَيْتِ وَالْبَيْتِ إِذَا * أَقْرَبَ بَأْسًا وَبَهْجَةً وَنَدَى
نَاسٍ مِنَ الْجُودِ مَا يَجُودُ بِهِ * وَفَاكَّرُ مِنْهُ كَلِمًا وَعَدَا

وقال أبو الفرج الوأواء

- مَنْ قَاسَ جِدْوَالَهُ بِالْغَنَامِ فَمَا * أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ أَشْيَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جَدْتَ ضَاحِكًا أَبَدًا * وَهُوَ إِذَا جَادَ بِأَكْيَ الْعَيْنِ

- وقال ابن نباتة السعدي من قصيدة

- لَمْ يَبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَؤْتِمْلَهُ * تَرَكْنِي أَحْصِبَ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلِ

ذكر ما قيل في الإعطاء قبل السؤال

- قال سعيد بن العاصي : قَبِحَ اللَّهُ الْمَعْرُوفُ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ أَبْتَدَاءً مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ،
فَالْمَعْرُوفُ عَوُضٌ مِنْ مَسْأَلَةِ الرَّجُلِ ، إِذَا بَذَلَ وَجْهَهُ ، فَقَلْبُهُ خَائِفٌ ، وَفَرَأَصُهُ
تَرْعُدُ ، وَجَبِينُهُ يَرْفَعُ ، لَا يَدْرِي أَيْرِجُ بِمُحِيطِ الْغَلْبِ أَمْ بِسُوءِ الْمَقْلَبِ ، قَدْ بَاتَ لَيْلَتَهُ

يتعامل على فراشه ، يعاقب بين شقيقه ، مرةً هكنا ، ومرةً هكنا ، مَنْ حاجته ؟ ففطرتُ
بباليه أنا أو غيري ، فثُلُّ أرباجهم في نفسه ، وأقربهم من حاجته ، ثم عزم على ، وترك
غيري ، قد أشتَّعَ لونه ، وذهب دُم وجهه ، فلو خرجتُ له مما أملك لم أكافئه ، وهو
على آمن مني عليه ، اللهم فإن كانت الدنيا لها عندي حظٌ فلا تجعل لي حظاً في الآخرة .
وقال أكرم بن صيفي : كلُّ سؤال وإن قل ، أكثر من كلِّ نوال وإن جل .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه : من كانت له إلى منكم حاجة ،
فليرضها في تخاب ، لأصون وجوهكم عن المسألة .

وقال عبد العزيز بن مروان : ما تأتني رجل قط ، إلا سألته عن حاجته ، ثم كنت
من ورثائها .

وقال حبيب

عطاؤك لا يغني ويستغرقني المتى * وتبقى وجوه الراغبين بمائها

وقال أيضاً

ما ماء كفك إن جادت وإن بخلت * من ماء وجهي إذا أفنيتُه عوَضُ
وقالوا : مَنْ بذل اليك وجهه ، فقد وفَّاك حقَّ نعمته .

وقال معاوية لصمَّصة بن صُوحان : ما الجود ؟ فقال : التبرع بالمال ، والعطاء
قبل السؤال .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربّه

كريمٌ على العِلاّتِ جزلٌ عطاؤه * يُبيلُ وإن لم يُعتمدْ لنوالِ
وما الجود من يُعطي إذا ما سأته * ولكن من يُعطي بغير سؤالِ

وقال حبيب الطائي

- لئن جحدتك ما أوليت من كرم * إلى نقي اللؤم أضى منك في الكرم
أنسى أبسا ملك والألوان كاسفت * تبسم الصبح، في داج من الظلم
رددت روق وجهي في صنيحته * رد الصبا صفاء الصارم الخديم
وما أبالي - وخير القول أصدقه - * حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي •

ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام

- روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الشجاعة غريزة يضعها الله
فيمن يشاء من عباده، إن الله يحب الشجاع ولو على قتل حية » .
وقالوا : حد الشجاعة سعة الصبر بالإقدام على الأمور المتلفة .
وسئل بعضهم عن الشجاعة فقال : جيلة نفس أبيّة، قيل له : فما النجدة؟ قال :
ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت، حتى تمجد بفعلها دون خوف .
وقيل لبعضهم : ما الشجاعة ؟ فقال : صبر ساعة . وقال بعض أهل التجارب :
الرجال ثلاثة : فارس، وشجاع، وبطل، فالفارس الذي يشد إذا شتوا، والشجاع :
الداعي إلى البراز والمجيب داعيته، والبطل : الحامي لظهور القوم إذا ولّوا .
قال يعقوب بن السكيت في كتاب الألفاظ : العرب تجعل الشجاعة في أربع
طبقات، تقول : رجل شجاع، فإذا كان فوق ذلك، قالوا : بطل، فإذا كان فوق ذلك،
قالوا : بهمة، فإذا كان فوق ذلك، قالوا : ليس .
وقال بعض الحكماء : جسم الحرب : الشجاعة، وقلبي : التدبير، ولسانها :
المكيدة، وجناحها : الطاعة، وقائماها : الرفق، وساعقها : النصر .

قالوا : لما ظفر المهلب بن أبي صفرة بالخوارج ، وجّه كعب بن معاذ إلى
الحجاج ، فسأله عن بني المهلب ، فقال : المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى يزيد
فارسا شجاعا ، وجوادهم وشيخهم : قبيصة ، ولا يستحي الشجاع أن يفز من
مُدرك ، وعبد الملك : سم نافع ، وحبيب : موت زعاف ، ومحمد : ليث غاب ،
وكفالك بالمفضل نجدة ، قال : فكيف خلفت جماعة الناس ؟ قال : خلفتهم بخير ،
قد أدركوا ما أملوا ، وأمنوا ما خافوا ، قال : فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟ قال :
كانوا حمة السرج نهارا ، فاذا ألبوا ففرسان الليالي ، قال : فأيهم كان أنجدا ؟ قال :
كانوا كالحلقة المفترقة ، لا يدرى أين طرفها ، قال : فكيف كنتم أتم ومدوكم ؟
قال : كنا إذا أخذنا ، عفونا ، وإذا اجتهدوا ، اجتهدنا فيهم ، فقال الحجاج : (إِنَّ الْعَاقِبَةَ
لِلْمُتَّقِينَ) . ١٠

وقالوا : أشجع بيت قاله العرب قول العباس بن مرداس السلمي
أشدُّ صل الكيبة لا أبالي * أحضى كان فيها أم سواها ؟
وقد مدح الشعراء الشجاعة وأهلها ، وأوسعوا في ذلك ، فمن ذلك قول المتنبي
شجاع كان الحرب عاشقة له * إذا زارها فدته بالخليل والرجل
وقال أيضا ١٥

وكم رجال بلا أرض لكثرتهم * تركت جمعهم أرضا بلا رجل
ما زال طرفك يجرى في دمايمهم * حتى مشى بك مشى الشارب الثمل
وقال العاد الإصفهاني

قوم إذا ليسوا الحديد إلى الوغى * ليس الحديد عدوهم في المهرب
المصيدرون الدّم عن ورد الوغى * سُقرا تجلّل بالعجاج الأشهب ٢٠

وقال أبو الفرج البيهقي

واليوم من قَسَى السَّجَاجَةَ لَيْلَةً * والكُرَّ يَحْرَقُ مَجْعَهَا المَدُودَا
وعلى الصَّفَاحِ مِنَ الْكَفَاجِ وَصِدْقِهِ * رَدُّعُ أَحَالٍ بِيَاضِهَا تَوْرِيدَا
والطَّمَنُ يَفْتَصِبُ الْجِيَادَ شِيَاتَهَا * والضَرْبُ يَدْحُ فِي التَّلِيلِ وَقُودَا
وعلى النفوس من الجِسامِ طَلَامُغُ * والخُوفُ يَنْشُدُ صَبْرَهَا المَقْهُودَا
وأَجَلٌ مَا عِنْدَ الْفَوَارِسِ حُثَا * فِي طَاعَةِ المَرْبِ الْجِيَادُ الْقُودَا
حتى إِذَا مَا فَارَقَ الرَّأْيُ المَسْوَى * وَهَذَا البَقِيَّةُ عَلَى الظَّنُونِ شَيْدَا
لَمْ يُغْنِ خَيْرُ أَبِي شَجَاجٍ وَالْعَلَا * عَنْهُ سَاحَى النَصْرِ وَالتَّائِيدَا

❦

وقال أيضا ورؤى للبحرئ

١٠ مِنْ كُلِّ مَنَبِّعٍ الْأَخْلَاقُ مَبْنِيَّةٌ * لَلْخُطْبِ إِنْ ضَاقَتْ الْأَخْلَاقُ وَالْحِيلُ
يَسْمَى بِهِ الْبَرْقُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَرَسٌ * فِي صَوْرَةِ المَسْوِيَةِ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلُ
يَلْقَى الرَّمَاحَ بِصَدْرِ مَنْهُ لَيْسَ لَهُ * ظَهَرٌ وَهَادِي جَوَادٍ مَا لَهُ كَفْلُ

وقال البحرئ

١٥ مَعْرِضُ أَسْكَتْ حُلُومُهُمُ الْأَرْ * ضَ وَكَادَتْ لَوْلَاهُمْ أَنْ تَمِيدَا
إِذَا الْجَدْبُ جَاءَ كَانُوا غِيُوثَا * وَإِذَا النِّعَ تَارَتْ تَارُوا أَسُودَا
وَكُنْتُ الْإِلَهِ قَالَ لَهُمْ فِي السَّحَرِ كُنُوا حِمَاةً أَوْ حَمِيدَا

وقال مسلم

لَوْ أَنْتَ قَوْمَا يَخْلُقُونَ مَنِيَّةً * مِنْ بَأْسِهِمْ كَانُوا بَنَى جَبْرِيلَا
قَوْمٌ إِذَا حَمَى الوَطَنُ لَدَيْهِمْ * جَلُّوا الْجَمَاجِمَ السُّيُوفَ مَقِيلَا

وقال آخر

عقبان رَوْعٍ والسروجُ وكورها * وليوثُ حربٍ والقنا آجامُ
وبدور تمّ والشواثك في الوعى * هالائها والسابرى غمامُ
جادوا بمنوع التلايد وجؤدوا * ضرباً تُخدّ به الطلأ والممامُ
وتجاورت أسيافهم وجيادهم * فالأرض تُطرّ والسماء تُفامُ

وقال آخر

قوم، شرابُ سيوفهم ورماحهم * في كلّ مستقرّ دمُ الأشرافِ
رجعت إليهم خيلهم بعاثير * كلّ لكلّ جسيم أمير كافٍ
يحتنون إلى لقاء مدّهم * كتمنّ الألاف للألاف
ويباشرون ثلّباً السيوف بأنيس * أمعى وأقطع من ثلّب الأسيافِ

وقال ابن حيّوس

إن تردّ خبرُ حالمٍ عن قريب * فأتيم يومَ نائيلٍ أو زالٍ
تلقّ بفضّ الوجوه سودَ مثار السجع، خُضِرَ الأكلافِ حمر النصالِ

ومما قيل في الصبر والإقدام

قال الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعُوا تَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يُفْتَنُوا لِقَاءُ الْعَدُوِّ
وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فأثبتوا وأكثروا من ذكر الله وإن جلبوا ونبهوا فعليكم
بالصمت » .

ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ربِّ حياةٍ، سبها التعرض للموت، وربِّ مئة، سبها طلبُ الحياة .

وقالوا : أجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم : الصبر مطيعة النصر .

وقال آخر : الصبر مطيعةٌ لا تكبو، وإن عَنَفَ عليه الزمان .

وقال آخر : الصبر شربةٌ^(١)، تمرأرية^(٢) .

وقيل للهلب بن أبي صفرة : إنك لتلقى نفسك في الممالك ، فقال : إن لم أت الموت مسترسلا ، أنا في مستعجلا ، إني لست آتي الموت من حُبِّه ، وإنما آتية من بغضه ، وتمثل بقول الحصين بن الحمام

تأثرتُ استيق الحياة فلم أجد * لنفسي حياةً مثل أن أتقما

وهي قصيدة مشهورة منها

فلسنا على الأعقاب تدعى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطرُ الدما

نفلقُ هاماً من كرامِ أعزّة * علينا، وهم كانوا أحمق وأظلم

ولما رأينا الصبر قد حيلَ دونه * وإن كان يوماً ذا كواكبٍ مظلم

صبرنا، وكان الصبرُ منا حجةً * بأسافنا يقطعنَ ككفا ومعمما

ولما رأيت الودَّ ليس بناضي * عمدتُ إلى الأمر الذي كان أحرما

فلستُ بمتاع الحياة بسيةً * ولا مرتقي من خشية الموت سلما

وقالت العرب : الشجاعة وقاية، والجبنُ مقتلة . وكذلك : إن من يقتل مدبراً، أكثر من يقتل مقبلاً .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد : أحرص على الموت ، توهب لك الحياة .

وقالت الحكماء : استقبال الموت ، خير من استبداره .

وقال العلوي

محترمة أكفأ خيل على القنا * ودامية لبأثها ونحوها

حرام على أرمحين طعن مدبر * وتندق منها في الصدور صدورها

وقال أبو تمام

قلوا ولكتهم طابوا فانبجدم * جيش من الصبر لا يحصى له مدد

إذا رأوا للنايا عارضا ليسوا * من اليقين دروعا ماله زرد

ناوا عن المصريح الأدق فليس لهم * إلا السيوف على أعدائهم مدد

وما زالت العرب يتقادحون بالموت قسما ، ويتسايون بالموت على الفراش ،

ويقولون فيه : مات فلان حنفاً أنفه ، وأول من قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٠

ومدح أعرابي قوما فقال

يقترحمون الحرب كأنما * يلقونها بنفوس أعدائهم

وقال عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مصعب : إن يقتل فقد قُتل أخوه

وأبوه وعمه ، إنا والله لانموت حنفاً ولكن قسماً بأطراف الرماح ، وموتاً تحت ظلال

السيوف ، وقال السموعل بن عاديا ١٥

وما مات منا سيد في فراشه * ولا طل منا حيث كان قبيل

تسيل على حد الثبابة نفوسنا * وليست على غير الثبابة تسيل

وقال أيضا آخر

وإنا لتستعمل المتايا نفوسنا * وتترك أخرى مرة ما نذوقها



وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين ، وقد قيل له : أتقاتل أهل الشام بالعداء ، وتظهر بالشقي في إزار ورداء ؟ فقال : أبا الموت تحفوني ؟ فوالله ما أبالي ، أسقطت على الموت ، أم سقط الموت علي ، وقال لابنه الحسن : لا تدعون أحدا إلى المبارزة ، وإن دعيت إليها فأجب ، فإن الداعي إليها باغ ، وللباغي مصرع . وقال رضي الله عنه

« بقية السيف أنمي عددا »

يريد أن السيف إذا أسرع في أهل بيت كثر عددهم ونمي .

- وقال ابن عباس رضي الله عنه : عقت النساء أن تأتي بمثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لهدي به يوم صفين ، وعلى رأسه عمامة بيضاء ، وهو يقف على شرفية شرفية من الناس ، يحضهم على القتال ، حتى انتهى إلى ، وأنا في كنف من الناس ، وفي أغيلة من بني عبد المطلب ، فقال : يا معشر المسلمين ، تجلبوا السكينة ، وتكلموا الأمة ، وألقوا السيوف في الأعقاد ، وكافوا بالظبا ، وصلوا السيوف بالخطا ، فإنكم بين الله ، ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عاودوا الكر ، واستحيوا من الفتر ، فإنه عار في الأعقاب ، ونار في الحساب ، وطيبوا على الحياة أنفسا ، وسبروا إلى الموت سيرا ^(١) مجحا ، ودونكم هذا الزواق الأعظم ، فاصبروا ، فإن الشيطان راكب صعدته ، قدموا للوثبة رجلا ، وأثروا للنكوص أخرى ، فصمدا صمدا ، حتى يبلغ الحق أجله ، والله معكم ، ولن تترككم أعمالكم ، ثم صدر عنا ، وهو يقرأ (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشَفِّ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) .

وكان معاوية بن أبي سفيان يمثل يوم صفين بهذه الآيات

- أبث لي شيتي وأبى بلأني * وأخذني الحمد بالثمن الريح

وإقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي * وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطِيلِ الْمَشِيحِ
وَقَوْلِي كَلِمَاتِ جَشَاتٍ لِنَفْسِي * مَكَانِكَ تُجْعِدِي أَوْ تَسْتَرْجِي
لَا دَفْعَ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتٍ * وَأَحْيِي بَعْدُ عَنْ عِرْضِ صَحِيحِ
وَقَالَ قَطْرِيُّ بْنُ الْقُجَّاءَةِ أَمِيرُ الْخَوَارِجِ

وَقَوْلِي كَلِمَاتِ جَشَاتٍ لِنَفْسِي * مِنَ الْإِبْطَالِ وَيَحِيكَ لَا تُرَاعِي
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ * عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تَطَاعِي
فَصَبْرًا فِي جَمَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا * قَلَّا تَبِيلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ
سَبِيلُ الْمَوْتِ ظَاهِيَةٌ كُلُّ حَيٍّ * وَدَاعِيَةٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ

يَا نَفْسُ إِنْ لَمْ تُقَتِّلِي تَمُوتِي * إِنْ تَسَلِمِي الْيَوْمَ فَلَا تَمُوتِي
أَوْ تُبْقِي فَعَالِمًا عُوفِيَّتِ * هَذِي حَيَاضُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيَّتِ
وَمَا تَحْتَبِي فَقَدْ لَقِيَّتِ * إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدِيَّتِ
* وَإِنْ تَوَلَّيْتِ فَقَدْ شَقِيَّتِ *

يريد بقوله

* فَإِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدِيَّتِ *

فَعَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَجَعَفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكَانَا قُتِلَا فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ بِمَوْتِهِ . وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ يَصْفِي حَتَّى
يَقِفَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ وَيُنْشِدُ

مَنْ أَيْ يَوْمِي مِنَ الْمَوْتِ أَتَزُ * يَوْمٌ لَا يُقَدَّرُ أَمْ يَوْمٌ قُدِّرَ
فَيَوْمٌ لَا يُقَدَّرُ لَا أَرْجُهُ * ثُمَّ مِنَ الْمَقْدُودِ لَا يَضْهُو الْحَيْزُ

ومثله قول جرير من قصيدة أولها

* هاجَ الفراق لقلبك المهتاج *

منها

قل للبيان إذا تأنر سرجه * ما أنت من شرك المنية ناجي

وقالت امرأة من جند القيس

أبو أن يقرؤا والقنا في محورهم * ولم يتفوا من خشية الموت سُلمًا
ولو أنهم فرؤا لكانوا أحرزة * ولكن رأوا صبراً على الموت أكرماً

وقال حبيب بن أوس الطائي

فَأُثْبِتَ في مستنقع الموت رجلاً * وقال لها من تحت أنتمصك الحشرُ
وقد كان فوَّت الموت سهلاً فردّه * عليه الحِفاظُ المُروءاتُ والخلقُ الوعرُ
ضاً غدوةً والمهدُ نسجُ رثائه * فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجرُ
تردى ثياب الموت مُحمراً فأتى * لها الليلُ إلا وهى من سندس تُحضرُ

وقال

قومٌ إذا لبسوا الحديدَ حسبتهم * لم يحسبوا أن المنية تُخلقُ

أنظر بحيث ترى السيوفَ لوامعاً * أبداً وفوق رءوسهم تتألقُ

وقال البيهقي

يسى إلى الموت والقنا قصداً * وخيله بالرموس تتعلُّ

كانه واثق بأن له * عُمرًا مُقياً وما له أجل

وقال كعب بن مالك

نصلُ السيوف إذا قصُرْنَ بخطونا * قدماً وتلقوها إذا لم تُلحقِ

ومثله لبعض بن قيس بن ثعلبة

لو كان في الألف متأ واحد فدعوا * مَنْ فارَّس؟ خالهم إياه يمنونا
إذا الحكمة تحووا أن يصيهم * حدُّ الطلبة وصلناها بأيدنا

ومثله قول الآخر

إذا قصرت أسبافنا كان وصلها * خطانا إلى أصدائنا فتقارب

ومثله قول وداك بن نمير المازني

مقاديم وصالون في الرُّوع خطوهم * بكلِّ رقيق الشُّفَرين يمانِي
إذا استنجدوا لم يسألوا مَنْ دعاهم * لأية حريب أم باى مكان

وقال أبو تمام في سمة الخطو

خطو، ترى الصارم الهندى متصرا * به، من المازن الخطى متصفا

وقال آخر

كان سيفه صيغت حقودا * تجول على الترائب والنحور
وشمر رماحه جعلت هموما * فإ يخطرن إلا في ضمير

وأجود ما قاله مُحتك في الصبر قول ابن الرومي

أرى الصبر محمودا وعنه مذاهب * فكيف إذا ما لم يكن عنه منهج؟
هناك يحق الصبر، والصبر واجب * وما كان منه كالضرورة أوجب
فشد امرؤ بالصبر كفا فإنه * له عصمة، أسبابها لا تقب
هو المهرَّب المتجى لمن أهدت به * مكاره دهر ليس منهز مهزَّب
لهوس جمال جنة من شماتة * شفاء أسى يُثنى به ويشوب

- فياعجبا للشيء هذى خلاله * وتارك ما فيه من الحظ أعجب
وقد يتظنى الناس أنت أساهم * وصبرهم فيهم طباغ مركب
فإنهما ليسا كشيء مصروف * يصرفه ذو نكبة حين يتكب
فإن شاء أن يأسى أطاع له الأسي * وإن شاء صبرا جاءه الصبر يحلب
وليسا كما ظنوها بل كلاهما * لكل لبب استطاع مسب
يصرفه المختار منا قارة * يراد فيأتي، أو يزداد فيذهب
إذا احتج عتج على النفس لم تكد * على قدر يمضى لها تنتب
وساعدتها الصبر الجليل فاقبلت * إليها له طوعا جئات مجنب
وإن هو سناها الأباطيل لم تزل * تقايل بالعب القضاء وتغلب
فيضيح جزوا إن أصابت مصيبة * ويمسى حلولا إن تعدر مطلب
فلا يعذرن التارك الصبر نفسه * بأن قيل : إن الصبر لا يتكسب

ذكر ما قيل في وفور العقل

- قال الله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)
قال المفسرون : صبر عن العقل بالقلب، لأنه محله وسكنه، وقال تعالى : (وَلْيَذْكُرْ
أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ)، وقال تعالى : (وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ) . وقال تعالى : (هَلْ
فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أول ما خلق الله العقل، قال
له : أقبل، فاقبل، ثم قال له : أدبر، فأدبر، ثم قال : وعزى وجلالى، ما خلقت
خلقا أكرم على منك، بك أخذ، وبك أعطى، وبك أنيب، وبك أعاقب » .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى قسم العقل على ثلاثة أقسام ، فمن كنَّ فيه كلُّ عقله ، ومن لم يكن فيه جزء منها ، فلا عقل له » ، قيل : يا رسول الله ، ما أجزاء العقل ؟ قال : حسن المعرفة بالله ، وحسن الطاعة لله ، وحسن الصبر على أمر الله . . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أكتسب رجل مثل فضل عقلي يَهْدِي صاحِبَه الى هَدْي ، ويرَقِد عن رَدْي ، وما تمَّ إيمان عبد ولا استقام دينه ، حتى يكُلَّ عقله » .

وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لـتيم الدارى : ما السُّودد فيكم ؟ قال : العقل ، قال : صدقت ، سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك ، فقال كما قلت ، ثم قال : سألت جبريل ما السُّودد ؟ فقال : العقل .

١٠ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، بأى شيء يَتَفاضل النَّاسُ في الدنيا ؟ قال : بالعقل ، قلت : وفي الآخرة ؟ قال : بالعقل ، قلت : أليس إنما يميزون بأعمالهم ! فقال : « يا عائشة ، وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله تعالى من العقل ، فيقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم ، وبقدر ما عملوا يُمَيِّزُونَ » .

١٥ وعن سعيد بن المسيَّب : أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، من أعلم الناس ؟ قال : العاقل ، قالوا : فمن أعبد الناس ؟ قال : العاقل ، قالوا : فمن أفضل الناس ؟ قال : العاقل ، قالوا : أليس العاقل من طَهَّرت مروهته ، وظَهَّرت فصاحته ، وجادت كفه ، وعظمت منزلته ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا نَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) إن العاقل هو التقي وإن كان في الدنيا خسيسا دنيا .

وورد فى الأثر : «أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام العقل والدين والحياة ، فاختر العقل ، قفيل للدين والحياة : أرثعما ، قالا : لا ، قال : أفصعبنا أمر ربكنا ؟ قالا : ما عصينا أمر ربنا ، ولكنا أمرنا أن نتبع العقل حيث كان » .

وقال لقمان لأبنه : إن غاية الشرف والسؤء فى الدنيا والآخرة ، حسن العقل ، لأن المبدأ إذا حسن عقله ، غطى ذلك عيوبه ، وأصلح مساوئه ، ورضى عنه خالقه ، وكفى بالمرء عقلا أن يسلم الناس من شره .

وقيل : مكتوب فى حكمة آل داود عليه السلام : على العاقل أن يكون مالم بأهل زمانه ، مالكا لسانه ، مقبلا على شأنه .

وقال بعض الحكماء : كل شىء يمز إذا قل ، والعقل كلما كان أكثر كان أعز وأعلى ، ولو بيع ، لما اشتراه إلا العاقل لمعرفته بفضله ، وأول شرف العقل أنه لا يشتري بالمال .

قال أبو عطاء السندى

فإن العقل ليس له إذا ما • تذكرت الفضائل من كفاء

وقالوا : العلم قائد ، والعقل سائق ، والنفس بينهما حرون ، فإذا كان قائد بلا سائق هلك ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا ، فإذا اجتمعا أجابت طوما أو محرما .

ذكر ما قيل في حدّ العقل وماهيّته وما وصف به

وقد اختلف الحكماء، في حدّ العقل، فقيل : حدّه الوقوف عند مقادير الأشياء
قولا وفعلا، وقيل : النظر في العواقب، وقال المتكلمون : هو اسم لعلوم اذا
حصلت للإنسان صحّ تكليفه . وقيل : العاقل من له رقيب على شهواته، وقيل :
هو من عقل نفسه عن المحارم، وقال عمرو بن العاص : أن يعرف خير الخيرين،
وشرّ الشرّين .

قال أبو هلال : ومن العجب أن العرب تمثّلت في جميع الخصال، بأقوام جملوهم
أعلاما فيها، فضربوا بها المثل اذا أرادوا المبالغة، فقالوا : أحلم من الأحف، ومن
قيس بن عاصم، وأجود من حاتم، ومن كمب بن مامة، وأشجع من إسظام، وأبين
من تهبان، وأرى من ابن يقين، وأعلم من دغقل، ولم يقولوا : أعقل من فلان،
فلعلهم لم يستكلوا عقل أحد، على حسب ما قال الأعرابي، وقد قيل له : حدّ لنا
العقل، فقال : كيف أحده ولم أره كاملا في أحد قط .

وقيل لحكيم : ما جماع العقل ؟ فقال : ما رأيته مجتمعا في أحد فاصفه،
وما لا يوجد كاملا فلا حدّ له .

وقالوا : لكلّ شيء غاية وحدّ، والعقل لا غاية له ولا حدّ، ولكن الناس يتفاوتون
فيه كتنافوت الأزهار في الرائحة والطيب .

وآختلفوا في ماهية العقل، كما آختلفوا في حدّه، فقال بعضهم : هو نور وضعة الله
تعالى طيبا وغريزة في القلب، كالنور في العين وهو البصر، فالعقل نور في القلب،
والبصر نور في العين، وهو ينقص ويزيد، ويذهب ويصود، وكما يدرك بالبصر شواهد

الأمور، كذلك يُدركُ بالعقل كثيرٌ من المحجوب والمستور، وعمى القلب كعمى البصر، قال تعالى : (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس الأعمى من عمى بصره، ولكن من عميت بصيرته » .

- وقال عبد الله بن عمر بن معاوية عن عمر بن عتبة المعروف بالعتي : العقل عقلان، عقلٌ تفردَ الله تعالى بصنعه، وهو الأصل، وعقلٌ يستفيدة المرء بأدبه وهو الفرع، فاذا اجتمعا، قوى كل واحد منهما صاحبه، حقوة النار في الظلمة للبصر .

نظم بعض الشعراء هذا اللفظ فقال، ويروى لعل بن أبي طالب رضى الله عنه

رَأَيْتُ الْعَقْلَ عَقْلَانِ : * مُطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ

- ١٠ ولا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ * إِذَا لَمْ يَكْ مُطْبُوعٌ

كَمَا لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ * وَضَوْءُ الْعَيْنِ مَمْنُوعٌ

وأكثر الناس على أنَّ العقلَ في القلب، ودليله قوله عز وجل : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) .

- ١٥ وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العقل في القلب يفرق به بين الحق والباطل » .

وقال بعضهم : هو في السماغ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه .

وأما ما وُصف به قليل : العقلُ وزير رشيد، وظهير سعيد، من عصاه أوداه، ومن أطاعه أنجاه .

وقال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : لم تر عيناى أجَلَّ من فضيل عَقِيلٍ يتردَّى به الرجلُ إنْ
 أنْكَسَرَ جَبْرَهُ ، وإنْ تَصَدَّعَ أُنْشَهُ ، وإنْ ذُلَّ أَعْرَهُ ، وإنْ أَعْوَجَّ أَقَامَهُ ، وإنْ عَثَرَ
 أَقَالَهُ ، وإنْ أَتَقَرَّ أَغْتَاهُ ، وإنْ عَرَى كَسَاهُ ، وإنْ غَوَى أَرَشَدَهُ ، وإنْ خَافَ أَمْتَهُ ،
 وإنْ حَزَنَ أَفْرَحَهُ ، وإنْ تَكَلَّمَ صَدَقَهُ ، وإنْ أَقَامَ بَيْنَ أَظْهَرِ قَوْمٍ أَعْتَبَطُوا بِهِ ، وإنْ
 غَابَ عَنْهُمْ أَسْفَوْا عَلَيْهِ ، وإنْ بَسَطَ يَدَهُ قَالُوا : جَوَادٌ ، وإنْ قَبِضَهَا قَالُوا : مُقْتَصِدٌ ،
 وإنْ إِشَارَ قَالُوا : حَالِمٌ ، وإنْ صَامَ قَالُوا : مُجْتَهِدٌ ، وإنْ أَفْطَرَ قَالُوا : مُعْذُورٌ .

قال بعض الشعراء

يُعَدُّ رَفِيعُ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا * وإن لم يكن في قومه بحسيب

وإن حل أرضا عاش فيها بمقله * وما عاقلٌ في بلدةٍ بغريب

وقال بعض الحكماء : إذا ظَلَبَ الْعَقْلُ الْهَوَى ، صَرَفَ الْمَسَاوِيَّ إِلَى الْحَاسَنِ ، فَجَعَلَ
 الْبَلَادَةَ حِلْمًا ، وَالْحِلَّةَ ذِكَاةً ، وَالْمَكْرَ فِطْنَةً ، وَالْمَذَرَ بِلَافَةً ، وَالْيَمِيَّ حِمَّتًا ، وَالْعَقُوبَةَ
 أَدْبَاءً ، وَالْجُبْنَ حَذْرًا ، وَالْإِسْرَافَ جُودًا .

وقيل : لو صُوِّرَ الْعَقْلُ ، لِأَضَاءٍ مَعَ اللَّيْلِ ، وَلَوْ صُوِّرَ الْجَهْلُ ، لِأَظْلَمٍ مَعَ النَّهَارِ .

قال المتنبّي

لولا العقولُ لكان أدنى ضيغيم * أدنى إلى شرف من الإنسان

وقد نُدِبَ إِلَى صَحْبَةِ الْعُقْلَاءِ .

قال الزُّهْرِيُّ : إذا أَنْكَرْتَ عَقْلَكَ ، فَاقْدَحْهُ بِعَاقِلٍ . قال ابنُ زُرَّارَةَ : جَالِسُ
 الْعُقْلَاءِ أَصْدَاءُ كَانُوا أُمَّ أَصْدِقَاءَ ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَقَعُ عَلَى الْعَقْلِ .

قال بعض الشعراء

جدُّوك ذُو الْعَقْلِ أَيْقَى عَلَيْكَ * وأبقى من الوامقِ الْأَحْمَقِ

وقال آخر

فه دَرُّ العقل من راشِد * وصاحب في السير والسير
وحاكم يقضى على غائب * قضية الشاهد للأمر
وإن شئت بعض أحواله * أن يفصل الخير من الشر
له قوَى ، قد خصه ربه * بخالص التقديس والطهر

وقال آخر

إذا لم يكن للسر عقل فإنه * وإن كان ذا قدر على الناس - هين
وإن كان ذا عقل أجل لعقله ، * وأفضل عقل من يتين

وقال آخر

العقل حلة غير من تسربها * كانت له تشابهي عن النسيب
وأفضل العقل ما في الناس كلهم * بالعقل ينجو الفتي من حومة المعطي

وقال ابن حديد

وأفضل قسم الله للسر عقله * فليس من الخيرات شيء يقاربه
فزين الفتي في الناس صحة عقله * وإن كان محظورا عليه مكاسبه
ويُرى به في الناس قلة عقله * وإن كُرم أعرافه ومناسبه
إذا أكل الرحمن للسر عقله * فقد كُلت أخلاقه ومآربه

وقال آخر

ما وهب الله لأمرئ حبة * أشرف من عقله ومن أدبه
هما جمال الفتي ، فإن علما * فإن فقد الحياة أقع به

وقال أئمر

ولم أر مثلاً الفقير أوضع للفقر * ولم أر مثلاً المال أرفع للثقل
ولم أر من عُدِمَ أضُرَّ على الفقى * اذا عاش بين الناس من عُدِمَ العقل

ذكر ما قيل في الصدق

قال الله عز وجل مبشراً للصادقين : (هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تصدقوا الصدق ، فإن الصدق يهْدِي الى البر ، والبر يهْدِي الى الجنة ، وإن المرء ليتحرى الصدق ، حتى يكتبَ صديقاً » .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، ما عمل أهل الجنة ؟ قال : الصدق ، اذا صدق العبد برّاً ، واذا برّ أمين ، واذا أمين دخل الجنة . قال : يا رسول الله ما عمل أهل النار ؟ قال : الكذب ، اذا كذب العبدُ بفر ، واذا بفر كفر ، واذا كفر دخل النار .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بم يعرف المؤمن ؟ قال : بوقاره ، ولين كلامه ، وصدق حديثه . ومن كلام علي رضى الله عنه : الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك ، على الكذب حيث ينفعك .

وقال بعض الحكماء : الصدق أزين حلية ، والمعروف أريح تجارة ، والشكر أودم نعمة . وقال بعضهم : رأيت أرسطاطاليس فى المنام ، فقلت : أى الكلام أحسن ؟

فقال : ما صدق قائله ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما آستحسنه سامعه ، قلت : ثم ماذا ؟ قال : كل كلام جاوز هذا فهو ونبيقُ الحمارِ بمترلة .

وقال الأحنف لأبنته : يا بني ، يكفيك من شرف الصدق ، أن الصادق يُقبل قوله في عدوه ، ومن دناعة الكذب ، أن الكاذب لا يُقبل قوله في صديقه ولا عدوه ، لكل شيء حيلة ، وحيلة المنطق الصدق يدل على اعتدال وزن العقل .

قال عامر بن الظرب العدواني في وصيته : إني وجدتُ صدق الحديث طرفاً من الغيب فأصدقوا ، من لزم الصدق وعدوه لسانه ، فلا يكاد يتكلم بشيء يظنه ، إلا جاء على ظنه .

وقالوا : ما السيف الصارم ، في كَفِّ الشجاع ، بأعز من الصدق .

- ١٠ وقيل : مرَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بمجوز تبيع اللبن ، فقال لها : يا مجوز ، لا تنفسي المسلمين ، ولا تشوي لبنتك بالماء ، قالت : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم مرَّ بها بعد ذلك ، فقال يا مجوز ، ألم أعهد إليك أن لا تشوي لبنتك بالماء ؟ فقالت : والله ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ، فحكمتُ بنتُ لها من داخل الخباء ، فقالت : يا أماء ، أغشاً وحثاً جمعتِ على نفسك ؟ فسمها عمر فاعجبته ، فقال لولده : أيكم يتزوجها ؟ ففعل الله أن يخرج منها نسمة طيبة ، فقال أبنته عاصم : أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين ، فزوجها منه ، فأولدها أم عاصم ، تزوجها عبد العزيز بن مروان فأولدها عمر ابن عبد العزيز .

وروى أن بلالا لم يكذب منذ أسلم ، فبلغ ذلك بعض من يحسده ، فقال : اليوم أكذبه فسأيره ، فقال له : يا بلال ما سنُّ فرسك ؟ قال عظم ، قال : فما جريده ؟ قال :

يُحْضِرُ مَا اسْتَطَاعَ ، قَالَ : فَاَيْنَ تَزَلُ ؟ قَالَ : حَيْثُ أَضْعُ قَدْمِي ، قَالَ : أَبْنُ مِنْ أَنْتَ ؟
 قَالَ أَبْنُ أَبِي وَأُمِّي ، قَالَ : فَكَمْ أَتَى عَلَيْكَ ؟ قَالَ : لَيْلًا وَأَيَّامًا ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَدَدِهَا ،
 قَالَ : هِيَاتِ ، أَعَيْتُ فِيكَ حَقِيْقِي ، مَا أَتَعَبُ بِمَدِّ الْيَوْمِ أَبَدًا .

ذَكَرَ مَا قِيلَ فِي الْوَفَاءِ وَالْحَافِظَةِ وَالْأَمَانَةِ

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) . وَقَالَ تَعَالَى :
 (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) . وَقَالَ تَعَالَى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ
 إِلَىٰ أَهْلِهَا) . وَقَالَ تَعَالَى : (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) .

وَرَوَى : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
 عَلَيْكَ بِصَدَقِ الْحَدِيثِ ، وَوَفَاءِ الْعَهْدِ ، وَحَفِظِ الْأَمَانَةَ ، فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ .

كَانَ أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، خَتَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ابْنَتِهِ زَيْنَبَ ، تَابَرَا تَضَارَبَهُ قَرِيْشٌ بِأَمْوَالِهِمْ ، فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ سَنَةً
 الْمُهْجَرَةَ ، فَلَمَّا قَدِمَ ، عَرَضَ لَهُ الْمَسْلُومُونَ ، وَأَسْرَوْهُ ، وَأَخَذُوا مَا مَعَهُ ، وَقَدِمُوا بِهِ
 الْمَدِيْنَةَ لَيْلًا ، فَلَمَّا وَصَلُوا الْفَجَرَ ، قَامَتِ زَيْنَبُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَتْ :
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ أَجْرَيْتُ أَبَا الْعَاصِ وَمَا مَعَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قَدْ أَجْرْنَا مِنْ أَجْرِيٍّ وَدَفَعَ إِلَيْهِ مَا أَخَذُوهُ مِنْهُ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ، فَأَبَى ، وَخَرَجَ
 إِلَى مَكَّةَ ، وَدَعَا قَرِيْشًا ، فَاطْلَمَعَهُمْ ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ وَفَيْتُمْ ؟
 قَالُوا : نَعَمْ ، قَدْ أَتَيْتِ الْأَمَانَةَ وَوَفَيْتِ ، قَالَ : أَشْهَدُوا بِجَمْعِي ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ
 إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَسْلِمَ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا : أَخَذَ أَمْوَالَنَا ، ثُمَّ
 هَاجَرَ ، فَأَهْرَهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّكَلِجِ ، وَتَوَقَّى فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ .

(١) اَتَخَفْتُ : الصَّهْرَ أَرَادَ كُلَّ مَنْ كَانَ مِنْ بَيْلِ الْمَرْأَةِ كَالْأَبِ وَالْأَخِ وَجَمْعُهُ : اَتَخَفَانُ .

وقيل: لما قوى أمر بني العباس وظهر، قال مروان بن محمد لبعد الحيد بن يحيى كاتبه: إنا نجد في الكتب، أن هذا الأمر زائل عنا لا محالة، وسيظهر إليك هؤلاء القوم، يعني ولد العباس، فصر اليهم، فإني لأرجو أن تتكهن منهم، فتتغنى في غلغلي، وفي كثير من أمورى، فقال: وكيف لي بعلم الناس جميعا أن هذا عن رأيك، وكلهم يقول: إني غدرت بك، وصرت إلى عدوك؟ وأنشد

أسرّ وفاة ثم أظهر خدرة * فن لي بضري يوسع الناس ظاهرة

ثم قال

ولو لم يظهر لا شك فيه * للامعة وعذرى بالمعيب

فلما سمع مروان ذلك، علم أنه لا يفعل، ثم قال له عبد الحيد: إن الذي أمرتني به، لأنفع الأمرين لك، وأقبحهما بي، ولك على الصبر معك، إلى أن يفتح الله عليك، أو أقتل معك .

والعرب تضرب المثل في الوفاء بالسمومل بن عدياء الأزدي، وقيل: إنه من ولد الكاهن بن هارون بن عمران، وكان من خبره، أن أمراً القيس بن حجر، أودعه أدرعا مائة، فأتاه الحارث بن ظالم، ويقال الحارث بن أبي شمر القسافي، ليأخذها منه، فتحصن منه السمومل، فأخذ ابنه له غلاما وناداه: إما أن أسلمت إلى الأدرع، وإما أن قتلت أبتك، فأبى أن يسلمها، فقتل ابنه بالسيف، ففى ذلك يقول

وفيت بأدرع الكندي، إلى * أنا ما القوم قد غدروا وفيت

وأوصى عديا يوما بأن لا * تهتم بسمومل ما بينت

وفيه يقول الأعشى

كن كالسمود إذ طاف المهام به * في بحقل كَوَاد الليل جَرَارِ
الابلق الفرد من نَيْمَاء مَرَلُهُ * حِصْن حصين وجارٌ غيرُ غَدَارِ
قد سامه خُطْقُ خسف فقال له : * قل ما بدا لك إني سامعٌ حَارِ
فقال : ثكل وغدر أنت بينهما * فأختر وما فيهما حظٌ لاختارِ
فجار غير طويل ثم قال له : * أقتل أسيرك إني مانع جاري

ومن وفاء العرب ، ما فعله هاني بن مسعود الشيباني ، حتى جرّ ذلك يوم ذي قار ،
وكان من خبره : أن النعمان بن المنذر لما خاف كسرى ، وعلم أنه لا متجأ منه
ولا ملجأ ، رأى أن يضع يده في يده ، فأودع ماله وأهله عند هاني ، ثم أتى كسرى
فقتله ، وأرسل الى هاني يطلبه بوديعة النعمان ، وقال له : إن النعمان كان طاملاً ،
فابعث إلى بوديسته ، وإلا بعثت اليك بيموتد تقتل المقاتلة وتُسَيِّ الذُرِّيَّة ، فبعث اليه
هاني : أن الذي بلغك باطل ، وإن يكن الأمر كما قيل ، فأنا أحد رجلين ، إما رجل
استودع أمانة ، فهو حقيق أن يردها على من استودعه إياها ، وإن يسلم الخزائنته ،
أو رجل مكذوب عليه ، وليس ينبغي لذلك أن يأخذه بقول عدو ، فبعث كسرى اليه
الجنود ، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب ، وبعث معه الكتيبة الشهباء
والأساورة^(١) ، فلما اتفقا ، قام هاني بن مسعود ، وخرّض قومه على القتال ، وجرى
بينهم حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها ، وسنذكرها إن شاء الله وقائع العرب ،
فانتصر هاني وأهزم القُرْش ، وكانت وقعة مشهورة ، قيل : وكان مِرْدَاس في عَيْن
عبيد الله بن زياد بن أبيه ، فقال له السجّان : أنا أحب أن أوليك حسنة ، قال :
فإن أذنت لك في الانصراف إلى دارك أفتدليج علي؟ قال : نعم ، فكان يفعل ذلك به ،

(١) الأساورة جمع أسوار بالضم والكسر وهو قائد القرمس .

- فلما كان ذات يوم، قتل بعض الخوارج صاحب شرطة ابن زياد، فأمر أن يقتل من في السجن من الخوارج، وكان مرداس إذ ذاك خارجا، فقال له أهله : أتقى الله في نفسك، فإنك مقتول إن رجعت، فقال : ما كنت لألقى الله غادرا، وهذا جبار، ولا آمن أن يقتل السجّان، فرجع وقال للسجّان : قد بلغني ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا، فبادرت لكلا يلحقك منه مكروه، فقال له السجّان :
- خذ أى طريق شئت، فأتج بنفسك .

- (١) نخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب الى بعض جباين الشام، وإذا بامرأة جالسة عند قبر تبكي، بغاء سليمان ينظر إليها، فقال لها يزيد، وقد عجب سليمان من حسنها : يا أمة الله، هل لك في أمير المؤمنين؟ فنظرت إليهما، ثم نظرت الى القبر، وقالت
- ١٠

فإن تسألني عن هواي فإنه • يحسوماء هذا القبر يا فتى
وإنى لأستحيه والترّبُّ بيتنا • كما كنت أستحيه وهو يراني

- ومن أحسن الوفاء، ما حكى عن نائلة بنت القرافصة زوج عثمان بن عفان رضى الله عنه : أن معاوية خطبها فردته، وقالت : ما يسجب الرجال مني؟ قالوا : شايك، فكسرت شايها، وبعثت بها الى معاوية، فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء كلب . وامرأة هذبة لما قُتل زوجها، قَطعت أنفها وشفتيّها، وكانت جميلة الوجه، لكلا يرغب فيها .
- ١٥

- وحيث ذكرنا الوفاء والحفاظة، فلنذكر بيعة خليعة وبين، ذكرها بعض أهل الأدب في تصنيفه، وهي : تباع عبد الله الإمام أمير المؤمنين، بيعة طوع وإيثار ورضا واختيار واعتقاد وإظهار وإعلان وإسرار وإخلاص من طويتك وصدق من يتك،
- ٢٠

وأنشراح من صدرك، وصحة من عزيمتك، طائما غير مُكره، ومقادا غير مُجبر، مُقرأ
 بفضلها، مُدحنا بحقها، ومعتزفا بركتها، ومُعتمدا بحسن عائلتها، وطليبا بما فيها،
 وفي توكيدها من صلاح الكافة، وأجتماع كلمة الخاصة والعامة، ولم الشعث، وأمن
 العواقب، وسكون الذمماء، وصبر الأولياء، وقمع الأعداء، على أن فلانا عبد الله
 وخليفته المفترض عليك طاعته، الواجب على الأمة إمامته وولايته، اللازم لهم القيام
 بحقه، والوفاء بهده، لا تُشك فيه، ولا ترتاب به، ولا تُداهن من أمره، ولا تميل،
 ولكلك ولي أوليائه، وعدوا أعدائه، من خاص وعام، وقريب وبعيد، وحاضر
 وغازب، متمسك في بيعته بوفاء العهد، وذمة العقد، سريرتك مثل علايتك،
 وضهيرك فيه وفق ظاهره، على أن إعطائك هذه البيعة من نفسك، وتوكيدك إياها
 في عتقك، لفلان أمير المؤمنين، على سلامة من قلبك، وأستقامة من عزمك،
 واستمرار من هواك ورأبك، على أن لا تتأول عليه فيها، ولا تسعى في نقض شيء
 منها، ولا تقعد عن نصره له في الرخاء والشدة، ولا تدع النصيح له في كل حال راهنة
 وحادثة، حتى تلقى الله مؤفيا بها، مؤذيا للأمانة فيها، إذ كان الذين يبايعون ولاة
 الأمر وخلفاء الله في الأرض (إِماما يُبايعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ قَنْ نَكَتَ نَارُهَا
 يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ) عليك بهذه البيعة التي طوقتها عتقك، وبسطت لها يدك،
 وأعطيت ما شرط عليك فيها، من وفاء، ونصح، وموالاتة، ومشايعة، وطاعة،
 وموافقة، واجتهاد، ومبالغة؛ عهد الله إن عهده كان مستولا، وما أخذ الله على
 أنبيائه ورسله عليهم السلام، وعلى من أخذ من عبادته من وكادات موافيقه،
 ومُحْكَمَات عهوده، وعلى أن تُمسك بها، فلا تُبدل، وتستقيم، فلا تميل، وإن نكثت
 هذه البيعة، وبذلت شرطا من شروطها، أو عقيت رسما من رسومها، أو غيرت

•

١٠

١٥

٢٠

- حكما من أحكامها، معلنا أو مسررا، محتالا أو متاولا، أو زُغت عن السبيل التي يسلكها من لا يحقر الأمانة، ولا يستحل الغدر والخيانة، ولا يستجيز حل العقود والمهود، فكل ما تملكه من عين أو وريق، أو آنية أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع أو غير ذلك من صنوف الأملاك المتقدمة، والأموال المذخرة، صدقة على المساكين، يحزم عليك أن ترجع شيئا من ذلك إلى مالك، بحيلة من الحيل، على وجه من الوجوه، أو سبب من الأسباب، أو نخرج من مخارج الإيمان، فكل ما تحبده عمرك من مال يقل خطره أو يعلّ فتك سبيله إلى أن تتوفاك [ميتك]، أو يأتيك أجلك، وكل مملوك لك اليوم من ذكر وأنثى أو تملكه إلى آخر أيامك أحرار سائبون لوجه الله تعالى، ونسألك يوم يلزمك الحنث وما تترجّع بعدهن مدة بقائك طوائق ثلاثا، طلاق الحرج والسنة لا مثنوية فيها ولا رجعة، وعليك المشي إلى بيت الله الحرام، ثلاثين حجة حافيا راجلا، لا يرضى الله منك إلا بالوفاء بها، ولا يقبل الله صرفا ولا عدلا، وغذلك يوم تحتاج إليه، وبرأك من حوله وقوته، وأجلك إلى حولك وقوتك والله عز وجل بذلك شهيد (وَكُنْ بِاللهِ شَهِيدًا) والله على ما نقول وكيل .

ذكر ما قيل في التواضع

- قال الله تبارك وتعالى : (أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) . وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وَآخِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) . وقال قتادة في تفسير قوله تعالى : (وَبَشِّرِ الْمُخْفِيِّينَ) قال : هم المتواضعون . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض متواضعا .

(١) الكلام الذي ينتهى بهذا المربع ينتهى في صحيفة ٢٥٠ مبرج مثله وهو ساقط بالأصل ويضع

في صحيفة (٧٣ و ٧٤) وقد قلنا من النسخة الراغبة .

وقال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجائر ويحيب دعوة المملوك ويركب الحمار، ولقد رأيته يوم حُتِنَ على حمار، خطامه ليف . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا يعزكم الله ، وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رُفْعَةً فتواضعوا يرفعكم الله ، وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نماء فتصدقوا يزدكم الله » . وقال عمرو ابن الزبير : التواضع أحد مصابيد الشرف ، وفي لفظ " سلم الشرف " . وقال جعفر بن محمد : رأس الخير التواضع ، قيل له : وما التواضع ؟ فقال : أن ترضى من المجلس بدون شرفك وأن تُسَلِّمَ على من تَقِيَّت ، وأن تترك المراءَ وإن كنت مُحِقًّا .

وعن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكر المراءَ فيه وزاد فيه : وتكره الرياء والسمعة . وقيل : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة ، وقيل : التواضع نعمة لا يظن لها الحاسد ، وقيل : التواضع كالوَهْدَةِ يجتمع فيها قَطْرُهَا وقَطْرُ غَيْرِهَا . وقال عبد الله بن المعتز : متواضع العلماء أكثرهم علماً ، كما أن المكان المنخفض أكثر الأماكن ماءً .

وكان يحيى بن خالد يقول : لست أرى أحداً تواضع في إمارة إلا وهو في نفسه أكبر مما نال من سلطانه .

ومن التواضع المأثور ما روى : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ ويده على المَعْلَى بن الجارود فلقينه امرأة من قريش ، فقالت له : يا عمر، فوقف لها ، فقالت له : كنا نعرفك مرةً حميراً ثم صرتَ بعدَ حميرٍ عُمرَ ثم صرتَ بعدَ عمرٍ أميرَ المؤمنين فاتق الله يا بن الخطاب ، فانظر في أمور الناس ، فإنه من خاف الوعيد ، قرب عليه

البعيد ، ومن خاف الموت ، خشى القوت ، فقال لما الملقى ، إيهآ ، إليك يا أمة الله
لقد أبكيت أمير المؤمنين ، فقال له عمر أتدري من هذه ؟ ويحك ! هذه خولة بنت
حكيم التي سمع الله قولها من سمائه ، فصرأحرى أن يسمع قولها ويقتدى به . وقال
عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : إنك لسريع المشية ، قال : ذلك أبعد من الكبر
وأسرع الى الحاجة . وقال عمر رضى الله عنه وقد قيل له مثل هذا : أنجح للحاجة
وأبعد من الكبر . أما سمعت قوله عز وجل ؟ (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاخْضَعْ مِنَ
صَوْتِكَ) .

وقد مدح الشعراء أهل التواضع ، فمن ذلك قول أبي تمام حبيب
متبذل في القوم وهو مبجل * متواضع في الحق وهو معظم

١٠

وقال آخر

متواضع والتبذل يحرس قدره * وأخو النباهة بالنباهة يتبذل

وقال البحرى

دنوت تواضعا وعلوت مجدا * فشأنك أنحدار وأرتفاع
كذلك الشمس تبعد أن تسمى * ويدنو الضوء منها والشعاع

١٥

وقال أبو محمد التيمي

تواضع لما زاده الله رفعة * وكل رفيع قدره متواضع

وقال آخر

دنوت تواضعا وعلوت قدرا * قبيك تواضع وعلوشان

ذكر ما قيل في القناعة والزهادة

جاء في تفسير قوله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) أن المراد بالحياة الطيبة : القناعة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " القناعة مال لا ينفد " . وقال عليه السلام :
 " مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ " . ومن كلام علي رضي الله عنه : كفى بالقناعة ملكا ، وبحسن
 إنطلق نعيما .

وقال جعفر بن محمد : ثمرة القناعة الراحة .

وقال علي بن موسى : القناعة تجمع الى صيانة النفس ، وعز القدرة طرح مؤونة
 الاستكثار والتعب لأهل الدنيا ، ولا ملك طريق القناعة إلا رجلان ، إما متقلل
 يريد أجر الآخرة ، أو كريم يتنزه عن آثام الدنيا .

وقال الراضى : القانع يعيش آمنا مطمئنا مستريحاً صريحاً ، والشَّيرُ لا يعيش إلا تيباً
 نصيباً في خوف وأذى .

وقال بعض الحكماء : عزَّ الزهادة أحبَّ الى من فرح الفائدة ، والصبر على العسرة
 أحبَّ الى من آحتال المنة . وقال أبو ذؤيب الهذلي
 والنفس رغبة إذا رغبتهَا * وإذا تُردُّ الى قليل تَقَنُّعُ

وقال سالم بن وامضة

غنى النفس ما يكفيك في سدِّ فاقة * فإن زاد شعثاً عاد ذاك النقى فقراً

وقال أبو هلال العسكري

ألا إنَّ القناعة خيرُ مالٍ * لذى كرم يروح بغير مالٍ

وإن يصبر فإن الصبر أولى * بمن عثرت به نوب الليالي
تجمل إن رليت بسوء حال * فإن من التجميل حسن حال .

ذكر ما قيل في الشكر والثناء

قال الله تبارك وتعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) فالشكر مما يوجب
الزيادة .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا يُزهدك في المعروف من لا يشرك
عليه ، فقد يشركك عليه من لا يستمتع بشيء منه ، وقد يدرك من شكر الشاكر ،
أكثر مما أضاع الكافر ، (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

ومما تعزیه الفرس إلى إسفنديار : الشكر أفضل من النعمة لأنه يبقى وتلك تفتي .
وقال موسى بن جعفر : المعروف لا يفكّه إلا المكافأة أو الشكر ، وقال : قلّة الشكر
تُزهد في أصطناع المعروف .

وقيل : إذا قصرت يدك عن المكافأة ، فليطل لسانك بالشكر . وقيل : للشكر
ثلاث منازل : ضمير القلب ، ونشر اللسان ، ومكافأة اليد . قال الشاعر
أفادتكم التسماء متى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحتجبا

وقال يحيى بن زياد الحارثي بن كعب
حلفت ربّ العيس تهوى برّكها * إلى حرّم ما عه للناس معيد
لما يبلغ الإتمام في النفع غاية * على المرء إلا مبلغ الشكر أفضل
ولا بلغت أبدى المنيّلين بسطة * من الطول إلا بسطة الشكر أطول

ولا ثقلت في الوزن أعباء مني * على المرء إلا مئة الشكر أهمل
فمن شكر المعروف يوما فقد أتى * أبا العرف من حسن المكافاة من عل
وقال رجل من فطفاان

الشكر أفضل ما حاولت ملتصبا * به الزيادة عند الله والناس

وقال أبو بجيل

شكرتك إن الشكر حبل من التقي * وما كل من أوليته نعمة يفيض
ونبت لي ذكري وما كان حاملا * ولكن بعض الذكر أنه من بعض

وقال آخر

سا شكر عروا ما تراخت متبقي * أباي لم تمنن وإن هي جلت
ففي غير عجب من النفي عن صديقه * ولا مظهر الشكرى إذا النمل زلت
رأى خلقي من حيث يحفى مكانها * فكانت قدى عينيه حتى تجلت

وقال أبو تمام

كم نعمة منك تسربلتها * كأنها طرة برود قشيب
من اللواتي إن وثى شاكر * قامت لمسديها مقام الخطيب

وقال أبو عينة بن محمد بن أبي حنبة المهلب

إذا التمينت قد أوليتني ميتا * تترى هي الغاية القصوى من المني
ولست أسطيع من شكر أجى به * إلا استطاعة ذي جسم وذى بدن
لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة * أوفى من الشكر عند الله في التمني
أخلصتها لك من قلبي مهذبة * حدوا على مثل ما أوليت من حسني

قالوا وأجود ما قيل في عِظَم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طُرج

ابن إسماعيل

سمعتُ ابتغاء الشكر فيما صنعتَ لي • فقصرتُ مغلوباً وإني لشاكر
لأنك تُولِئني الجميلَ بداهةً • وأنتَ لما استكثرتُ من ذاك حافرُ
فأرجع مغبوطاً وترجعُ بآتي • لها أولٌ في المكرماتِ وآخرُ

وقال دهل

هجرتك لا عن جفوةٍ وملاةٍ • ولا لقلِّ أبطأتُ عنك أبا بكرٍ
ولكنني لما رأيتُك راغباً • فافطمتُ في ربي عجزتُ عن الشكرِ
فَلَا نَ ^(١) لَا آتِيكَ إِلَّا تَعَدُّرًا • أزوذك في الشهرين يوماً وفي الشهر

وقال البحرى

هايك أخلاقُ إسماعيل في تعبٍ • من العَلَا والعَلَا منهم في تعبٍ
أبتُ شكرى فأمسى منك في نصيبٍ • أقصرُ فَمَالٍ في جدواك من أربٍ
لا أقبلُ الدهرَ نَيْلاً لا يقومُ له • شكرى ولو كان يُسديه إلى أبي
لما سألْتُك وأفانى نَدَاكَ على • أضعافِ شكرى فلم أغفر ولم أخبِ

وقال أيضاً

إني هجرتك إذ هجرتك وَحْشَةً • لا السَّوْدُ يذهبُها ولا الإبداءُ
أحجبتني بِنْدَى يَدَيْكَ فُسُودَتْ • ما بيننا تلك البِدُ البيضاءُ
وقطعتني بالحدود حتى إني • مُتَخَوِّفٌ أَنْ لَا يَكُونَ لِقَاءُ
صِلَةٌ غَدَتْ لِلنَّاسِ وَهِيَ [قطيعةٌ • عجباً وبرُّ راح وهو جفَاءُ
ليواصلَكَ رَكْبٌ شِعْرِ سائرٍ • يرويه فيك لحسنه الإعداءُ

حتى يَتِمَّ لك الثناءُ مُخَلِّدًا * أبدا كما تَمَّتْ لك النِّعَمُ
فَتُظَلَّ تحمُّدُكَ المملوكُ الصَّبيدِي * وتُظَلَّ تحسُّدُنِي بك الشعراءُ

وقال الحسن بن هاني

قد قُلْتُ للعباسِ معْتِذِرًا * من عَظُم شُكْرِيهِ ومَعْتَرِفًا
أنتَ أَسْرؤُ جَلَلَتْنِي نِعَمًا * أوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفًا
لأُتْسِدِينَ إِلَيَّ عَارِفَةً * حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِهَا سَلَفًا

وقال الحسين بن الضحاک للواتق من أبيات

إذا كُنْتُ من جَدِّوَاكَ في كُلِّ نِعْمَةٍ * فلا كُنْتُ إنْ لم أَقْنِ عُمرِي بِشُكْرِكَا

وقال البحتري

إذا أنا لم أَشْكُرْ لِنِعْمَاكَ جَاهِدًا * فلا نَلْتُ تُعْمَى بِمَدْحِهَا تُوجِبُ الشُّكْرَا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

إني لَشَاكِرٌ أَمِيَهُ وولِيَهُ * في يومِهِ ومُؤَمِّلٌ عَنْهُ غَدَا

وقال آخر

وكيف أنساكَ؟ لا نُنْهَكَ واحدة * عندي ولا بالذي أوليت من قَدَمِ

وقال عبد الأعلى بن حماد : دخلتُ على المتوكِّل ، فقال لي : قد هَمَمْنَا أن نَصِلَكَ ،

فندافست الأمور ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد بلغني عن جعفر بن محمد الصادق أنه

قال : من لم يشكر للهَمَّةً ، لم يشكر للنعمة ، وأنشدته قول الباهلي

لأشْكُرْكَ معسُوفًا هَمَمْتَ بِهِ * إن أَهْتَامَكَ بالمعروفِ معروفُ

ولا ألومُكَ إنْ لم يُمِضْهُ قَدَرٌ * فالشيءُ بالقَدَرِ المحتومِ مصروفُ

وقال آبن الرومي

كم من يدٍ بيضاء قد أسديتها * تليّ إليك عنان كلِّ ودادٍ
شكر الإله صنائعاً أوليتها * سلكت مع الأرواح في الأجساد

وقال آخر

وأحسن ما قال أمرؤنيك مديحة * تلاقى عليها منة وقبول
وشكر كان الشمس تمنى بشكره * ففى كل أرض تحبُّ ورسول

ومن كلام الحسن بن وهب : من شكر لك على درجة رفعتك اليها ، أو ثروة أفدته لياها ، فإن شكرى لك على منحة أحييتك ، وحشاشة أبعثت ، ورمى أمسكت ، وقت بين التلّف وبينه ، ولكل نعمة من نعم الدنيا حدٌ ينتهى إليه ، ومدى توقف عليه ، وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف ، خلا هذه النعمة التى فأت الوصف ، وطالت الشكر ، وتجاوزت كل قدر ، وأنت من وراء كل غاية ، وردت عنا كيد العدو ، وأرغمت أنف الحسود ، نلجأ منها الى ظلّ ظليل ، وكفى كريم ، فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ جهد المجهود .

وقال الشريف الرضى

اليسنى نسما على نسيم * ورفعت لى علما على علم
وعلوت بى حتى مشيت على * بسط من الأعناق والقميم
فلا شكرن يدك ما شكرت * خضر الرياض مصانع الديم
فالحد ينى ذكر كل قى * ويين قدر مواقع الكرم
والشكر مهر الصديعة إن * طليت مهسور عقال النعم

وقال أبو الحسن الكاتب المقرئ:

ما شكرتُ نعماك التي أنبسطت بها • يدي ولساني فهو بالمجد ينطق
وأمني بما أوليتني من ضيعة • ومن منية تفتدو على وتطرق
وكل أمرئ يرجو نداءك موفق • وكل أمرئ يثني عليك مصدق

وقال ابن رشيقي القيرواني:

خذ ثناءً عليك يغب الأيادي • كثنائه الربى على الأمطار
سقط الشكر وهو موجب ثمنا • لك سقوط الأنواء بالآتمار

ومن المتعجبين من رأى أن الشكر بإظهار النعمة، أبلغ منه بالنطق باللسان، وعاقب على ذلك بالجرمان .

١٠ فن ذلك مارواه أبو هلال العسكري يسنده إلى العتيق قال: أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأضمي، فدفع إلى خادم له كيساً فيه ألف دينار وقال: إني سأزِل في رَجْعتي إلى الأضمي، ثم سيحدثني ويضحكني، فإذا ضحكك، فضع الكيس بين يديه، فلما رجع، ودخل إليه، رأى حُباً مكسوراً الرأس، وجرّة مكسورة العتيق، وقصعة مشعبة، وجفنة أعشارا، وراه على مُصلٍ يال، وعليه برنكان (٢) أجرد، فغمر غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه، فلم يدع الأضمي شيئاً مما يُضحك الكلالان والغضبان إلا أوردته عليه فلم يتهم، ثم خرج، فقال لرجل يساره: من أسترعى الذئب ظلم، ومن زرع السبعة حصد الفقر، إني واقع لما علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل، ما حلفت بنشره له باللسان، وأين يقع مدح اللسان

(١) الحب: الجرّة الضخمة . (٢) البرنكان على وزن زفران: ضرب من الأكسية .

من آثار العيان؟ إن اللسان قد يكذب، والحال لا تكذب، وقه در نصيب حيث يقول

فما جُؤ قَانْتُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ • وَلَوْ سَكَتُوا أَنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

ثم قال: أعلمت أنت ناووس أبرويز، أمدح لأبرويز من زهير لآل سنان؟

وقالت الحكماء: لسان الحال، أصدق من لسان الشكوى.

❧

وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال

حَالِي تَبُوحٌ بِمَا أُؤَلِّيتُ مِنْ حَسَنٍ • فَكُلُّ مَا تَدْمِيهِ غَيْرُ مَرْدُودٍ

كَلِّ هِجَاءٍ، وَقَتْلَى لَا يَحِلُّ لَكُمْ • فَمَا يَدَاوِيكُمْ مَنَى سِوَى الْجُسُودِ

وقالوا: شهادات الأحوال، أعدل من شهادات الرجال.

ذكر ما قيل في الوعد والإنجاز

رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَعْدُ الْمُؤْمِنِ كَأَخِذٍ بِالْيَدِ».

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: الوعد مرض في الجود، والإنجاز دواءه.

ومن كلامه: المستول حُرٌّ حَتَّى يَعِدَّ، وَمُسْتَرْقٌ بِالْوَعْدِ حَتَّى يُخَيَّرَ.

وقال الزهري: حقيق على من أזהر بالوعد، أن يُثْمَرَ بالفعل.

وقال مسلم بن الوليد عن أبيه قال: سألت الفضل بن سهل حاجة، فقال: أشرتك

اليوم بالوعد، وأحبوك غدا بالإنجاز، فإني سمعتُ يحيى بن خالد يقول: المواعيد

شَبَكَةٌ مِنْ شِبَاكِ الْكَرَامِ، يَصِيدُونَ بِهَا عَمَائِدَ الْأَحْرَارِ، وَلَوْ كَانَ الْمُعْطَى لَا يَعْدُ،

لَا رَفَعَتْ مَفَاخِرَ إِنْجَازِ الْوَعْدِ، وَقَصَّ فَضْلُ صَدِيقِ الْمَقَالِ.

وقال الأبرش الكلبي لهشام بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين، لا تصنع إلى معروفًا

حَتَّى يَعِدَّنِي، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِنِي مِنْكَ سَيْبٌ عَلَى غَيْرِ وَعْدٍ، إِلَّا هَانَ عَلَى قَدْرِهِ، وَقُلْتُ مَنَى

شكوه، فقال له هشام : لئن قلت ذلك، لقد قال سيدُ أميك أبو مسلم الخولاني :
أنجحُ المعروف في القلوب ، وأبردهُ على الأكباد ، معروف منتظر من وعد لا يُكدر
بالمطل .

وكان يحيى بن خالد لا يقضى حاجة إلا بوعده .

وقالت أعرابية لرجل : مالك تعطى ولا تبعد ، فقال : مالك والوعد ؟ قالت ينفسح
به البصرُ ، وينشر فيه الأملُ ، وتطيب بذكره النفسُ ، ويرتجى به الميشُ ، وترجى به
المدحُ بالوفاء .

قيل : كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد في حاجة لرجل فقال : عذره عني قضاءها ،
قال : وما يدعوك أعزك الله الى العدة مع وجود القدرة ؟ فقال يحيى : هذا قول
من لا يعرف موضع الصنائع من القلوب ، إن الحاجة إن لم تتقدمها بوعده ينتظر به
تجسسها ، لم تجاذب النفس بسرورها ، ولم تتلذذ بتأملها ، وإن الوعد تطعم ، والإنجاز
طعام ، وليس من فاجأ طعاماً ، كن وجد راحته ، وتمتلق له وتطعمه ، ثم طعمه ،
فدفع الحاجة تحمُّ بالوعد ، ليكون لها عند المصطنع اليه حسنُ موقع ، ولطفُ محل .
وقال عيسى بن ماهان : إني أحبُّ أن أهب بلا وعد ، وأحبُّ أن أعده ، لأخرج
من جملة الخلفين ، وأدخل في عدد الوافين ، ويؤثر عني كرم المنجزين ، فإن من
سبق فعله وعده ، وُصف بكرم فرد ، وسقط عنه جميع ما ذكرت .

قال ذكر العباس المأمون فقال : إنه ألقح معروفه عندي بالوعد ، ونتجه بالنجاح ،
وأرضعه بالزيادة ، وشيبه بالتمهد ، وهرمه باستتمامه من جهاته ، وهناه بترك
الامتنان به .

وشكا رجلاً جعفر بن يحيى لأبيه: أنه وعده وعدا ومطله به، فوقع: يا بني، أتم معاقل الأحرار ومظان المطالب ومعايد الشكوى، فكونوا سواء في الأقوال والأفعال، فإن الحر، يذخر وعد الحر ويتقده وينفقه قبل ملكته، فإن أخفق أمله، كان سببا لذمه وأتاهمه وسوء ظنه، حتى يوارى قبض ذلك حسن يقينه، فأنجز الوعد، وإلا فأقصير القول، فإنه أضر والسلام.

قال: كلّم المأمون في الحسين بن الضحاك الخليل أن يرده عليه رزقه، فقال: ليس هو القائل في الإمين

فلا قريح المأمون بالملك بعده * ولا زال في الدنيا طريدا مشردا

فما زالوا يتلفون معه في القول، إلى أن أذن له أن ينشده، فأنشده

- ١٠ أرن لي غني قد عظميت إلى الوعد * متى تنجز الوعد المؤكّد بالعهد؟
أعيذك من صدّ الملوك وقد ترى * تقطع أنفاسي عليك من الوجع
فما لي شفيع عند حسنك فيه * ولا سبب إلا التمسك بالود
أجعل فردّ الحسين فرد صفاته * على وقد أفردته بهوى وحدي
رأى الله عبد الله خير عباده * فلحكّه والله أعلم بالبعد

- ١٥ فقال له المأمون: هزم بلك، وقد عفونا عنك فقال: يا أمير المؤمنين، فاتبع عفوك إحسانك، فأصر برد أرزاقه عليه، وكانت في كل شهر تحسّياته دينار، فقال المأمون: لولا أني نويت عفوا عنه، وجملت ذلك وعدا له من قبل، ما فعلته، وإنما ذكر الوعد في تشبيهه يذكرنيه.

وقال بعض ملوك العجم: البخل بعد الوعد، يضعف قبجه على البخل قبله،

- ٢٠ فما قولك في أمير، البخل أحسن منه؟

وقال بعض الشعراء

ولى منك موعودٌ طلبتُ نجاحه • وأنتَ أمرؤٌ لا تُخلفُ الدهرَ موعداً
وعودتى أن لا تزالُ تُظِلُّنى • يدُ منك قد قدمت من قبلها يداً
فلو أن مجداً أو ندَى أو فضيلة • نُخلدُ شيئاً كنتَ أنتَ المخلداً

وقال بشار

وعد الكريم يَحُثُّ نائله • كالتبث يسبق رعدُه مطره

وقال ابن الرومي

يَحْطِى العِداةَ عدا الى البَذْ • لِ كَسَحِ الحَيَا بلا إِمَاضِ

ذكر ما قيل في الشفاعة

قال الله عز وجل : (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره ، فيقول له : جعلت لك جاهاً ، فهل نصرت به مظلوماً ، أو قمت به ظالماً ، أو أعنت به مكروباً ؟ » وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصدقة أن تعين بجاهك من لا جاه له » وقال : « الخلق عيال الله ، فأحبهم إليه ، أنفعهم لعياله » .
وقال : « الشفيعُ جَنَاحُ الطلب » .

وقيل : قصد ابن السماك الواعظ رجلاً في حاجةٍ لرجلٍ سأله الشفاعة فيها ، فقال ابن السماك : إني أيتك في حاجةٍ ، وأن الطالب والمطلوب إليه عزيزان إن قضيت الحاجة ، وذليلان إن لم تُقَضَّ ، فأختر لنفسك عزَّ البذل ، على ذلِّ المنع ، وأختر لي عزَّ التَّجْع ، على ذلِّ الردِّ ، ف قضى حاجته .

قال أبو تمام

وإذا أمرؤ أسدى إليك صنعة • من جابه فكأنها من ماله
وقال رجل لبعض الملوك : إن الناس يتوسلون إليك بفيرك، يسألون معروفك،
ويشكرون فيرك، وأنا أتوسل إليك بك، ليكون شكرى لك لا لفيرك .

قال بعض الشعراء

إذا أنت لم تعطفك إلا شفاعتي • فلا خير في ود يكون بشايع

ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف

رأيت جماعة من أهل الأدب قد ألحقوا الاعتذار والاستعطاف بالمدح، كالحمدوني
في تذكرته، وغيره، فلذلك أضفته إليه، وجعلته من فصوله . قال الله عز وجل :
(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اعتذر إليه أخوه
المسلم، فلم يقبل، لم يرد على الخوض » .

وقال علي رضي الله عنه : أولى الناس بالعفو، أقدرهم على العقوبة . وقال :
العفو زكاة القفر . وقال : إذا قدرت على مدرك ، فاجعل عفوك عنه شكر
المقدرة عليه .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : لا تعاجل الذنب بالعقوبة، وأجمل بينهما
للاعتذار طريقاً . وقال : أوسع ما يكون الكرم بالمغفرة، إذا ضاقت بالذنب المذنبة .
وقال جعفر بن محمد الصادق : شفيح المذنب إقراره، وتوبة المجرم الاعتذار .
وقالوا ما أذنب من اعتذر، ولا أسي من استغفر .

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال : يا بني لا يعتذر إليك أحد من الناس ، كأنك
من كان ، في أى جرم كان ، صادقا كان أو كاذبا ، إلا قبلت مذرته ، فكفالك بالاعتذار
رأيا من صديقك ، وذلا من مدوك .

قال بعض الشعراء

فإن كنت ترجو في العقوبة راحة * فلا تزهّدن عند التجاوز في الأجر

وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل المسكوي : الاعتذار ذلة ، ولا بد
منه ، لأن الإصرار على الذنب ، فيما بينك وبين خالقكهلكة ، وفيما بينك وبين
صديقك فُرقة ، وعند سائر الناس مثبةً ومُجَنَّةٌ ، فعليك به ، إذا وقعت الذنب ،
وقارفت الجرم ، ولا تستنكف من خضوعك وتذللك فيه ، فربما استتير العز من
تحت الذلة ، وأجنى الشرف من شجرة التذلة ، وربّ محبوب في مكروه ، والمحبّد شهد
يُحتَى من حنظل .

قال : ومما خُصّ به الاعتذار أن الحق لا يثبت لباطله ، والحقيقة لا تقوم مع
تخيله وتمويهه ، وأن ردّه لا يسع مع الكذب اللاتخ في صفحاته . وقالوا : لا عذر
في ردّ الاعتذار ، والمعتذر من الذنب ، كن لا ذنب له ، وهذه خصلة لا يشركه
فيها غيره .

قال بعضهم : كنت بحضرة عبيد الله بن سليمان ، فوردت عليه رقعة من جعفر
ابن زوابة ، نسختها : قد فصحت للظلم بآبك ، ورفضت عنه حجابك ، فانا أحاكم
الأيام الى عدلك ، وأشكو صُروفها الى فضلك ، واستجير من لؤم ظنّيتها بكرم
قدرتك ، وحسن ملكك ، فإنها تؤخرني اذا قدّمت ، وتحرمني اذا قسّمت ، فإن

- أعطت أعطت يسيرا، وإن أرتجعت أرتجعت كثيرا، ولم أشكها إلى أحد قبلك، ولا أمددت الانتصاف منها إلا إلى فضلك، ولى مع ذمام المسألة لك، وحق الظلام اليك، ذمام تأميك، وقدم صديق في طاعتك، والذي يملأ من النصفة يدى، ويفرغ الحق على، حتى تكون لى محسنا، وأكون بك إلى الأيام مقربا، أن تخططنى بنواص
- ٥ خدمك الذين قتلهم من حد الفراغ إلى الشغل، ومن انحول إلى النباهة والد كز، فإن رأيت أن تعذبني فقد استعديت اليك، وتضرعتي فقد عذت بك، وتوسع لى كنفك فقد أويت اليه، وتسمنى بإحسانك فقد عولت عليه، وتستعمل يدى ولسانى فيما يصلحان له من خدمتك، فقد درست كتب أسلافك وهم القدوة فى البيان، واستعصأت بأرائهم، واقتفوت آثارهم اقتفاء جعلنى بين وحنى الكلام وأبيسه، ووقفنى منه على جادة متوسطة، يرجع إليها العالى، ويلحق بها المقصر التالى، فكل إن شاء الله . قال : فكل إن شاء الله ! قال : بفعل عبيد الله يرددها ويستحسنها ؛ ثم قال : هذا أحق بديوان الرسائل .

- ومن الاستعطاف : ما حكى أن محمد بن الحنفية، جرى بينه وبين أخيه الحسين، كلام أقرقا بسببه متفاضين، فلما وصل محمد إلى منزله، كتب إلى الحسين رقعة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن لك شرفا لا أبلغه، وفضلا لا أدركه، أبونا على، لا أفضلك فيه ولا تفضلنى، وأتى امرأة من بنى حنيفة، وأتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان ملء الأرض نساء مثل أمى ماوفين بأهلك، فاذا قرأت رقتى هذه فألبس رداك وتعليك وتعال لتترضاقى، وإياك أن أسبقك إلى هذا الفضل الذى أنت أولى به منى والسلام . فلبس الحسين رداءه وتعليه وجاء إلى محمد وترضاه .
- ١٥
- ٢٠

وقيل : وقّع جعفر بن يحيى في رقعة معتذرا : قد تقدمت طاعتك ونصحتك ، فإن ثبت منك هفوة فلن تغلب سيئةٌ حسنتين .

وقال شاعر

إرضَ للسائل الخضوعَ واللقا * رف ذنباً مذلةً الإعتذارِ

• قال أبو هلال السكري : لم يُروَ عن أحد قبل النابغة الذبياني في الاعتذار شعر ،

فمن أجود ما روى له فيه ، قوله حين سعى به المتعلّ الشكرُ إلى النعمان ، وزعم أنه

غشى المجزدة حظية النعمان ، وذلك حين وصفها النابغة في شعره فقال

وإذا لمست ، لمست أختمَ جأثما * متحيزاً بمكانه ملاء اليدِ

وإذا طعنت ، طعنت في مستهدف * رابى الحبسة بالعير مرمّد

10 وإذا نزعْتَ ، نزعْتَ من مستحِصف * نزعَ الخزّور بالرشاء المصحّد

فقال المتعلّ للنعمان : هذا وصفٌ من ذاقها ، فوَقّر ذلك في نفس النعمان ، ثم وفد

عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قُريص ، فأبلغوه أن النابغة ما يزال يذكرها

ويصف منها ، فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة ، فعرفه بذلك عصام حاجب النعمان ،

وهو الذي قيل فيه

• نفسُ عصامٍ سودتْ عَصاما *

10

فانطلق النابغة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر والد النعمان ، فزادهم لحاق النابغة

بهم حشمة ؛ ثم اتصلت بالنعمان كثرة مدائح النابغة لهم ، فحسد لهم عليه وأقننه وراسله

في المصير إليه ، فأتاه وجعل يعتذر بما قذف به ومن مدحه لآل غسان فقال

حلفتُ فلم أترك لنفسي رِيّةً * وليس وراء الله للسرّ مذهبُ

لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عني جنايةً * لَمُبْلُوكُ الواشي أغش وأكذبُ
ولستَ بمستبيح أخا لا تَأْمَسُه * على شعث! أي الرجل المهذب؟
فإن ألك مظلوما، فمبدؤُ ظلمته * وإن تك ذا حُجِّي، فثلك يمتبُ

يقول : مثلك يعفو ويحسُّ وإن كان عاتبا، وفي كرمك ما يفعل ذلك، ولك

النبي والرجوع الى ما تحب . ومنه قوله أيضا للنعمان

أناي أبيتُ اللَّعِبَ ! أنك لمتني * وتلك التي تستكُ منها المسامعُ
مقالة أن قد قلتَ سوف أناله * وذلك من تلقاء مثلك رائعُ
فبتُ كأني ساورتني ضئيلةٌ * من الرُّقش في أنيابها السمُّ نافعُ
لكففتني ذنبَ أمرئ وتروكته * كذبي المرِيكوي غيره وهو رائعُ

الى أن قال

فإن كنتُ لا ذو الضَّنْ عني مكذِبُ * ولا حَلَفِي على البراءة نافعُ
ولا أنا مأمون بشيء أقوله * وأنت بأمرٍ لا محالة واقعُ
فإنك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلتُ أن المتأى عنك واسعُ

وقال أيضا

أبنتُ أن أبا قابوس أوعدني * ولا أقرار على زارٍ من الأسدِ
مهلاً، فداءً لك الأقوام كلهم، * وما أُنْمَرُ من مالٍ ومن ولدِ
لا تقذفني بركن لا كفَاء به * وإن تأتمنك الأعداءُ بالرَّقْدِ
ما قلتُ من سيٍّ مما أُبَيَّت به * إذا فلا رفعتُ سوطي الى يدي
قال : نفع عليه النعمان خلع الرضى، وكن حبرات خضرا مطرقة بالجوهر .

قال المسكوي : ولم يسلك أحد طريقته فأحسن فيها كإحسان البحري ، فمن
اعتذاراته قوله في قصيدته التي أولها
* لوت بالسلام بنانا خضيبا *

قال منها

١٠

فدينك من أي خطب عري * وثانية أوشكت أن تتوبا
وإن كان رأيك قد حال في * وأوليتي بعد شر قطوبا
يرينى الشيء تاني به * وأكبر قدرك أن أستريا
وأكره أن يتأدى على سبيل أغترار فالق شمويا
أكذب نفسي بأن قد سخطت * وما كنت أعهد ظني كذوبا
ولولم تكن ساخطا لم أكن * أذم الزمان وأشكو الخطوبا
أصبح ودّي في ساحتك طوقا ومرحاي محلا جديا
وما كان سخطك إلا الفراق * أفاض الدموع وأغشى القلوبا
ولو كنت أعرف ذنبالما كا * ن خلجني الشك في أن أتوبا
سأصبر حتى ألاق رضا * ك إما بعيدا وإما قريبا
أراقب رأيك حتى يصح * وأنظر عطفك حتى يشوبا

وقوله

عذيري من الأيام رنن مشري * ولقيتي نحسا من الطير أشاما
وأكسبني سخط أمرئ بث موهنا * أرى سخطه ليلا مع الصبح مظاما
تبلى عن بعض الرضى، وأنطوى على * بقية حب شارفت أن تصرما
إذا قلت يوما : قد تجاوز حننا * تلبت في أعقابها وتلوما
وأصيد إن نازعته الطرف رده * قليلا، وإن راجعته القول جمعا

(١) الطوق : الماء الذي خوضه الإبل وجرّلت فيه .

- ثناء العدا غنى، فأصبح مُعْرِضًا * ووفهم الواشون حتى تومأ
وقد كان سهلا واضحا فتوعرت * رباه، وطلقا ضاحكا فتجهما
أنتخذُ عندى الإساءة محسنٌ * ومتقم منى أمرؤ كلن مُنما
ومكتسبٌ فى الملامة ماجد * يرى الحمد غنًا والملامة مغرما
يخوفنى من سوء رايك معشرٌ * ولا خوف إلا أن تجور وتظلما
أعينك أن أخشاك من غير حادثٍ * تَتَيَّنْ، أو جُرم إليك تَهْدما
الستُ الموالى فيك نظم قصائدٍ * هى الأنيجم أقتادت مع الليل أنجما؟
أعد نظرا فيما تسخطت، هل ترى * مقالا دنيئًا أو قعالا مذمومًا؟
وكان رجائى أن أؤوب مملكا * فصار رجائى أن أؤوب مسلما
حياء فلم يذهب بى الذى منعبا * بعيدا، ولم أركب من الأمر مُظَلما
ولم أعرف الذنب الذى سوتنى له * فأقتل نفسى حسرةً وتهدما
ولو كان ما خُبرته أو ظننته * لما كان غمروا أن الوم وتكرما
أذكرك المهد الذى ليس سؤددا * تناسبه، والودّ الصحيح المسما
وما حمل الركن شرقا ومغربا * وأنجد فى أعلى البلاد وأنهما
أقرب بما لم أجنه متنبلا * اليك، عل أنى إخالك ألوما
لن الذنب معروفًا، فإن كنتُ جاهلا * به، فلك العتبى على وأنعبا
ومثلك، إن أبدى القفال أعاده * وإن صنع المعروف زاد وتعبما
وقال سعيد بن حميد
لم آت ذنبا، فإن زعمت بأن * أتيت ذنبا، فغير معتمد
قد تطرق الكف عين صاحبها * فلا يرى قطعها من الرشد

وقال آخر

وكنْتُ إذا ما جثتُ أدنيتَ مجلسي * ووجهك من ماء البشاشة يقطرُ
فمن لي بالعين التي كنتَ مرّة * إلى بها في سالف الدهر تنظرُ؟

وقال آخر

اغترزني تُحَرِّزَ فضل الـ * مغو عني ولا يفوتك أبحري
لا تَنكِني إلى التوسل بالعد * رلعل أن لا أقوم بمسدى

وقال بعض فضلاء الأندلس

إني جئتُ ولم يزل أهلُ النهى * يهبونُ للجائز ما يمنونه
ولقد جمعتُ من الذنوب فنونها * فأجمع من الصنع الجليل فنونه
من كان يرجو عفو مَنْ هو فوقه * فليعفُ عن ذنب الذي هو دونهُ

١٠

الباب الثاني

من القسم الثالث من القرن الثاني

في الهجاء، وفيه أربعة عشر فصلاً

ما قيل في الهجاء ومن يستحقه .

ما قيل في الحسد .

١٥

ما قيل في السعاية والبنى .

ما قيل في الفية والقيمة .

ما قيل في البخل واللؤم وأخبار البخل وأحتجاجهم .

ما قيل في التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمؤكلة.

ما قيل في الجبن والفرار .

ما قيل في الحق والجهل .

ما قيل في الكذب .

ما قيل في القدر والخيانة .

ما قيل في الكبر والعجب .

ما قيل في الحرص والطمع .

ما قيل في الوعد والمطل .

ما قيل في العي والحصر .

ذكر ما قيل في الهجاء ومن يستحقه

١٠

قال الله تعالى : (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوُونَ أَنَّهُمْ تَرَاءَهُمْ فِي كُلِّ وَإِدْيَمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) فهذه رخصة لمن ظلم في الانتصار .

١٥

وقال حسان بن ثابت الأنصاري ردة على أبي سفيان بن الحارث

ألا أبلغ أبا سفيان عني * مغلفة^(١) فقد برح الخفاء

هجوت هجاء، فأجبت عنه ، * وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكف * فشر كما خيركا الفداء



(١) يقال رسالة مغلفة : أى محمولة من بلد إلى بلد .

لنا في كل يوم من معد * سباب أو قتال أو هجاء
لساني صارم لا عيب فيه * وبحري لا تكذره الدلاء
فإن أبي ووالدي وعرضي * لعرض عهدي منكم وقاء

ويستحق الهجاء من أتصف بسوء الخصال، وأتسم بأخلاق الأراذل والأنذال،
وجعل اللؤم جلبابه وشعاره، والبخل وطائه ودناره، وسأذكر جماع ما أتصفوا به من
سوء الفعل، وأسسوا بنيانهم عليه من قبيح الخلال .

قال بعض الحكماء : أربعة من علامات اللؤم : إفشاء السر، وأتقاف الغدر،
وغيبة الأحرار، وإساءة الجوار .

وسأل عبد الملك بن مروان المجاج بن يوسف عن خلقه، فتلكا عليه وأبى أن
يخبره فأقسم عليه فقال : حسود، كنود، حقود، فقال عبد الملك : ما في إبليس
شر من هذه الخلال ؛ فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال : لقد انتحل الشر بمخايفه،
ومرق من جميع خلل الخير، وتأنق في ذم نفسه، وتجاوز في الدلالة على لؤم طبعه،
وأفرط في إقامة الحججة على كفره، ونرج من الخلال الموجبة رضى ربه .

قال أبو تمام

تأنست بزميم الفعل طلمته * تأنس المقللة الرمداء بالظلم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أربعة، من كن فيه فهو منافق،
من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا أوتمن خان » .

وقالوا : اللئيم كذوب الوعد، خؤون العهد، قليل الردف . وقالوا : اللئيم إذا استغنى
بطر، وإذا افتقر قنط، وإذا قال أغش، وإذا مثل بخل، وإن سأل ألح، وإن

أُسِدِّي إِلَيْهِ صَنِيعٌ أَخْفَاهُ، وَإِنْ اسْتَحْكَمَ سِرًّا أَفْشَاهُ، فَصَدِيقُهُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ، وَصَدُوقُهُ مِنْهُ عَلَى غَرَرٍ .

وَأَنَّ لِلشَّعْرَاءِ وَالْبَلَاءِ فِي الدِّمِّ وَالْهَبَاءِ نَفْلاً وَثَرًا سَنُورِدُ مِنْهُ طُرْقًا، وَنُشْرِحُ مَا يَجْمَلُ ضَوْءُ النَّهَارِ عَلَى الْمَقُولِ فِيهِ سَدْفًا .

- فَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْكَاتِبِ فِي بَنِي سَعِيدٍ بْنِ مُسْلِمَ بْنِ قُتَيْبَةَ : مُحَاسِنُهُمْ مَسَاوِي السُّفْلِ ، وَمَسَاوِيهِمْ فُضَائِحُ الْأَمِّ ، وَالسُّتَهْمُ مَعْقُودَةٌ بِالْيَمَنِ ، وَأَيْدِيهِمْ مَعْقُودَةٌ بِالْبُخْلِ ، وَأَعْرَاضُهُمْ أَعْرَاضُ الدِّمِّ ، فَهُمْ كَمَا قِيلَ لَا يَكْتُمُونَ وَإِنْ طَالَتْ حَيَاتُهُمْ * وَلَا تَبْسُدُ مَخَازِيهِمْ وَإِنْ بَادَوْا وَذَمُّ أَعْرَابٍ قَوْمًا فَقَالَ

- هُمْ أَقَلُّ النَّاسِ ذَنْبًا إِلَى أَعْدَائِهِمْ ، وَأَكْثَرُهُمْ تَجَرُّؤًا عَلَى أَوْصِدَائِهِمْ ، يَصُومُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ، وَيُفْطِرُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ .

وَذَمُّ أَعْرَابِيٍّ قَوْمًا فَقَالَ : قَوْمٌ سُلِخَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْهَبَاءِ ، وَدُبِنَتْ جُلُودُهُمْ بِاللُّؤْمِ ، فُلِبَّاسُهُمْ فِي الدُّنْيَا الْمَلَامَةُ ، وَفِي الْآخِرَةِ النَّدَامَةُ .

- وَكَانَ عَيْسَى بْنُ فَرَّخَانَ شَاهَ يَتِيهِ عَلَى أَبِي الْعَيْنَاءِ حَالَ وَزَارَتِهِ ، فَلَمَّا صَرَفَ عَنِ الْوِزَارَةِ لَقِيَ أَبَا الْعَيْنَاءِ فِي بَعْضِ السُّكُكِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ سَلَامًا خَفِيًّا ، فَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ لِقَائِهِ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : أَبُو مَوْسَى ، فَدَنَا مِنْهُ حَتَّى أَخَذَ بِيَمَانِهِ بَلْتُهُ وَقَالَ : لَقَدْ كُنْتُ أَقْنَعُ بِإِيمَانِكَ دُونَ بَيِّنَاتِكَ ، وَبِلِحْظِكَ دُونَ لَفْظِكَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا آلَتْ إِلَيْهِ حَالُكَ ، فَإِنَّكَ كَانَتْ أَخْطَاؤُكَ فِيكَ النِّعْمَةُ ، لَقَدْ أَصَابَتْ فِيكَ النِّعْمَةُ ؛ وَلَوْ أَنَّكَ كُنْتَ الدُّنْيَا أَبَدْتَ صَفْعَتَهَا بِالْإِقْبَالِ عَلَيْكَ ، لَقَدْ أَظْهَرْتَ مُحَاسِنَهَا بِالْإِدْبَارِ عَنْكَ ، وَتَبَّ الْمُنَّةُ

- (١) الْفَرْدُ : التَّعَرُّضُ لِهَلَاكَ . (٢) السَّدْفُ : الظِّلَّةُ .

إذ أغناها عن الكذب عليك، ونزهنا عن قول الزور فيك، وقد والله أسأت حمل
النعمة، وما شكرت حق المنعم، ثم أطلق يده من عيانه، ورجع الى مكانه فقيل له :
يا أبا عبد الله ! لقد بالفت في السب ؛ فما كان الذنب ؟ قال : سألته في حاجة
أقل من قيمته، فردنى عنها بأقبح من خلقته .

قال بعض الأعراب : نزلت بذلك الوادى فإذا ثياب أحرار على أجسام عبيد ،
إقبال حظههم ، إدبار حظ الكرام ، ألم بهذا المعنى شاعر فقال

أرى حُللاً تُصَانُ على رجال * وأعراساً تُدَالُ ولا تُصَانُ

يقولون الزمانُ به فسادٌ * وهم فسدوا وما قَسَدَ الزمانُ

وسئل بعضُ البلغاء عن رجل فقال : هو صغير القدر، قصير الشبر، ضيق الصدر،
لثيم النَجَر، عظيم الكِبَر، كثير الفخر .

وذم أعرابي رجلًا فقال : هو عبد البَدَن، حر الثياب، عظيم الزواق، صغير
الأخلاق، الدهر يرفعه، ونفسه تَضَعُهُ .

وقال آخر : فلان غث في دينه، قَدر في ديناه، رَث في مَرُوءته، سَمِج في هيئته،
منقطع الى نفسه، راض عن عقله، بخيل بما أنعم الله عليه، كتوم لما آتاه الله من
فضله، حَلَّاف بَلُوج، إن سأل ألحف، وإن وعد أخلف، لا يُنِصِف الأصاغر،
ولا يعرف حق الأكابر .

وترجم الفتح بن عبد الله القتيبي صاحبُ فَلَائِدِ الْعِيقَانِ في كتابه عن أبي بكر بن
ماجة المعروف بأَبْنِ الصائغ فقال : هو رَمَدُ جَفْنِ الدِّين، وَكَدُّ نَفُوسِ الْمُهْتَدِينَ، أَشْتَهَر
مُخَفَا وَجُنُونَا، وَهَجَر مَفْرُوضَا وَمَسْتُونَا، فَمَا يَنْشُرِع، وَلَا يَأْخُذُ فِي غَيْرِ الْأَضَالِيلِ وَلَا

- يُشرع ، ناهيك به من رجل ما تطهر من جنبه ، ولا أظهر تحيلة لإنباه ، ولا أسننحي من حدث ، ولا أمتحي فؤاده مؤاري في جدت ، ولا أقر بيارنه ومصوره ، ولا فرعن تباريه في ميدان تهوره ، الإساءة إليه أجدى من الإحسان ، والبهيمة أهدى عنده من الإنسان ، نظري تلك التعاليم ، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورقص كتاب الله الحكيم العليم ، ونبذ وراء ظهره ، فإني عطيفه ، وأراد إبطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأقتصر على المهيئة ، وأتكر أن يكون له عند الله تبارك وتعالى فيئة ، وحكم للكواكب بالتدبير ، وأجترم على الله اللطيف الخبير ، وأجترأ عند سماع النهي والإيعاد ، وأستهزأ بقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) فهو يعتقد أن الزمان دور ، وأن الإنسان نبات له نور ، حماؤه تسمأه ، وأختلافه فطامه ، قد محي الإيمان من قلبه فماله فيه رسم ، ونسي الرحمن لسانه فإ يترله عليه أسم ، وأتمت نفسه للضلال وانتسبت ، ونفت يوما تجزى فيه كل نفس بما كسبت ، فقصر عمره على طرب ولهو ، وأستشعر كل كبر وزهو ، وهو يعكف على سماع التلاحين ، ويقف عليها كل حين ، يعلن بذلك الاعتقاد ، ولا يؤمن بشيء ، قادا الى الله في أسلس مقاد ، مع منشأ وخيم ، ولؤيم أصل وخيم ، وصورة شوها الله وقبحها ، وطملة لورأها كلب لنبحها ، وقذارة يؤذى البلاد نفسها ، ووضارية يحكي الحداد دتسها وقتيد لا يعمر إلا كشفه ، ولئيد لا يقوم إلا الصفاؤ جفته .

- وكتب أحمد بن يوسف : أما بعد فإني لأعرف للمعروف طريقا أوعر من طريقه إليك ، لأنه يحصل منك بين حسب دنيء ، ولسان بديء ، وجهل قد ملك عليك طبايعك ، فالمعروف لديك ضائع ، والشكر عندك مهجور ، وإنا غاييتك في المعروف أن تحوره ، وفي وليه أن تكفره .

ومما قيل في الهجاء من النظم

- فمن ذلك قول جرير وهو أجهى بيت قاله العرب
فَنُضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ * فَلَا كُفَّ بِلَفْتٍ وَلَا كِلَابًا
وَلَوْ وُضِعَتْ فِقَاحُ بَنِي مُنْمِرٍ * عَلَى خَبِيثِ الْحَدِيدِ إِذَا لَذَابًا
- وقال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم
شعروا وادوا أنهم آتدوا منه بأموالهم، وشعروا يسرهم به حمر النعم فقال أسماء بن
خارجة : نحن يا أمير المؤمنين ! قال : وما قيل فيكم : قال : قول الحارث بن ظالم
وما قومي بعلبة بن مسعد * ولا بفزارة الشعر الرقابا
فوالله يا أمير المؤمنين ! إني لألبس اليمامة الصنيقة فيخيل لى أن شعرقاى قد
بدا منها، وقول قيس بن الخطيم
هَمَمْنَا بِالْإِقَامَةِ يَوْمَ سِرْنَا * مَسِيرَ حَذِيفَةَ الْخَبِيرِ بِبَدْرِ
فما يسرنا أن لنا بها أويه حمر النعم، فقال هاني بن قبيصة التميمي : أولئك نحن
يا أمير المؤمنين ! قال : ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير
* فَنُضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ *
- والله لو يدنا أننا آتدنا به أملا سكا، وقول زياد الأعجم
لِمَسْرُكٍ مَا رِمَاحُ بَنِي مُنْمِرٍ * بَطَائِشَةِ الصُّدُورِ وَلَا قِصَارِ
فوالله ما يسرنا به حمر النعم
قال السكري وذكر أن جريرا لما قال
وَالْتَقَلُّ إِذَا تَحَنَّنَ لِلْقِرَى * حَكَ آسَتُهُ وَمَثَلُ الْأَمْثَالِ

قال : قلت فيهم بيتا لو طُعن أحدهم في أمته لم يحكمها ! وقالوا : مرت امرأة
بني مُعمر فتها مزوا إليها فقالت : يا بني نمير ! لم تعملوا بقول الله ولا بقول الشاعر ،
يقول الله تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْضُلُوا مِنْ آبَائِهِمْ) ويقول الشاعر
* فَفَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُمَيْرِ *

نفجلوا ؛ وكان النُميرى إذا قيل له : من أنت ؟ قال : من مُعمر ، فصاري يقول :
من بني عامر بن صعصعة .

قال العسكري : ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو

ولو تُرَى يَلُومُ بَنَى كُلَيْبِ * نُجُومُ اللَّيْلِ ما وَصَحَتْ لِسَارِي

ولو يُرَى يَلُومُهُمْ نَهَارِ * لَدُنَّسٍ لَوْمُهُمْ وَصَحَّ النَّهَارِ

وما يَفْتَدُو عَزِيْزُ بَنَى كُلَيْبِ * لِيَطْلُبَ حَاجَةً إِلَّا يَحَارِ

١٠

ومثله قول الآخر

وَلَوْ أَنَّ عَبْدَ الْقَيْسِ تَرَى بِلُومَهَا * عَلَى اللَّيْلِ لَمْ تَبْدُ النُّجُومُ لِمَنْ يَسْرِى

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى

يَتَيَّنُونَ فِي الْمَشَا مِلَاءَ بَطُونِكُمْ * وَجَارَاتُكُمْ غَرَقِي يَتَيْنَنَّ نَحْمًا نَصَا

وهذا البيت من أبيات ولها سبب ذكره الآن في هذا الموضع وإن كان خارجا
عن مكانه وذلك : أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة تنازعا الزعامة
فقال عامر : أنا أفضل منك ! وهي لعمري ولم يمض ، وعمه عامر بن مالك بن جعفر
أبن كلاب وكان قد أهدر وسقط ، وقال علقمة : أنا أفضل منك ! أنا عفيف ، وأنت

ماهر، وأنا وفيّ وأنت غادر، وأنا ولود وأنت عاقر، وأنا أدنى الى ربيعة، فتداعيا الى
 هَريم بن قُطنة؛ ليحكم بينهما فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثائة من الإبل، مائة
 يُطعمها من تبعه، ومائة يُعطىها للحاكم، ومائة تُعقر إذا حكم، فأبى هَريم بن قُطنة
 أن يحكم بينهما غافة الشرّ وأبى أن يرتحلا؛ فخلا هَريم بعلقة وقال له: أترجو أن
 ينفرك رجل من العرب على عامرٍ فارسٍ مُضرٍ، أئدى الناس كفاً، وأشبههم لقاءً،
 لِسنانٍ ربح عامرٍ أذكُرُ في العرب من الأصوص، وعمه ملاعب الأُسنة، وأمه كبشة
 بنتُ عروة الرّحال، وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضّخياء، وأملك من
 النّخع، وكانت أمّه مُهَيّبة، وأمّ علانة أختُها من النّخع، ثم خلا بعامر فقال له:
 أعلّ علقمة تفخر؟ أنت تتأوّه؛ أعلّ بن عوف بن الأصوص؛ أعفّ بنى عامر وأبنيهم
 تقيّة، وأحلبهم وأسودهم وأنت أعور عاقر مشثوم! أما كان لك رأى يزكّ عن هذا!
 أكنّت تظنّ أن أحدا من العرب يُنفرك عليه؟ فلما آجتمعا وحضر الناس للّقضاء
 قال: اتّما كركبتي الجبل قتراجما راضيين.

قال العسكري: والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئا فيهما ولو قال: اتّما
 كركبتي الجبل لقال كل واحد منهما: أنا اليُتّى، فكان الشرّ حاضرا؛ قال وسأله عمر بن
 الخطّاب رضى الله عنه بعد ذلك بحين: لمن كنت حاكما لو حكمت؟ فقال: أعفّى
 يا أمير المؤمنين! فلو قلتها لمادت جدّة. فقال عمر: صدقت! مثلك فليُحكم.

قال فارتحلوا عن هَريم لما أعياهم نحو عكاظ فلقبهم الأعشى منعهدا من اليمن،
 وكان لما أرادها قال لعلقة: أعقد لي حبلا فقال: أعقد لك من بنى عامر! قال:
 لا يبنى عني قال: لمن قيس! قال: لا، قال: فما أنا بزائدك، فأبى عامر بن الطفيل
 فأجاره من أهل السماء والأرض فقيل له: كيف تجيره من أهل السماء؟ قال: إن مات

وَدَيْتُهُ ، فقال الأعشى لعامر : أظهر أنكا حَكَّتَمَانِي فَعَمَل ، فقام الأعشى فرفع
عَقِيرَتَهُ (أى صوته) فى الناس فقال

حَكَّتُمُوهُ قَقْضَى بَيْنَكُمْ * أُلْبِجْ مِثْلَ الْقَمَرِ الزَّاهِرِ
لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِى حُكْمِهِ * وَلَا يَسَالِى خُسْرَ الْخَاسِرِ
عَلِمْتُ لَأَسْتَ إِلَى عَامِرِ السَّنَاقِضِ الْأَوْتَارِ وَالْوَاتِرِ
وَاللَّائِسِ الْخَلِيلِ بِخَيْلٍ إِذَا * ثَارَ نَحْجَاجُ الْكَبْجَةِ الثَّائِرِ
إِنْ تَسَدَّ الْحَوْصُ فَلَمْ تَعُدْهُمْ * وَعَامِرٌ سَادَ نَحْيِ عَامِرِ
سَادَ وَأَلْقَى رَهْطَهُ سَادَةً * وَكَأَيُّهَا سَادُوكَ عَنْ كَأَيُّ

قال وشذ القوم فى أعراض الإبل المسائة فعمروها وقالوا : نَفَّرَ عامر ، وذهبت بها

- ١٠ الفوغاء ، وجهد علقمة أن يردها فلم يقدر على ذلك ، فجعل يتهنّد الأعشى فقال
- أَتَانِي وَعِيدَ الْحَوْصِ مِنْ آلِ عَامِرٍ * فَيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْ نَبَيْتَ الْأَحْوِصَا
فَمَا ذُنُبُنَا إِنْ جَاشَ بَحْرُ آبْنِ عَمْرٍو * وَبَحْرُكَ سَاحِلٌ لَا يَوَارِي الدَّمَاعِصَا
كَلَّا أَبَوَيْكُمْ كَانَتْ قَرْعًا دَعَامِي * وَلَكِنَّهُمْ زَادُوا وَأَصْبَحَتْ نَاقِصَا
تَبَيَّنُوا فِى الْمَشْتَا مِلَاءً بَطُونَكُمْ * وَجَارَاتُكُمْ غُرْفٌ يَتَنَنَّ نَحَائِصَا
يَرَاقِبْنَ مِنْ جَوْعٍ خِلَالَ خَفَافَةٍ * نَجْمُ السَّيِّئَاتِ الْعَامِئَاتِ الْفَوَاصِ
رَحِمَ بِكَ فِى أَحْرَامٍ تَرْكُوكَ النَّدَى * وَفَضَّلَ أَقْوَامًا عَلَيْكَ مَرَاهِصَا
فَضَضَ حَذِيذَ الْأَرْضِ إِنْ كُنْتَ سَاخِطًا * بِفِيكَ وَأَحْمَارَ الْكِلَابِ الرَّوَاصِ

قال فبكى علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكائه زيادة عليه فى العار ، والهرب

تعيّر بالبكاء ، قال مهلهل

- ٢٠ يَبْكِي عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ * وَنَحْنُ أَغْلَطُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ

وقال جرير

بِكَيِّ دَوْبُلٍ لَا يُرْقُ اللَّهُ دَمْعَهُ • أَلَا إِنَّمَا يَكِي مِنَ الدَّلِّ دَوْبُلٌ

قال عبد الملك بن مروان لأمية : مالك وللشاعر إذ يقول

إِذَا هَتَفَ الْمَصْفُورُ طَارَ فَوَادُهُ • وَلَيْثُ حديدُ النَّابِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ

فقال : أصابه حد من حدود الله فألقته عليه قال : فهلاً درأته عنه بالشبهات ؟

قال : كان أهون عليّ من أن أعطل حدا من حدود الله فقال : يا بني أمية ! أحسابكم

أحسابكم ، أنسابكم أنسابكم ، لا تعرضوا للفصحاء فإن للشعر مواسم لا يزيد بها الليل والنهار

إلا جِدَّةً ، والله ما يسترني أني هيمتُ بيت الأعرشي حيث يقول : تبيتون في المشتاء الخ

ولى الدنيا بعدها غيرها ولو أن رجلا خرج من عَرْض الدنيا كان قد أخذ عوضا لقول

أَبْنِ حُرْثَانَ

على مكثريهم حق من يعترهم • وعند المقلين الساحة والبذل

وهذا البيت لزهير .

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الحطيئة في الزبيرِ قَانِ بْنِ بَدْرٍ

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلُ بُنْيَتُهَا • وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّائِعُ الْكَاسِي

ولهذا الشعر حكاية نذكرها في أخبار الحطيئة في البخلاء . وقيل : أعمق جماعة

من الشعراء على أن أهجى بيت قالته العرب ، قول الفرزدق في جرير

أَتَمَّ قِرَارَةً كُلَّ مَعْدَنٍ سَوَاءَ • وَلِكُلِّ سَائِلَةٍ تَسِيلُ قَرَارٌ

أخذه أبو تمام فقال

وَكَاثَتْ زَفْرَةً ثُمَّ أَطْلَمَاتِ • كَذَاكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارٌ

(٨٢)

وقالوا أهى بيت قالته العرب قول الأخطل الحرير

ما زال فينا رباط الخليل مُعلّمة * وفي كليب رباط اللؤم والعار

قوم إذا استنج الأضياف كلّهم * قالوا لأهمهم : بولى على النار

قالت بنو نجيم : ما هيئا بشيء ، هو أشد علينا من هذا البيت ، وهو يتضمن

وجوها شتى من الذم : جعلهم بخلاء بالقرى ، وجعل أتهم خادمهم ، يأمرونها

بكشف قُرَجها ، وجعلهم يخلون بالماء أن يطفئوا به النار ، وجعل نارهم من قتها

تطفى ببولة ، وأغرى بينهم وبين الجبوس ، لتعظيم الجبوس للنار ، وإهاتهم لها إلى

غير ذلك .

وقالوا أهى بيت قالته العرب قول الطرماع

١٠ تميم يطرُق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت طرق المكارم ضلّت

وقيل أهى بيت قالته العرب قول الأعراى

اللؤم أكرم من وبرٍ والديه * واللؤم أكرم من وبرٍ وما ولدا

قسوم إذا ما جنى جانبهم آمنوا * من لؤم أحاسيم أن يقتلوا قوداً

وقال مسلم بن الوليد يهجو دُعيل الخزاعي

١٥ أما الهجاء فندى عِرْضُكَ دُونَهُ * والمُدْحِ عَنكَ كما طمست جَلِيلُ

فأذهب فانت طليق عِرْضُكَ إِنَّهُ * عِرْضُ عِرْزَتِ به وأنت ذليل

وكان سبب ذلك أنه كان بخراسان عند الفضل بن سهل ، فبلغ دُعيل ما هو فيه

من الحَفَظَةِ عنده ، فصار إلى مَرَوْ ، وكتب إلى الفضل بن سهل

لا تَعْبَأَنَّ بِأَبْنِ الْوَلِيدِ فَإِنَّهُ * يَرِيكَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ يَمَلَالِ

٢٠ إِنْ الْمَلُولُ إِذَا تَعَادَمَ عَهْدُهُ * كَانَتْ مَوَدَّتُهُ كَفَى ظِلَالِ

فدفع الفضل الرقعة إلى مسلم ، فلما قرأها قال : هل عرفت لقب دصيل وهو
غلام أمرد يُسَقَّ به ؟ فقال : لا ، قال : كان يُلقَّب بِمَيَّاس ، وكتب إليه
مياس قل لي : أين أنت من الوري ؟ لا أنت معلوم ولا مجهول

أما الهجاء انخ ، ومنه أخذ إبراهيم بن العباس فقال
فكن كيف شئت وقُلْ ما تشاء * وأبرق يمينا وأرعذ شمالا
نجا بك لؤمك متجا الذباب * حننه مقاذيره أنب ينالا

وأشد الجاحظ

ووثقت أنك لا تُسب * حماك لؤمك أن تُسالا

وقال الآخر

بذلة والديك كُيِّتَ عِزًّا * وباللوم أجترأت على الجواب

وقال آخر

دناءة عِرْضِكَ حِصْنٌ مَنِيعٌ * يريك إذا ساء منك الصنيعُ
فقل لمدوك ما تشيى * فانت المنيع الرفيع الوضيعُ

وقال أبو نؤاس

ما كلن لو لم أجهه غالب * قام له هجوى مقام الشرف
يقول : قد أسرف في هجونا * وإنما ساد بذاك السرف
غالب ، لا تسع لتبني العلا ، * بلغت مجدا بهجائى ، قف
قد كنت مجهولا ولكني * توهمت بالمجهول حتى عُرف

وقال أبو هلال العسكري:

أهتُ هجائي يابن عُرْوَة، فانتقى • على ملام الناس في البعد والقرب
وقالوا: أتَهجو مثله في سقوطه؟ • ققلت لهم: جَرَبْتُ سَيْفِي فِي كَلْبٍ

وقال ابن لنكك

• وعصبية لما توسَّطهم • صارت على الأرض كالظلماتِ
كأنهم من سوء أفهامهم • لم يخرجوا بعدُ إلى العالمِ
يضحك إبليس سرورا بهم • لأنهم عارٌ على آدمِ

وقالوا أهى بيت قاله محدث قول الآخر

فَبَحَّتْ مَنَاطِرُهُمْ، فَمِنْ خَبَرْتُهُمْ، • حَسُنَتْ مَنَاطِرُهُمْ لِقَبِيحِ الْخَبَرِ

وقال العسكري: ولست أعرف في الهجاء أبلغ من قول الأول

١٠ إن يَفْجُرُوا أو يَغْدُرُوا • أو يَخْلُوا لم يَفْعَلُوا
وغدوا عليك مُرَجِّلِينَ كأنهم لم يفعلوا!

ومن البليغ قول حسان

أبناء حار، فلن تلقى لهم شبا • إلا التيوس على أكتافها الشمرُ
١٥ إن نافروا نُفِرُوا، أو كاثروا كَثُرُوا، • أو قاصروا الرِّيحَ عن أحسابهم قُفِرُوا
كأن ريحهم في الناس إن خرجوا • ريح الكلاب إذا ما مَسَّها المطرُ

وقال أيضا

أبوك أبوسوء وخالك مثله • ولست بغير من أهلك وخالكِ
وإن أحقَّ الناس أن لا تلومَه • على اللؤم من ألقى أباه كذلكا

وقال الآخر

سلي الله ذا المنّ من فضله * ولا تسألنّ أباً وائله
فما سأل الله عبداً له * نجاب ولو كان من باهله

وقال آخر

ولو قيل للكلب : يا باهلاً * لأعول من فجع هذا النسب !

وقال زياد : ما نجيئ بيت قط أشدّ على من قول الشاعر
فكرّ، ففي ذلك إن فكرت معتبر * هل نلت مكرومة إلا بتامير
عاشت سمية ما عاشت وما علمت * أن آبنها من قريش في الجاهير
وقال إبراهيم بن العباس

ولما رأيتك لا فاسقا * تُهاب ولا أنت بالزاهد
وليس عدوك بالمتقي * وليس صديقك بالحامد
أيت بك السوق سوق الهوان * فتاديت : هل فيك من زائد ؟
على رجل غادر بالصديق * كفور لنعمائه جاحد
فما جاءني رجل واحد * يزيد على درهم واحد
سوى رجل حان منه الشقاء * وحلت به دعوة الوالد
فبعتك منه بلا شاهد * مخافة ردك بالشاهد
وأبت الى منزلي سالما * وحلّ البلاء على الناقد

وقال المسكوي

إن كان شكك غير متفي * فكنا خلاك غير مؤتلف
صوّرت من نطف قد اختلفت * فانت خلاك وهي مختلف

من عصية شئ إذا اجتمعوا * شَبَّهْتُ داركم بهم عِرْقَةً
فَوَرَّثْتُ مِنْ ذَا قُبْحِ مَنَظَرِهِ * وَوَرَّثْتُ ذَاكَ خِثَاءً أَوْ صِلَقَةً

(٨٤)

وقال الحسن بن مطران شاعر البليمة

كَمْ غَصَبْتُ فِي مَدْحِكَ فِكْرًا عَلِيًّا * دُرِّ نَفْسٍ غَيْرِ مَقْصُوبِ
وَلَمْ يَنْصُرْ رَأْيُكَ يَوْمًا عَلِيًّا * بَرِّئْتُ، وَلَا رَأْيُ الْمَكْذُوبِ
إِنْ كَانَ مَوْعُودُكَ فِي الْجُودِ لِي * أَكْذَبُ مِنْ مَوْعُودِ عُرْقُوبِ
فَأَنْتَ أَخْبَارُكَ فِي مَدْحِي * أَكْذَبُ مِنْ ذَنْبِ آبِنِ يَعْقُوبِ

وقال أحمد بن محمد بن حامد شاعر الحريصة

بَلَيْتُ بِقَوْمٍ مَالَهُمْ فِي الْعَلَايِدِ * وَلَا قَدَمٌ تَسْمَى لِبَنَلِ الصَّنَائِعِ
إِذَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْهِمْ تَحَيَّسْتُ * بِرُؤْيِهِمْ طَهَرْتُهَا بِالْمَدَامِيعِ

وقال المتنبي

إِنْ أَوْحَشَتْكَ الْمَعَالِي * فَإِنَّهَا دَارُ غُرَبَةٍ
أَوْ آفَسَتْكَ الْخَازِي * فَإِنَّهَا بَكَ أَشْبَةِ

وقال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحاج

وَلَقَدْ عَهْدْتُكَ تَسْتَهِي * قَرِيبِي، وَتَسْتَدْعِي حَضُورِي
وَأَرَى الْجُلْفَا بَعْدَ الْوَفَا * مِثْلَ الْقَسَا بَعْدَ الْبُخُورِ
يَا خَرِيَّةَ الْمَدَسِ الصَّحَّاحِ النَّيِّ * وَالْخَبَزِ الْفَطِيرِ
فِي جَوْفٍ مَنَحَلِّ الطَّيْصَةِ وَالْقَوَى شَيْخَ كَبِيرِ
يَخْرُجُ فَيَخْرُجُ سُرْمُهُ * شَبْرَيْنِ مِنْ وَجْهِ الزَّحِيرِ
يَا قَسْوَةَ بَعْدَ الْعَسَا * بِالنَّيْضِ وَاللَّبَنِ الْكَثِيرِ

وفطائر عجنّت بلا التملح الجريش ولا الخبز
 يا قن راحة الطيخ إذا تغير في القدور
 يا عث بيض القمل فشرخ في السوالف والشحور
 يا بول صبيان الفطا * م يا حرام في المجرور
 يا بعض تدخين الحشا * في الصوم من تهم السحور
 يا حر قسولج البطو * ن، ورد أعصاب الظهور
 يا ذلة المظلوم أصح وهو معدوم النصير
 يا سوء عاقبة التفكّد عند تشبه الأمور
 يا كل شيء متعب * متعب صعب عسير
 يا حيرة الشيخ الأصم، وحسرة الحديث الضير
 يا قعدة في دجلة * والريح تلبّ بالجسور
 يا قرحة اللّ التي * هتت شراسيف الصدور
 يا أرماء لا تدو * ربه مخافات الشهور
 يا هدة الحيطان تشقّص بالمعاويل والمُرور
 يا قرحة في ناظر * غلطوا عليها بالذّور
 فتسلخت مع ما يليثها في الجفون من البُور
 يا خيبة الأمل الذي * أمسى يعلل بالفرور
 يا غلة المخذرا * ت وراء أبواب القصور
 يا وحشة الموتى إذا * صاروا إلى ظلم القبور
 يا خجيرة المحموم بالخدوات من ماء الشعير

•

١٠

١٥

٢٠

- يا سُؤْمَ إقبالِ الشتا * وأُضِرُّ بالشيخ الفقير
يا دولةَ الحُسْنِ التي * خُفِيتْ بِأَيَّامِ التَّرويرِ .
يا نَجَّةَ الضَّيْرِ المصنَّعِ بالتنازُعِ والشُّرورِ
يا عِثْرَةَ القلمِ المرشِّشِ بينَ أثناءِ السُّطورِ
يا لَيْلَةَ العُرْيَانِ غُيِّبَتْ عَشِيَّةَ اليَوْمِ المَطِيرِ
يا نَوْمَةً في شمسِ آ * بَ على الترابِ بلا حَصِيرِ
يا بَغَاةَ المَكْرُوهِ في السَّيُومِ العَبُوسِ القَمَطِيرِ
يا نَحْمَةَ الكَلْبِ الرَضِيعِ ونَكْهَةَ اللَّيْلِ المَصُورِ
يا عَيْشَ عَانِ مَوْتِي * في القَيْدِ مَفْلُوجِ أُسِيرِ
يا حِدَّةَ الرِّمَّةِ الذي * لا يَسْتَفِيقُ مِنَ القُطُورِ
يا عَيْشَةَ الكَلَسِ مِنْ * شَمِّ الذَّرَائِرِ والعَبِيرِ
يا حَيْرَةَ العَطْشَانِ وَقَسَّتْ الظُّهْرَ في وَسَطِ الهَبِيرِ
مَنْ لِي بَأَنٍ تَلْقَاكَ خَيْلُ بَنِي كَلَابِ بلا خَفِيرِ
وَأَرَى بَعِيْنِي لِحْمَكِ المَطْبُوشِخِ في حَزِّ المَجِيرِ
في الأَرْضِ ما بَيْنَ السَّبا * عِ وَفِي السَّما بَيْنَ النُّسُورِ

وقال المتنبى

يمشي بأربعة على أعقابهِ * تحتِ العلوجِ ومن وراءِ يُلجِمُ
وجفونه ما تستقرُّ كَأَنَّها * مطروقةٌ أَوْقَتْ فيها حَصِيرُ
وتراه أصفرَ ما تراه ناطقاً * ويكونُ أكلَبَ ما يكونُ ويُقَسِّمُ

وَإِذَا أَشَارَ مَكَلَّمًا فَكَانَهُ * قِرْدٌ يُفْهِقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ
يَقِلُّ مُفَارَقَةً الْأَكْفَ قَدَالَهُ * حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدَيْهِ يَتَعَمَّمُ



وَمِمَّا يَذَمُّ بِهِ الرَّجُلُ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا، فَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ
وَتَقِيلُ أَشَدَّ مِنْ غَصَصِ الْمَوْتِ * تَوَمَّنْ زَقْفَةَ الْعَذَابِ الْآلِمِ
لَوْ عَصَتْ رَبُّهَا الْجَحِيمُ لَمَّا كَانَتْ * سِوَاهُ عَقُوبَةٍ لِلْجَحِيمِ

وَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ بَشَّارٍ

وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ وَتَدَّ فِي الْأَرْضِ * ضَرَّ ثَقِيلُ أَرْبَى عَلَى تَهْلَانِ
كَيْفَ لَمْ تُغَيِّلِ الْأَمَانَةَ أَرْضُ * حَمَلَتْ فَوْقَهَا أَبَا سُفْيَانَ



وَمِمَّا جِيءَ بِهِ أَهْلُ الْوَقْتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ * فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي هَلَالٍ

الْمُسْكِرِ

كَمْ حَاجَةٌ أَنْزَلْتُهَا * بِكَرِيمِ قَوْمٍ أَوْ لَيْسَ
فَإِذَا الْكَرِيمُ مِنَ اللَّيْسِ أَوْ اللَّيْسُ مِنَ الْكَرِيمِ
سَبْعَانِ رَبِّ قَادِرٍ * قَدْ الْبَرِيَّةُ مِنْ أَدِيمِ
فَتَرِيضُهُمْ وَوَضِيغُهُمْ * سَيَّانَ فِي سَفَاهِ وَلُؤِيمِ
قَدْ قَلَّ خَيْرٌ غَنِيهِمْ * فَفَتْنِهِمْ مِثْلُ الْقَدِيمِ
وَإِذَا اخْتَبَرْتَ حَمِيدَهُمْ * أَلْقَيْتَهُ مِثْلَ الْقَدِيمِ



ومما قيل في هجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم ، فمن ذلك قول
أبي عُبَيْنة ليهجو خالد بن يزيد المهلبي ويمدح أباه

أبوك لنا غَيْثٌ نعيشُ بفضلِهِ * وأنتَ جَرَادٌ ليس يُسقى ولا يَنزُرُ
له أثرٌ في المَكْرُماتِ يَسْرَتاً * وأنتَ تُعَفِّي دَائِباً ذاك الأثرُ
لقد قُتعتُ حَقَطَانِ حَزِيّاً بخالدٍ * فهل لك فيه يُخْزِكَ اللهُ بِأَمْرٍ ؟

وله في قَيْصَةَ بنِ رُوح ، يُفَضِّلُ عليه أَبَنَ عَمِّه دَاوُدَ بنَ يَزِيدَ بنِ حَاتِمٍ
أَقْبِصْ لَسْتَ وَإِنْ جَهَدْتَ بِبَالِغٍ * سَعَى أَبْنِ عَمِّكَ ذِي النَّدَى دَاوُدِ
شَتَانِ بَيْنَكَ يَا قَبِصُ وَبَيْنَهُ * إِنِ الْمُدَّمَّ لَيْسَ كَالْمَحْمُودِ
دَاوُدٌ مَحْمُودٌ وَأَنْتَ مُدَّمٌ * عَجَبٌ لَذَاكَ وَأَتَمُّ مِنْ عُودِ
وَلَرُبَّ عُودٍ قَدْ يُشَقُّ لِمَسْجِدٍ * نَصَفًا وَسَائِرُهُ لِحَشٍّ يُمُودِي

وقال حسان في أبي سُفْيَانَ بنِ الحارث

أَبُوكَ أَبُّ حُرٍّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ * وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانَ غَيْرَ نَجِيبِ
فَلَا تَعْبِجَنَّ النَّاسُ مِنْكَ وَمِنْهَا * فَا خَبْتُ مِنْ فَضِيَّةٍ بِعَجِيبِ

ذكر ما قيل في الحسد

ومما يذم به الرجل ، أن يكون حسوداً ، وقد أمر الله تعالى نبيه عليه
الصلاة والسلام ، أن يتعوذ من شر الحاسد إذا حسد
قال ابن السكّك

أنزل الله تعالى سورة جعلها عِوَذَةً تَلْذُقُهُ من صنوف الشرِّ، فلما انتهى إلى الحسد، جعله خاتماً إذ لم يكن بعده في الشرِّ نهاية، والحسد أول ذنب عُصِيَ الله تعالى به في السماء، وأول ذنب عُصِيَ به في الأرض، أما في السماء، فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض، فحسد قاييل لهابيل، وذهب بعض أهل التفسير في قوله عز وجل إخباراً عن أهل النار (رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنْ آيَاتِنَا وَالْإِنْسَ يَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْقَادِمِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) أن المراد بإيلن إبليس. وبالإنس قاييل، وذلك أن إبليس أول من سَنَّ الكفر، وقاييل أول من سَنَّ القتل، وأصل ذلك كله الحسد.

وقال عبد الله بن مسعود : لا تُعَادُوا نِعَمَ الله، فقبل له : ومن يُعَادِي نِعَمَ الله ؟ قال : الذين يَحْسُدُونَ النَّاسَ على ما آتَاهُم الله مِنْ فَضْلِهِ ، يقول الله تعالى في بعض الكتب : الْحَسُودُ عَدُوٌّ نِعْمَتِي، مَسِيحٌ لِقَضَائِي، غَيْرُ رَاضٍ بِقِسْمِي .

وقالت الحكماء : إذا أراد الله، أن يُسَلِّطَ على عبد عدواً لا يرحمه، سَلَّطَ عليه حاسداً .

وكان يقال في الدعاء على الرجل : طلبك من لا يَقْصُرُ دُونَ الظُّفْرِ، وحسبك من لا ينال دون الشَّقاء .

وقالوا : ما ظنك بعداوة الحاسد، وهو يرى زوال نعمتك نعمة عليه ؟

قال أبو الطيب المتنبي

سوى وجع الحساد داء فإنه * إذا حَلَّ في قلب فليس يَحُولُ
ولا تَطْمَئِنُّ مِنْ حَايِدٍ فِي مَوَدَّةٍ * وإن كنت تُبْذِلُها له وتَبْذِلُ

وقال البغواءُ

ومن البلية أن تدأوى حَقْدَ مَنْ • نِعِمَّ الألهُ عليك من أحقادِهِ

وقال عليّ رضي الله عنه

لا راحةَ لحسودٍ، ولا أخَ لملولٍ، ولا مُحِبٌّ لشيءٍ الخُلُقِ .

وقال الحسن

ما رأيت ظالماً أشبهَ بِمظلومٍ من حاسدٍ؛ نفَسٌ دائمٌ، وحنٌّ لازمٌ، وَغِيْرَةٌ لا تَنفَدُ،
ثم قال : لله دَرُ الحسد ما أَعْدله ! يَقْتُلُ الحاسدُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلى المَحْسُودِ .

وقال الجاحظ : من العدلِ المُحَيِّضِ ، والإنصافِ المَصْحِيحِ ، أَنْ تَحُطَّ عن الحاسدِ
نِصْفَ عِقَابِهِ ، لِأَنَّ أَلَمَ جِسْمِهِ ، قَدْ كَفَاكَ مَثْوًى شَطَرِ غِيْظِكَ عَلَيْهِ .

وقيل : الحسد أن تُغْنِي زوالُ نعمةٍ غَيْرِكَ ، والغبطة أن تُغْنِي مَثَلُ حَالِ صَاحِبِكَ .
وفي الحديث : « الْمُؤْمِنُ يَقْطُرُ ، وَالْمُنَافِقُ يَتَحَدُّ » .

وقال أرسطاطاليس : الحسد حسدان : مجودٌ ، ومذمومٌ ، فالمحمود أن ترى
علماً قَسْتَشَى أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ ، وزاهدا قَسْتَشَى مِثْلَ فعلِهِ ، والمذموم أن ترى علماً
وقاضلا قَسْتَشَى أَنْ يَمُوتَا . وقيل : الحسود غضبان على الْقَدَرِ ، والقدر لا يُعْتَبَرُ .

قال منصور الفقيه

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدا • أُتَدْرَى عَلَى مَنْ أَسَاتَ الأَدَبُ ؟
أَسَاتَ عَلَى اللَّهِ فِي فَضْلِهِ • إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْضَ مَا قَدْ وَهَبَ

وقال المتنبي

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الأَرْضِ مَنْ بَاتَ حَاسِدا • لِمَنْ بَاتَ فِي نَعَائِهِ يَتَقَلَّبُ

ومن أخبار الحسدة : ما حكى ، أنه أجمع ثلاثة نفر منهم ، فقال أحدهم لصاحبه : ما بلغ من حسدك ؟ قال : ما أشتيت أن أقبل بأحد خيرا قط ، فقال الثانى : أنت رجل صالح ، أنا ما أشتيت أن يفعل أحد بأحد خيرا قط ، فقال الثالث : ما فى الأرض أفضل منكما ، أنا ما أشتيت أن يفعل بى أحد خيرا قط .



ومما قيل من الشعر فى تفضيل المحسود ومدحه ، وهجاء الحاسد وذمه ، قال بعض الشعراء

إِن يَحْسُدُونِ فَإِنِ غَيْرَ لَأَتَمَّهُمْ * قَبْلَ مِنَ النَّاسِ أَهْلَ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ * وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَمًّا بِمَا يَحْسُدُ

وقال آخر ١٠

إِن الْغَرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مِشْيَةً * فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَحْوَالِ
حَسَدَ الْقَطَاةِ وَرَامَ يَمْشِيَ مِثْلَهَا * فَاصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ

وقال آخر

حَسَدُوا الْقَتْلَ إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ * فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ
كَفَضَائِرِ الْحَسَنَاءِ قُلْنَ لَوْجِيهَهَا * حَسَدًا وَبَقِيًّا إِنَّهُ لَدَمِيمُ

١٥

وقال البحتري

لَا تَحْسُدُوهُ فَضَّلَ رَبَّتَهُ الَّتِي * أُعِيَتْ عَلَيْكُمْ وَأَفْعَلُوا لِعِمَالِهِ

وقال السري الرفاء

نَالَتْ يَدَاهُ أَقَامِيَّ الْحَبِيدِ الَّذِي * بَسَطَ الْجَسُودَ إِلَيْهِ بِأَعَا ضَيْقَا

أَعَدُّهُ هَلْ لِلسَّمَاءِ بَحْرِيَّةٌ * فِي أَنْ دَنَوْتَ مِنَ الْحَمِيضِ وَحَلَقًا؟
 أَمْ هَلْ لِمَنْ مَلَأَ الْيَدَيْنِ مِنَ الْمَلَأِ * ذَنْبٌ إِذَا مَا كُنْتَ مِنْهَا مُمْلَقًا؟
 وقال أبو تمام الطائي

وإذا أراد الله نَشَرَ فضيلةٍ * يوما أُلْحَ لها لِسَانُ حَسودٍ
 لولا أَشْتَعال النارِ فيما جاورَتْ * ما كان يُعْرِفُ حَلِيبُ عَرَفُ العُودِ
 وقال البُحْتَرِيُّ

ولن يَسْتَيِّنَ النُّهْرَ مَوْضِعُ نِعْمَةٍ * إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ
 وقال محمد بن مُنَازِرٍ

يَا أَيُّهَا الْعَاجِي وَمَا بِي مِنْ * عَنَبٍ إِلَّا تَرْعَوِي وَتُرْدِجِي!
 ١٠ هَلْ لَكَ عِنْدِي وَتُرْفُطَلْبِي * أَمْ أَنْتِ مِمَّا أَتَيْتِ مُعْتَذِرِي؟
 إِنْ يَكُ قِسْمُ الْإِلَهِ فَضَّلَنِي * وَأَنْتِ صَلَدٌ مَا فَيْكَ مُعْتَصِرُ
 فَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالنَّهْءُ لَهُ * وَلِلْحَسودِ التُّرَابُ وَالْمَجْرُ
 مَاذَا الَّذِي يَحْتَنِي جَلِيسُكَ أَوْ * يَبْدُو لَهُ مِنْكَ حِينَ يَحْتَبِرُ
 إِقْرَأْ لَنَا سُورَةَ تُدَكِّرُنَا * فَإِنْ خَيْرَ الْمَوَاعِظِ السُّورُ
 ١٥ أَوْ صِفْ لَنَا الْحُكْمَ فِي فَرَاغِنَا * مَا تَسْتَحِقُّ الْأُنْثَى أَوْ الذَّكْرُ
 أَوْ آرِوِ فَقَهَا تَرَوِي الْقُلُوبَ بِهِ * جَاءَ بِهِ عَنِ نَيْتِنَا الْأَثَرُ
 أَوْ مِنْ أَحَادِيثِ جَاهِلِيَّتِنَا * فَإِنَّهَا حِكْمَةٌ وَمُفْتَحَرُ
 أَوْ آرِوِ عَنِ فَارِيسٍ لَنَا مَثَلًا * فَإِنَّ أَمْثَالَهَا لَنَا عِبَرُ
 أَوْغَنَّ صَوْتًا تُسْجِي النُّفُوسَ بِهِ * وَذَنْبٌ مَا قَدْ أَتَيْتِ مُفْتَحَرُ
 ٢٠ فَإِنْ تَكُنْ قَدْ جَهِلْتَ ذَلِكَ وَذَا * فَبَيْتِكَ لِلنَّاطِرِينَ مُعْتَبَرُ

ذكر ما قيل في السعاية والبغى والغيبة والنميمة

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) . وقال تعالى : (ثُمَّ بُعِيَ عَلَيْهِ لِبَنَصْرَتِهِ اللَّهُ) . وقال تعالى : (هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَاجٍ لِّتَغْيِيرِ مُعْتَدٍ آيِيمٍ عُلَّ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٌ) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرفعن إلينا عورة أخيه المؤمن » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يرفع القنات راحة الجنة » . وفي لفظ « لا يدخل الجنة قنات » ، والقنات : النمام .

قال بعض الشعراء

فلا تسعى على أحد يبغي * فإن البغى مصرعه وخيم

وقال المتأخر

بغيت فلم تقع إلا صريحا * كذاك البغى مصرع كل باغي

١٠

وسأل رجل عبد الملك بن مروان الخلو، فقال لأصحابه : إذا شتمتم ، قاموا ، فلما تبيا الرجل للكلام ، قال له : إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسى منك ، أو تكذبني ، فإنه لا رأى للكذب ، أو تسعى إلى باحد ، وإن شئت أقتلك ، قال : أقتلى .

قال : ولما ولي عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك دمشق ، ولم يكن في بني أمية ألب منه في حدائته منه ، قال أهل دمشق : هذا غلام شاب ، ولا علم له بالأمور ، وسيسمع منا ، فقام إليه رجل ، فقال : أصلى الله الأمير ، عندي نصيحة ، فقال له : يا ليت شعري ، ما هذه النصيحة التي أبتدأني بها من غير يد سبقت مني إليك ؟ فقال : جارلى طاص ، متخلف عن ثفره ، فقال له : ما آفقت الله ، ولا أكرمت أميرك ، ولا حفظت جوارك ، إن شئت ، نظرنا فيما تقول ، فإن كنت صادقا ،

١٥

- لم ينفعك ذلك عندنا ، وإن كنت كاذبا ، عاقبناك ، وإن شئت ، أقتلاك ، قال :
أقلى ، قال : أنعب حيث شئت ، لا يحبك الله ، ثم قال : يا أهل دمشق ، ما أعظمت
ما جاء به الفاسق ، إن السعاية أحسب منه حجة ، ولولا أنه لا ينبغي للوالى أن
يعاقب ، قبل أن يُعاتب ، كان لى فيه رأى ، فلا يأتى أحد منكم بسعاية على أحد ،
فإن الصادق فيها فاسق ، والكاذب بهأت . وسعى رجل رجل إلى عمر بن عبد العزيز
رضى الله عنه ، فقال : إن شئت نظرنا فى أمرك ، فإن كنت كاذبا ، فانت من هذه
الآية : (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ) وإن كنت صادقا ، فانت من هذه الآية : (هَمَّازٍ
مَشَاءٍ نَمِيمٍ) وإن شئت عفونا عنك ، قال : العفو لى أمير المؤمنين ، قال : على أن
لا تعود .

- ١٠ وكتب محمد بن خالد إلى ابن الزيات : إن قوما صاروا إلى متتصحين ، فذكروا
أن رؤسوما للسلطان قد عفت ودرست ، وأنه توقف عن كشفها إلى أن يعرف
موقع رأيه فيها ، فوقع على رفته : قرأت هذه الرقعة المذمومة ، وسوق السعاة
مكيد عندنا ، وألسنتهم تكل فى أيامنا ، فاحمل الناس على قانونك ، وخذهم بما
فى ديوانك ، فلم ترد لناحية لكشف الرسوم العافية ، ولا لتخفى الأعلام الدائرة .
وجتنبى ومحجب قول جرير

١٥

وكنت إذا حلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

قالوا : وكان الفضل بن يحيى يكره السعاة ، فإذا أتاه ساع ، قال له : إن صدقتنا ،
أبفضناك ، وإن كذبتنا ، عاقبناك . وإن استفتنا ، أقتلاك .

وحكى صاحب المقد قال : قال العتي ، حدثنى أبى عن سعيد القصرى .

- ٢٠ قال . نظر إلى عمرو ابن عتبة ورجل يشتم بين يدى رجلا ، فقال لى : ويلك ،

وما قال لي ويلك قبلها : نزه سمعك عن استماع الخلفاء ، كما تُنزه لسانك عن الكلام به ، فإن السامع شريك القائل ، وإنه عمد إلى شر ما في وعائه ، فأفرغه في وعائك ، ولو رُدَّت كلمة جاهل في فيه ، لَسَعَدَ رَأْدُهَا ، كما شَقِيَ قَائِلُهَا ، وقد جملهُ الله تعالى شريك القائل ، فقال : (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلسُّخْتِ) .



ومما قيل في الغيبة والمجيئة ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا قلت في الرجل ما فيه فقد آغبتَه وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهتَه » .
اغتاب رجل رجلا عند قُتَيْبَةَ بن مسلم ، فقال له : أُمِيتَ عليه أيُّها الرجلُ ، والله لقد تاملتُ بِمُضْغَةٍ طالما لفظتها الكرام .

وذكر في مجلسه رجل ، فقال منه بعض جلسائه ، فقال له : يا هذا أوحشتنا من نفسك ، وإياستنا من مودتك ، ودللتنا على عورتك .

وأغتاب رجل عند بعض الأشراف ، فقال له : قد استدلتُ على كثرة عيوبك ، بما تُذكر من عيب الناس ، لأن الطالب للعيوب ، إنما يطلبها بقدر ما فيه منها ، أما سمعت قول الشاعر

لَا تَهْتِكُنْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَاسَرَّتُوا ۖ فَيَهْتِكُ اللَّهُ مَسَرَّتَا مِنْ مَسَاوِيكَ
وَأَذْكُرُ عَمَّاسَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِّرُوا ۖ وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ

وقال ابن عباس رضي الله عنهما
أَذْكُرُ أَخَاكَ إِذَا غَابَ عَنْكَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ ، وَدَعْ مِنْهُ مَا تُحِبُّ أَنْ يَدَعَ مِنْكَ .

وقال بعض الملوك لولده وهو وليّ عهده : يَا بُنَيَّ لَيْكُنْ أَبْعَضَ رَعِيَّتِكَ إِلَيْكَ ،
 أَشَدَّهُمْ كَشْفًا لِمَا بِيَدِ النَّاسِ عِنْدَكَ ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَعَايِبَ وَأَنْتَ أَحَقُّ بِسِتْرِهَا ،
 وَإِنَّمَا نَحْكُمُ فِيهَا ظَهْرَ لَكَ ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ فِيهَا غَايِبَ عَنْكَ ، وَأَكْرَهُ لِلنَّاسِ مَا تَكْرَهُهُ
 لِنَفْسِكَ ، وَأَسْتُرُ الْعَوْرَةَ . يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، مَا يُحِبُّ سِتْرَهُ ، وَلَا تَعْجَلْ إِلَى تَصْدِيقِ
 سَاعٍ ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاثٌ ، وَإِنْ قَالَ قَوْلٌ نَصِيحٌ .

وَوَشَّى وَاشٍ بِرَجُلٍ إِلَى الْإِسْكَندَرِ فَقَالَ لَهُ : أَتُحِبُّ أَنْ يَقْبَلَ مِنْكَ مَا قَلَّتْ فِيهِ ،
 عَلَى أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُ مَا يَقُولُ فِيكَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَكُفَّ عَنِ الشَّرِّ ، نَكَفَّ عَنْكَ .
 وقال ذو الرِّيَاسَتَيْنِ : قَبُولُ النِّيمَةِ ، شَرٌّ مِنَ النِّيمَةِ ، لِأَنَّ النِّيمَةَ دَلَالَةٌ ،
 وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مِنْ دَلٍّ عَلَى شَيْءٍ ، كَمَنْ قَبِلَهُ وَأَجَازَهُ .

قال أبو الأسود الدؤليّ .

لَا تَقْبَلْ نِيْمَةً بُلْعْتَهَا • وَنَحْفَظَنَّ مِنَ الَّذِي أَنْبَأَكُمَا
 إِنْ الَّذِي أَهْدَى إِلَيْكَ نِيْمَةً • سَيَنْتُمُّ عَنْكَ بِمَثَلِهَا قَدْ حَاكَمَا

وقال رجل لعمرو بن عُيَيْدٍ : إِنْ الْأَسَاوِيرِيّ لَمْ يَذْكُرْكَ ، وَيَقُولُ : الضَّالِّ ،
 فَقَالَ عَمْرُو : يَا هَذَا ! وَاتَّقِ مَا رَاعَيْتَ حَقَّ مَجَالِسَتِهِ ، حَتَّى تَقْلَتَ إِلَيْنَا حَدِيثَهُ ، وَلَا
 رَاعَيْتَ حَقَّ ، حِينَ أَبْلَغْتَنِي عَنْ أُنْحَى مَا أَكْرَهُهُ ، أَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ يَمْتَنَا ، وَالْبَعْثَ
 يَحْتَشِرُنَا ، وَالْقِيَامَةَ تَجْمَعُنَا ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَنَا .

وقال معاوية للأحنف في شيء بلغه عنه ، فَأَنْكَرَهُ الْأَحْنَفُ : بَلَّغْنِي عَنْكَ الثِّقَةَ ،
 فَقَالَ الْأَحْنَفُ : إِنْ الثِّقَةَ لَا يُبَلِّغُ .

قال بعض الشعراء

لعمرك ما سب الأمير عدوه * ولكنها سب الأمير المبلع

وقال ابن المعتز : الساعي كاذب لمن سعى إليه، خائن لمن سعى عليه .

وقالوا : النمام، شر من الساحر، فإن النمام، يُفسد في الساعة الواحدة، ما لا يفسده الساحر في المدة الطويلة .

وقالوا : الفخيمة، من الخلل الذميمة، تدلُّ على نفس سقيمة، وطبيعة ليثيمة، مشفوفة بهتك الأستار، وإفشاء الأسرار .

وقال بعض الحكماء : الأشرار يتبعون مساوي الناس، ويتركون محاسنهم، كما يتبع الذباب المواضع الآلئة من الجسد، ويترك الصحيحة .

وقالوا : لم يَمْشِ ماش، شر من واش . والساعي بالفخيمة، كشاهد الزور، يهلك نفسه، ومن سعى به، ومن سعى إليه .

وقالوا : حَبْكُ مَنْ شَرَّ سَمَاعِهِ . وقد لمحج الشعراء بضم النمام، وجعلوه من أهاجيم .

قال بعض الشعراء

من تمَّ في الناس لم تُؤْمَنْ عقاربُه * على الصديق ولم تُؤْمَنْ أفاعيله

كالسبل بالليل لا يدري به أحد * من أين جاء ولا من أين يأتيه

وقال الميرى الرقاه

أتم بما أستودعته من رُجاجة * ترى الشيء فيها ظاهرا وهو باطن

وقال محمد بن شرف

وناصب نحو أفواه الوري أذنا * كالتغيب يقطع فيها كل ما سقطا
يقل يقطع الأخبار مجتهدا * حتى إذا ما وعاما زق ما لقطا

وقال ابن وكيع

يتم بسر مسترعيه لؤما * كما تم الظلام بسر نار
أنم من النصول على ميثب * ومن صافي الرجاح على عقار

وقال الحسن البصري: لا غيبة في ثلاثة: فاسق مجاهر، وإمام جائر، وصاحب بدعة .

وكتب الكسائي إلى الرقائي

تركت المسجد الجامع والترك له ريبه
وأخبارك تأتينا * على الأعلام منصوبة
فإن زدت من الغيبة زدناك من الغيبة

ذكر ما قيل في البخل واللوم

والبخل منع الحقوق وإليه الإشارة بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
فَتُكَوَّى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَتَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ) . وقال تعالى : (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَتَّخِلُونَ مِمَّا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ
خَيْرًا لِمَنْ بَلَّ هُوَ شَرُّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خَلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ : الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ » .

وقال بعض السلف : منع الجود، سوء ظن بالمعبود، وتلا (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)

• وروى أبو بكر الخطيب في كتاب البخلاء، بإسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال : « لما خلق الله تعالى جَنَّةَ عَدْنٍ ، قال لها : تَرِجِي فَتَرِينْتِ ، ثم قال لها : أَظْهَرِي أَنهَارَكَ ، فأظهرت عَيْنَ السلسبيل ، وعين الكافور ، وعين التسليم ، ونهر النسر ، ونهر العسل ، ونهر اللبن ، ثم قال لها : أَظْهَرِي حُوزَكَ ، وحُلَّكَ ، وسررك وحجالك ، ثم قال لها : تَكَلِّبِي ، فقالت : طُوبَى لِمَنْ دَخَلَنِي ، فقال الله عز وجل : أَنْتِ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ بَخِيلٍ » .

وقال سُقْرَاطُ : الأغنياءُ البخلاءُ ، بمنزلة البقال والحجير ، يحمل الذهب والفضة ، وتمتلف الثَّيْبَ والشَّعِيرَ .

وقالوا : البخلُ من سوء الظن ، وتحول الهمة ، وضعف الروية ، وسوء الاختيار ، والزُّهْدُ في الخيرات .

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : البخل جامع للأسوأ والعيوب ، وقاطع للودقات من القلوب .

وقالوا : حدُّ البخل ، منع المسترِفد مع القدرة على رِفْده .

وكان أبو حنيفة لا يقبل شهادة البخل ، ويقول محباً لذلك : إن البخل يحمله بخله ، على أن يأخذ فوق حقه ، مخافة أن يُنْفَنَ ، ومن كان هكذا لا يكون مأمونا .

وقال بشر بن الحارث الحافي : لا غيبة لبخيل ، ولشروطي سني أحب إلى من عابد بخيل .

وقالوا : البخيل لا يستحق اسم الحرية ، فإن ماله يملكه .

ويقال : لا مال للبخيل ، وإنما هو لماله .

- وقال الحسن البصري : لم أر أشقى بماله من البخيل ؛ لأنه في الدنيا يهتم بجمعه ، وفي الآخرة يحاسب على منعه ، غير آمن في الدنيا من همه ، ولا ناج في الآخرة من إثمهم ، يعيش في الدنيا يعيش الفقراء ، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء . ودخل رحمه الله على عبد الله بن الأهمم يموده في مرضه ، فرآه يصعد بصره ويصوبه إلى صندوق في بيته ، ثم ألفت إليه ، فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول في مائة ألف دينار في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل بها ربحاً ؟ فقال له : نكثك أمك ! ولم كنت بجمعها ؟ قال لزوجة الزمان ، وجفوة السلطان . وتكاثر المشيمة ، ثم مات ، فشبهه الحسن . فلما فرغ من دفنه ، ضرب بيده على القبر ، ثم قال : انظروا إلى هذا ، أتاه شيطانه بخوفه روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ، بما أستودعه الله إياه ، وعمره فيه . انظروا إليه كيف خرج مذموماً مدحوراً ! ثم ألفت إلى وارثه ، فقال : أيها الوارث لأتخذن كما خدع صوبيحك بالأمس ، أذاك هذا المال حلالاً . فلا يكون عليك وبالا ، أذاك عفوا صفوا ، ممن كان له جموعاً متنوعاً ، من باطل جمعه ، ومن حق منعه ، قطع فيه بلج البحار ، ومفاوز التفقار ، ولم تكسح لك فيه صير ولم يترق لك فيه جبين ، إن يوم القيامة يوم ذو حسرات ، وإن من أعظم الحسرات غداً ، أن ترى مالك في ميزان غيرك ، فيالها حسرة لا تُحال ، وتوبة لا تُنال .
- ١٠

ومن أخبار البغلاء : قيل : بخلاء العرب أربعة، الحطيئة، ومجيد الأرقط، وأبو الأسود الدؤلي، وخالد بن صفوان، وقيل عنهم أمور دلت على بخلهم .

أما الحطيئة : فقد حكى عنه : أنه مرّ به ابن الحمامة، وهو جالس بفناء بيته، فقال له : السلام عليكم، فقال : قلت ما لا يُنكر، فقال : إني خرجتُ من أهلي بغير زاد، قال : ما صنعتُ لأهلك قَرارك، قال : أفتأذن لي أن آتي بظل بيتك فأنقيا به ؟ قال : دونك الجبل يعني عليك، قال أنا ابن الحمامة، قال : أنصرف وكن ابن أي طائر شئت . قال : وأعرضه رجل وهو يرعى غنما، فقال له : ياراعي الغنم، وكان بيد الحطيئة عصا فرفضها، وقال : تجراء من سلم، فقال الرجل : إنما أنا ضيف، فقال : للضياف أعدتها . وكان الحطيئة أحد الحمقى، أوصى عند موته ، أن يُحتمل على حمار، وقال : لعلّ إن حملت عليه ، لا أموت، فإني ما رأيت كريما مات عليه قط . وقال : لكلّ جديد لذة . إلا جديد الموت ، فإني رأيت غير لذيذ . وقيل له : أوص ، فقال : أوصي أن مالى للذكور دون الإناث، قالوا : فإن الله ليس يقول كذلك، قال : لكني أقوله . وقالوا له : قل لا إله الا الله، فقال : أشهد أن الشياخ أشمر غطفان .

ومن أخباره : أن الزبير بن بدر، لقيه في سفر، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا حسب موضوع، أنا أبو مليكة، فقال له الزبير بن بدر : إني أريد وجهها، فصر إلى منزلي، وكن هناك، حتى أرجع ، فصار الحطيئة إلى امرأة الزبير بن بدر، فأنزلته وأكرمته، فحسد بنو عمه، وهم بنو لؤي، فقالوا للحطيئة : إن تحولت إلينا، أعطيناك مائة ناقة ، ونشدت إلى كلّ طئب من أطناب بيتك حلة تحويه ، وقالوا

لامرأة الزبرقان : إن الزبرقان إنما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته ، فقدح ذلك في نفسها ، فلما أراد القوم النجعة ، تخلف الحطيئة ، فضاقت عنه امرأة الزبرقان ، فاحتلمه القرييون ووقوا له بما قالوا ، فدحهم ، وهما الزبرقان ، فقال

أزمتُ يأساً ميبئاً من نوالكم * ولا يرى طارداً لمحر كالإيس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * وأقعد فإنك أنت الطائم الكاسي

من يفعل الخير لا يقدّم جواريه * لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستمدى الزبرقان عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحكّم عمر ، حسان ابن ثابت ، فقال حسان : ما هجاه ولكن سلح عليه ، فحبس عمر الحطيئة ، فقال يستعطفه

١٠ ما ذا تقول لأفراخ يذى مريخ * ثم الحواصل لا ماء ولا تجبر ؟

أقيت كاسبهم في قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله يا عمر

ما آثروك بها إذ قدموك لها * لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

فأنزجه عمر ، وجلس على كرسى ، وأخذ بيده شفرة ، وأوهم أنه يريد قطع لسانه ،

فضج ، وقال : إني والله يا أمير المؤمنين ! قد هجوت أبى وأُمى وأمرأتى ونفسى ،

١٥ فحبس عمر ، ثم قال : ما الذى قلت ؟ قال : قلت لأبى وأُمى

ولقد رأيتك فى النساء فسوتنى * وأبأ بينك فساءنى فى المجلس

وقلت لأبى خاصة

فبئس الشيخ أنت لدى تميم * وبئس الشيخ أنت لدى المعالي

وقلت لأخي خاصة

تَحَيَّ وَأَجْلِسْ مَنِّي بِعِيدَا * أَرَاهُ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالِيْنَا ؟
أَغْرِبَالَا إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرًّا * وَكَأَنُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا ؟

وقلت لأمرأت

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ ثُمَّ آتَى * إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لِنِكَاحِ

وقلت لنفسى

أَبْتُ شِفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمًا * بِسَوْءِ مَا أَدْرَى لِمَنْ أَنَا قَائِلَةٌ
أَرَى لِي وَجْهًا شَوَّهَ اللَّهُ خَلْقَهُ * فَتَقَبَّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَقُبَّحَ حَاسِلَتُهُ

نُفِخَ عَمْرٍ سَبِيلُهُ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَهْجُو أَحَدًا ، وَجَعَلَ لَهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ اشْتَرَى
بِهَا مِنْهُ أَعْرَاضَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ يَذْكُرُ نَهْيَهُ إِيَّاهُ عَنِ الْمَجَاءِ وَيَتَأَسَفُ ١٠

وَأَخَذَتْ أَطْرَافَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَدَعْ * شَيْئًا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ
وَمَنْعَتْنِي عِرَاضُ الْبَخِيلِ فَلَمْ يَخَفْ * شَيْئًا وَأَصْبَحَ آمِنًا لَا يَخْزَعُ

وَأَمَّا حَمِيدُ الْأَرْقَطِ : فَكَانَ هَجَاءً لِلضَّيْفِ ، فَخَاشَا عَلَيْهِ ، فَتَزَلَّ بِهِ ضَيْفُ ذَاتِ
لَيْلَةٍ ، فَقَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : تَزِلُّ بِكَ الْبَلَاءُ ، قَوْمِي فَأَعِدِّي لَنَا شَيْئًا ، فَفَعَلْتُ ، فَجَعَلَ
الضَّيْفُ يَا كُلُّ وَيَقُولُ : مَا فَعَلَ الْمَجَاجُ بِالنَّاسِ ؟ فَلَمَّا فَرَّغَ ، قَالَ مُحْمِدُ ١٥

يُمِزُّ عَلَى الْأَطْنَابِ مِنْ جَذْلِ بَيْتِنَا * هَيْفَ لِمُخْزَوْبِ التَّحِيَّةِ بِإِذْلِ
يَقُولُ وَقَدْ أَلْقَى الْمَرَامِي لِلْقَرَى * أَرِنِي مَا الْمَجَاجُ بِالنَّاسِ فَاعِلُ ؟
فَقُلْتُ : لَقَمَرِي مَا لِهَذَا أَتَيْتُنَا * فَكُلُّ وَدِعِ الْأَخْبَارَ مَا أَنْتَ آكِلُ

تَدَبَّرْ كِفَاهُ وَيَعْدُرْ حَقُّهُ * إِلَى الصَّدْرِ مَا حَازَتْ عَلَيْهِ الْأَتَانِلُ
أَنَا وَلَمْ يَصِدِّ لَهُ تَعْبَانُ وَأَنْبِلُ * بَيَانًا وَعَلَى الَّذِي هُوَ قَائِلُ
فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّتَمُ حَتَّى كَانَهُ * مِنْ الْعِيْلِ مَا أَنْ تَكَلَّمَ بِأَقْلُ

ونزل به أضياف ، فأطعمهم تمرًا وهجاء ، وأدعى عليهم أنهم يأكلونه بنواه ، فقال
باتوا وَجُلُّتْنَا الصَّبَاءُ حَوْلَهُمْ * كَأَن أَظْفَارَهُمْ فِيهَا السَّكَاكِينُ
فأصبحوا والنوى مُلْقَى مُعَرِّسِهِمْ * وَلَيْسَ كُلُّ النَّوَى أَلْفَى الْمَسَاكِينُ

وأما خالد بن صفوان : فكان إذا أخذ جائزته ، قال للدرهم : طامأ سرت
في البلاد ، أما والله لأطيلن حبسك ، ولأدينن لبتك . وقيل له : مالك لا تشفق ،
فإن مالك عريض ؟ فقال : الدهر أعرس منه ، قيل : كأنك تؤمل أن تعيش
الدهر كله ، قال : ولا أخاف أن أموت في أوله .

وأما أبو الأسود الدؤلي : فعمل دكانا عاليا يجلس عليه . فكان ربما أكل
عليه فلا يناله المجتاز ، فتر به أعرابي على جبل ، فعرض عليه أن يأكل معه ، وطلب
أنه لا يناله . فأناخ الأعرابي بغيره ، حتى وازى الدكان ، وأكل معه . فما جلس
بعد ذلك على الدكان ، وكان يقول : لو أطمعنا المساكين في أموالنا ، كنا أسوأ حالا
منهم . وقال لبيه : لا تطعموا المساكين في أموالكم ، فإنهم لا يقتنون منكم ، حتى
يروكم في مثل حالهم . ووقف عليه أعرابي وهو يتفقدى ، فسلم عليه ، فردَّ عليه ، ثم
أقبل على الأكل ، ولم يعرض عليه . فقال الأعرابي : أما إنني قد مررت بأهلك ،
قال : كان ذلك طريقك ، قال : وهم صالحون ، قال : كذلك فارقتهم ، قال :

وأمر أئكَ حُبلى، قال : كذلك كان عهدى بها، قال : ولدت، قال : ما كان بدُّها
أن تلِدَ، قال : ولدت غلامين، قال : كذلك كانت أمُّها، قال : مات أحدهما،
قال : ما كانت تقوى على رضاع اثنين، قال : ثم مات الآخر، قال : ما كانت
ليبقى بعد أخيه، قال : ومات الأمُّ، قال : جرَّفاً على ولديها، قال : ما أطيب
طعامك ! قال : ذلك جزائى على أهله، قال : أف لك ما الأَمَك ! قال : من شاء
سبَّ صاحبه .

ونظير هذه الحكاية : ما حكي أن أعرابياً مرَّ بآخر، فقال : من أين أقبلت
يا بن عم ؟ قال : من الثَّيَّة، قال : فهل أتيتنا منها بخبر ؟ قال : سل عما بدأ لك،
قال : كيف علمك بيحيى ؟ قال : أحسن العلم، قال : هل لك علم بكلِّ نفاع ؟
قال : حارس الحى، قال : فبأَم عثمان ؟ قال : نَحْ نَحْ، ومن مثل أم عثمان ! لا تدخل
من الباب إلا متحرقة بالثياب الممصفرات، قال : فبعثمان ؟ قال : وأبيك فإنه
جرَّو الأسد ويلعب مع الصبيان، ويده الكسرة، قال : فيجعلنا السقاء ؟ قال :
إن سنامه ليخرج من الفيض، قال فبالدار ؟ قال : وأبيك، إنها لخصيبة الجناب،
عاصرة الفناء، ثم قام عنه، وقعد ناحية يأكل فلا يدعوه، فتركب، فصاح به،
وقال : يا بن عم، أين هذا الكلب من نفاع ؟ قال : يا أسفاً على نفاع ! مات، قال :
وما أماته ؟ قال : أكل من لحم الجمل السقاء، فاختصَّ بعظم منه فمات، قال :
إنا لله، أو قد مات الجمل ! فما أماته ؟ قال : عثر بقيرام عثمان، فانكسرت رجله،
قال : ويهلك ! أمات أم عثمان ؟ قال : إى والله، أماتها الأسف على عثمان، قال :
ويلك ! أمات عثمان ؟ قال : إى وعهد الله ! سقطت الدار عليه، فرمى الأعرابي

(٩٣)

بطعامه وشربه وأقبل يتنفح لحيته ويقول : إلى أين أذهب ؟ فيقول الآخر إلى النار ، وأقبل
ينقطع الطعام ويأكله ويهزأ به ويضحك ، ويقول : لا أرغم الله إلا أنف اللثام .

وكان أُحَيْصَةُ بْنُ الْجُلَّاحِ مِنَ الْبُخْلَاءِ ، وكان إذا هَبَّتِ الصَّبَا ، طلع أطمّة ، ينظر
إلى ناحية هبوبها ثم يقول : هُبِّي هُبُوبَكَ ، فقد أعددت لك ثَلَاثًا وستين صاعًا من
تَجْوَةِ ، أدفع إلى الوليد منها ، خمس ثمرات ، فیرد علیّ منها ثلاثًا ، أى لصلاتها بعد
جهد ما يَلُوكُ منها .

والعرب تضرب المثل في اللؤم بِمَآدِرٍ ، تقول : هو الأَمُّ من مَآدِرٍ ، ويَزْعُمُونَ أنه
بنو حوضا وسقى إبله ، فلما أصدرها سَلَعَ في الحوض ، لثلا يَسْقِي فَيُرِيهِ فِيهِ .

وكان عُمَرُ بْنُ يَزِيدِ الْأَسَدِيُّ مَبْخَلًا جَدًّا ، فأصابه الْقَوْلُجُ ففقهه الطبيب بِدُخْنِ
كثير ، فاعمل ما في بطنه ، فلما أبرزه ، قال للفلام : ما تصنع به ؟ قال أَصَبُهُ ، قال :
لا ولكن مِيزَ الدَّهْنُ مِنْهُ وَأَسْتَصْبِغْ بِهِ .

وقال سلم بن أبي المعافى : كان أبي متحيا عن المدينة ، وكان إلى جنبه مزرعة فيها
قَتَاءٌ ، وكنت صبيًا يلغاني صبيان أقران لي ، فكلمت أبي ليهب لي درهما أشتري
لهم به قَتَاءً ، فقال لي : أتعرف حال الدرهم ؟ كان في حجر في جبل ، فضرب بالمعاول ،
حتى أَسْتُخْرِجُ ، ثم طَحِنَ ، ثم أدخل القِدْرَ وَصَبَ عليه الماء . وجمع بالزُّبْقِ ، ثم
صَقَّى من رَقَى ، ثم أدخل النار فُسِكَ ، ثم أخرج فضرب ، وكُتِبَ في أحد شقيه :
لا إله إلا الله ، وفي الآخر : محمد رسول الله ، ثم حُمِلَ إلى أمير المؤمنين . فأمر بإدخاله
بيت ماله ، وَوَكَّلَ به عُوْجُ الْقَلَانِسِ صُهَبَ السَّبَالِ ، ثم وهبه بخارية حسنة جميلة ،
وأنت والله أفجع من قيرد ، أو رَزَقَهُ رجلا شجاعا وأنت والله أجبن من مُرَدٍّ ، فهل يلغني

لك أن تَمَسَّ الدرهم إلا يثوب؟ ومثله قول سهل بن هارون، وقد قال له رجل :
هبنى ما لَا مَرَزِيَّةَ عليك فيه، قال: وما ذاك؟ قال : درهمها واحدا، قال : يابن أنى
لقد هَوَّنَ الدرهم، وهو طابح الله في أرضه، والدرهم ويحك عَشْرُ العشرة، والعشرة
عشر المائة، والمائة عشر الألف، والألف عشر دِيَّةَ المُسْلِم، ألا ترى يابن أنى
كيف آتَى الدرهم الذى هَوَّنَته؟ وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم؟

وقال سليمان بن مُزَاحِم، وقد وقع بيده درهم، فجعل يقلِّبه، ويقول: فى شِقِّ،
لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفى شِقِّ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، ما يَبْنِي لهذا إلا أن يَكُون
تَعْوِيذًا أَوْ رُقِيَّةً، ويرى به فى الصندوق.

كان بعضهم إذا صار الدرهم فى يده يخاطبه ويقول : أبى وأمى أنت، كم من
أَرْضٍ قَطَعْتَ، وكيس نَرَقْتَ، وكم من خامل رَفَعْتَ، ومن رَفِيعٍ أَهْلَمْتَ، لك
عندى أن لا تَقْرَى ولا تَقْصَحَى، ثم يلقيه فى كيسه، فيقول : أَسْكُنْ عَلَى أَسْمِ اللَّهِ،
فى مكان لا تُرَوِّلْ عنه، ولا تَزِجْ منه.

ومن البخلاء "مُرَيْدٌ" وله حكايةٌ نَذَرَهَا، قيل : كان بالمدينة جارية جميلة
مُغْنِيَّةٌ، يقال لها : "بَصْبُصُ" وكانت الأشراف يجتمع عند مولاهما، فاجتمع يوما
عنده محمد بن عيسى الجعْفَرى وعبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيْرى فى جماعة من الأشراف،
فتذاكروا أمر مزبد وبخله، فقالت البخارية : أنا آخذ لكم منه درهما، فقال لها
مولاهما : أنت حرة إن فعلتِ إن لم أشتريك مخضعة بمائة دينار وثوب وشى
بمائة دينار، وأجعل لك مجلسا بالمعيقِ أُنْحَرِفُ فيه بَدَنَةً، فقالت : جئ به، وأرفع
الْقِرَّةَ، حتى أهول، فقال : أنت حرة إن منعك منه، ولا أعوينه عليك، إن جُضِلَتْ.

منه الدرهم ، فقال عبد الله بن مُصعب : أنا آتيكم به ، قال عبد الله : فصليتُ
 الفداء في المسجد ، فإذا أنا به قد أقبل ، فقلت : يا أبا إسحاق ، إنا نحب أن نرى
 بصيص ؟ قال : بل والله ، وأمراته طالق إن لم تكن له سنة يشتهي أن
 يلقاها ، فقلت له : إذا صليتَ العصر ، فاتى ها هنا ، فقال : أمراته طالق إن
 برح من ها هنا الى العصر ، قال فانصرف في حوائجي ، فلما كان العصر جئتُ
 فوجدته ، فاخذتُ بيده ، وأتيتهم به ، فأكل القوم وشربوا حتى صليتَ العتمة ،
 ثم تساكروا وتاموا ، فأقبلتُ بصيص على مُزبد ، فقالت له : يا أبا إسحاق كأني
 والله في نفسك تشتهي أن أُغنيك الساعة

لقد حثوا الرجال ليُسرُّوا مِنَّا فلم يثُلوا

فقال لها : أمراته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ ، ففتته إياه ،
 ثم قالت له : كأني بك تشتهي أن أقوم من مجلسي فأجلس إلى جنبك فتدخل يدك
 في جِلْبَابِي ، فقال : أمراته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام ، وما تحسب
 الأنفسُ غداً قالت : قم ، فقام وجلس إلى جانبها وغنت له ، ثم قالت : أعلم
 أنك تشتهي أن أُغنيك

أنا أبصرتُ بالليل = غلاماً حسنَ الدلِّ
 كغصن البان قد أصبح مسقياً من العلل

فقال لها : أمراته طالق أن لم تكوني نيةً مُرسلةً ، ففتته وقبلها ، ثم قالت : يا أبا
 إسحاق ، هل رأيتَ قط أنذل من هؤلاء ؟ يدعوني ويدعونك ، ويخرجوني إليك
 ولا يشترُون ثُقلاً ولا ربحاناً ، كأني بك وفي جيبيك درهم وأنت تهول : الساعة أنريه .

وأعطيا إياه، وتشتري به ما تريد، فقام من جنبها وقال : أخطأت أستك الحفرة، وأقطع عنك الوحى ، ووثب وجلس ناحية ، فأتبه القوم وعطموها^(١) عليها وعلموا أن حيلتها لم تنجح ، وخرج من عندهم ولم يعد إليهم .

وقال بعضهم : بث عند رجل من أهل الكوفة من الموسرين ، وله صبيان نيام ، فرأيت في الليل يقوم فيقلبهم من جنب الى جنب ، فلما أصبحنا سأله عن ذلك ، فقال : هؤلاء الصبيان يأكلون وينامون على اليسار ، فيمريهم الطعام ، ويصبحون جوعا ، فانا أقلبهم من اليسار الى اليمين لئلا ينهضم ما أكلوه سريرا .

وكان زياد بن عبد الله الحارثي واليا على المدينة ، وكان فيه بخل وجفاء ، فاهدى اليه كاتب له سلافا فيها أطعمة ، وقد تنوق فيها فواقته وقد نفدى ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : غداء بعثه فلان الكاتب ، فغضب ، وقال : يبعث أحدهم الشيء في غير وقته ، يا خيثم بن مالك ! يريد صاحب شرطته ، أدع لى أهل الصفة يأكلون هذا ، فبعث خيثم الحرس يدعونهم ، فقال الرسول الذى جاء بالسلا : أ صلح الله الأمير ، لو أمرت بهذه السلا تفتح ويُنظر ما فيها ، قال : آكشفوها فاذا طعام حسن من دجاج وفراخ وجداء وسمك وأخيصة وسلواء فقال : أرفضوا هذه السلا ، وجاء أهل الصفة ، فأخبر بهم ، فأمر بإحضارهم وقال : يا خيثم ! أضر بهم عشرة أسواط ، فإنه بلغنى أنهم يفسون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن الخلفاء من يُنسب الى البخل ، فمنهم عبد الملك بن مروان كان يلقب برقع الحجر ولبن الطير لبعله .

(١) النقط : نايح الأصوات واختلاطها أو حكاية صوت الجبان اذا قالوا : عيط عيط وذلك اذا غلبوا قوما .

ومنها هشام أبنة وكان ينظر في بيع الهدايا التي تُهدى إليه . حُكي عنه أن أعرابياً أكل عنده فرفع اللقمة الى فيه ، فقال له هشام : في لقمته شجرة بأعرابي ، فقال : وإنك تلاحظني ملاحظة من يرى الشجرة ، والله لا أكلتُ عندك أبداً ، ثم قام وأنصرف .

- ومنها أبو جعفر المنصور كان يلقب بأبي الدوانيق ، لُقّب بذلك لأنه لما بنى مدينة بغداد كان يباشرها بنفسه ويحاسب الصنائع ، فيقول لهذا : أنت نمت القائلة ، ولهذا : لم تُبكر ، ولهذا : أنصرفت قبل أن تُكمل اليوم ، فيسقط لهذا داهما ، ولهذا داهين ، فلا يكاد يعطى لأحد أجرة كاملة ، وكان يقول : يزعمون أنّي بخيل ، وما أنا بخيل ، ولكن رأيت الناس عبيد المال ، فنعثهم عنه ، ليكونوا عبيداً لي . ويحكى عنه أنه قال لطباخه : لكم ثلاثة وعليكم آتشان ، لكم الروس والأكارع والجلود ، وعليكم الجبوب والتوابل . ومن حكاياته الدالة على بخله : أن صاحبه الربيع بن يونس قال له يوماً : يا أمير المؤمنين ، إن الشمرء ببابك وهم كثير . وقد طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم ، فقال : أخرج إليهم وسلم عليهم ، وقل لهم من مدحتنا منكم فلا يصف الأسد ، فإنما هو كلب من الكلاب ، ولا الحية ، فإنما هي دوية متنة تأكل التراب ، ولا الجبل فإنه حجر آسم ، ولا البحر ، فإنه عطن بطن يلب ، فمن ليس في شعره شيء من هذا فليدخل ، ومن كان في شعره شيء منه فليُنصرف ، فأبلغهم فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هرمة فقال : أنا له ياربيع فأدخلني عليه فأدخله ، فلما مثل بين يديه ، قال له : ياربيع قد علمت أنه لا يجيبك غيره فأنشده قصيدته التي منها

له لحظات في حَقَاقٍ سريره * إذا كَرَّما فيها عِقاب ونائل

- فَأَمَّ الذي أَمِنْتَ آمِنَةَ الردى * وَأَمَّ الذي خَوَّفْتَ بالثكل ثا كُل

فرغ له السَّتر وأقبل عليه وأصغى إليه، فلما فرغ من إنشاده أمر له بعشرة آلاف درهم وقال له : يا إبراهيم، لا تتلفها طمعا في تَبِيلِ مثلها متًا، فأكل وقت تصل إلينا، فقال إبراهيم : أهلك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة وعليها الجَهْدُ^(١). ودخل المؤمل بن أميل على المهديّ وكان بالرّى، وهو إذ ذاك ولي عهد أبيه المنصور، فامتدحه بأبيات يقول فيها

هو المهديُّ إلا أن فيه ٥ مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما ٥ أنا را يُسْكِلَانِ على البصير
فهذا في الضياء سراج عدل ٥ وهذا في الظلام سراج نور
ولكن فضل الرحمن هذا ٥ على ذا بالمنابر والسُّرير
وبعض الشهر يتنقى ذا، وهذا ٥ منير عند قصان الشهور

وجاء منها

فإن سبق الكبير فاهل سبقي ٥ له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغير مدى كبير ٥ فقد خلق الصغير من الكبير

⑤

فأعطاه عشرين ألف درهم، فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور وهو ببغداد، فكتب إلى المهديّ يلومه ويقول له : إنما كان ينبغي أن تعطى الشاعر إذا أقام ببابك سنة، أربعة آلاف درهم، وأمره أن يوجهه إليه، فطلب فلم يوجد، وتوجه إلى بغداد، فكتب إلى المنصور بذلك، فأمر بإرساله فُيسك، وقيل له أنت بغية أمير المؤمنين وطلبتَه، قال المؤمل : فكاد قلبي يخيلع خوفاً وقرعاً، ثم أخذ بيدي وأطلق بي إلى الربيع، فأدخلني على المنصور، وقال : يا أمير المؤمنين، هذا المؤمل

(١) الجهد : كاتب رسم استخراج المال وقبضه .

- أبن أميل قد ظفر به، فسلمت عليه، فرد على السلام، فسكن جاشي وأطمأن قلبي
وزال روعي، ثم قال لي: أتيت غلاماً غراً نخدعه فأخدع، قلت: يا أمير المؤمنين،
إنما أتيت ملكاً جواداً كريماً، فدحته فحملته أريحته على أن وصلني وبنى، فأعجبه
ذلك، ثم قال: أنشدني ما قلت فيه، فأنشدته، فقال: والله لقد أحسنت، لكن
ما يساوي عشرين ألفاً، ياربيع، خذ المال منه، وأعطه منه أربعة آلاف درهم،
فلما ولي المهدي الخلافة، قدم عليه المؤمل، فأخبره بما كان بينه وبين أبيه، فضحك
ورق عليه ما أخذ منه.

وحكى ابن حمدون في كتابه المترجم بالتذكرة: أن المنصور حج في بعض السنين
لغدا به سالم الحادي يوماً بقول الشاعر

- أبلغ بين حاجبيه نُورُهُ * إذا تَفَدَّى رَفَعَتْ سِتْرُهُ
يَزِينُهُ حَيَاؤُهُ وَخَيْرُهُ * وَمُسْكُهُ يَسُوبُهُ كَافُورُهُ

- فطرب المنصور حتى ضرب برجله المحمل، ثم قال: ياربيع، أعطه نصف درهم،
فقال سالم: لا غير، يا أمير المؤمنين، والله لقد صدوت بهشام بن عبد الملك فأمرني
بثلاثين ألف درهم، فقال المنصور: ما كان له أن يعطيك من بيت المال
ما ذكرت، ياربيع! وكَلَّ به من يستخرج منه هذا المال، قال الربيع: فما زلت
أسفر بينهما حتى شرط عليه أن يحنو به في خروجه ورجوعه بغير مشورة، وكان سالم
هذا يورد الإبل ثماناً ولتسع ولعشر، فيحلوها قِلْيَها حذوه عن ورود الماء.
ومن طريف ما حكى عنه: أن عبيد الله بن زياد الحارثي، كتب إليه رقعة بليغة
يستميحه فيها، فوقع عليها: إن الغنى والبلاغة إذا أجمعا لرجل أبطراه، وإن
أمير المؤمنين مشفق عليك، فاكثف بالبلاغة.

وقد ذمَّ الشعراء البخل وهجوا من أنصف به ، فمن ذلك ، وهو أبلغ ما قاله مُحدث ،

قول ابن الرومي

الحابسُ الروث في أعفاج بَقَّتِيهِ * خوفا على الحبِّ من لَقِطِ المصافيرِ

وقال العسكري : أبلغ ما قيل في البخل ، قول ابن الرومي

يَقْتَرِعُهُ على نفسه * وليس بباقي ولا خالدٍ

فلو يستطيع لتغييره * تنفّس من منيخٍ واحدٍ

رضيت لتشتيت أمواله * يدِّي وارث ليس بالحامدِ

وقال أبو تمام

صدّق أَيْتَهُ إن قال مجتهدًا * لا والرَّغِيفُ فذاك البرّ من قَسَمَةٍ

وإن همت به فافتك بَحْبَرَتِهِ * فإن موقعها من لحمه ودمه

قد كان يُعْجِبُنِي لو كان غَيْرُهُ * على جَرَادِيهِ كانت على حَرَمَةٍ

وقال دِعْبِل

استبقي ود أبي المقّا * بل حين تأكل من طَعَامِي

سيأت كسرُ رَغِيفِهِ * أو كسرُ عَظْمٍ من عِظَامِي

وتراه من خوف التريُّل به يُروِّع في منامِهِ

وقال أبو هلال العسكري

خَبَرُ الأَسِيرِ عَشِيقُهُ * يَنْفُو عليه بِلَامِيهِ

وإذا بدأ بالجلسِ * أفضى إليه يَمَانِيهِ

وتحوطه حَرَأُسُ * وتكذب عنه كَلَامِيهِ

فالزُّورُ يَصْفَعُ عنده * والضيْفُ يَنْتَفِ شَارِبُهُ

وقال آخر

قَيِّ رَغِيْفُهُ قُرْطٌ وَشَنْفٌ * وَإِكْلِيلَانِ مِنْ دُرٍّ وَشَلْرٍ
إِذَا كُمِرَ الرَّغِيْفُ بِكَيِّ عَلَيْهِ * بُكَاءُ الْخَلْسَاءِ إِذْ لَحُمْتُ بِصَخْرِ
وَدُونَ رَغِيْفِهِ قَلَمُ الثَّنَائَا * وَحَرْبٌ مِثْلُ وَقْعَةٍ يَوْمَ بَدْرٍ

وقال آخر

إِنْ هَذَا الْفَتَى يَصُونُ رَغِيْفًا * مَا إِلَيْهِ لَا كَلِيٍّ مِنْ سَبِيلٍ
هُوَ فِي سَفَرَيْنِ مِنْ أَدَمِ الْعَالَا * ثَفٌّ فِي سَلْتَيْنِ مِنْ زَنْبِيلٍ
خُجِمَتْ كُلُّ سَلَّةٍ بِرَصَائِيسٍ * وَسُيُورٌ قُدْدَنٌ مِنْ جِلْدِ فِيلٍ
فِي حِرَابٍ فِي جَوْفِ تَابُوتِ مُوسَى * وَالْمَفَاتِيحِ عِنْدَ مِيكَائِيلِ

وقال المسكوي

قَلَّ خَيْرُ أَبِي نَاسِمٍ * فَنِشَاءُ كُكْذَمِيهِ
كَأَنَّ خَشْبَةَ الْقِرَى * يَخْتَبِي فِي حِرَامِهِ
جَازٍ فِي اللَّؤْمِ حَذَاهُ * كَأَبِيهِ وَعَمِهِ
كَأَدُّ يَعْصِيكَ لَوْمُهُ * لَوْ تَسَمَّيْتَ بِاسْمِهِ

وقال أيضا

لَكَ بَرَمَةٌ تَزْهَتْهَا * مِنْ أَنْ تُدَنَّسَ بِالْدَنَمِ
بِيَضَاءٍ يُنْبِرُقُ نُورَهَا * كَالْبَدْرِ فِي غَسَقِي الْعَلَمِ
لَوْ كَانَ عِرْضُكَ مِثْلَهَا * كُنْتَ الْمَمْدُوحَ فِي الْأَنْمِ
أَوْ كَانَ فِعْلُكَ مِثْلَ قَوْ * لَكَ كُنْتَ تَارِيخَ الْكَرَمِ

وقال أيضا

ضفْتُ عمرا بغاهني برغيف * زادني أكله على الجوع جوعاً
ثم وَلَّى يقول وهو كئيب: * لَهْفَ تَقِي على رَغِيفٍ أَضِيماً
كان خُدَاعَةَ الضيوف ولكن * ربما أصبح الخُدُوعُ خَدِيماً
صَكْتُ أَنْزَلْتُهُ غَلّاً رَفِيحاً * فغدا ذلك الرَفِيعُ وَضِيماً
عَجَباً مِنْهُ إِذْ أُبْسِحَ حِمَاءُ * كيف لم يمتنع وكان مَنِيماً

وقال آخر

أرى ضيفك في الدار * وكرب الموت يَنْشَأُ
على خُبْرِكَ مَكْتُوبٌ: * «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ»

وقال بشار

وضيفُ عمرو وعمرو يَسْهَرَانِ مَعَا * عمرو لِبَاعِيَّتِهِ وَالضَيْفُ لِلْجُوعِ

وقال آخر

نَوَالُكَ دُونَهُ خَرِطَ الْقَتَادِ * وَخُبْرُكَ كَالْثَرِيَّاءِ فِي الْبَعَادِ
ولو أَبْصَرْتَ ضَيْفَا فِي مَنَامٍ * لَحَزَمْتَ الْمَنَامَ إِلَى التَّنَادِي
أرى تُحْمَرُ الرَغِيفُ يَطُولُ جِدَا * لَدَيْكَ كَأَنَّهُ مِنْ قُومِ عَادِ
وما أَهْجُوكَ أَنْكَ كُفُّ شِعْرِي * وَلَكِنِّي هَجَوْتُكَ لِلْعَكَادِ

وقال العسكري

قد كَانَ لِلَّالِ رَبًّا * فَصَارَ بِالْخَلِّ عَيْنَةً
وَمَحَقَّ الصَّيْفَ ضَيْفًا * فَوَرَّاحَ يَلْعَلُ خَدَةً

وقال أبو نُوَاسٍ في إسماعيل بن نُوبخت، بعد أن نصب إسماعيل في صحن داره طارمة، وأصطحب فيها أربعين يوما ومعه جماعة، منهم أبو نُوَاسٍ، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم، ثم قال بعد ذلك

خبزُ إسماعيل كالوشى إذا ما شُقَّ يُرْفَا
عجبا من أثر الصنعة فيه كيف تخفى؟
إِنَّ رَقَاءَكَ هَذَا * أَلْطَفَ الْأَمَةِ كَفَا
فَإِذَا أَلْصَقَ بِالنَّصَفِ مِنَ الْخُرْتَقِ نَصْفَا
الطف الصنعة حتى * ما ترى مَطْعَنَ إِشْفَى^(١)
مثل ما جاء من التَّنْشُورِ ما غادر حَرَفَا
وله في الماء أيضا * عَمَلٌ أَبْدَعَ ظَرْفَا
مَرْجِهَ الْعُدْبِ بِمَاءِ التَّيْرِ كِي يَزْدَادَ ضَعْفَا
فهو لَا يَسْقِيكَ مِنْهُ * مثل ما يشرب صِرْفَا

وقال فيه

على خبز إسماعيل وأقبة الْبَحْلِ * فقد حلَّ في دار الأمان من الأَكْلِ
وما خبزه إلا كصقاه مُضْرِب * يُصَوِّرُ فِي بُسْطِ الْمُلُوكِ وَفِي الْمُثَلِّ
يُحَدِّثُ عَنْهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَا * سَوَى صُورَةٍ مَا إِنْ تُجَرُّ وَلَا تُنْجَلِي
وما خبزه إلا كَأَوَى يُرَى أَبْنَاهُ * وَلَمْ يَرَّأَوَى فِي الْحَزُونِ وَفِي السَّهْلِ
وما خبزه إلا كَلِيبُ بْنُ وَائِلٍ * لِيَالِي يَحْيَى عِزَّهُ مَنِيَّتَ الْبَقِيلِ^(٢)

(١) الإِشْفَى : الإِسْكَاف .

(٢) هكذا في الأصل . وفي ديوان أبي نُوَاسٍ : وَمَنْ كَانَ الْخِطْبُ وَلَهُ الصَّرَابُ .

وإِذْ هُوَ لَا يَسْتَبْ حَصَانٌ عِنْدَهُ * وَلَا الصَوْتُ مَرْفُوعٌ يَجِدُّ وَلَا مَزَلُ
فَإِنْ خَبِرُ إِسْمَاعِيلَ حُلٌّ بِهِ الَّذِي * أَصَابَ كَلْبًا لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ ذَلِكَ
وَلَكِنْ قَضَاءٌ لَيْسَ يُسْطَاعُ رَدُّهُ * بِحِيلَةٍ ذِي مَكْرٍ وَلَا تَعْيٍ ذِي عَقْلِ

وقال ابن الرومي

بِخَيْلٍ يُصَوِّمُ أَضْيَافَهُ * وَيَخْلُ عَنْهُمْ بِأَجْرِ الصِّيَامِ
يَدُسُّ النَّفْلَامَ فَيُولِيهِمْ * هَوَانًا فَيَشْتُمُ مَوْلَى النَّفْلَامِ
فَهُمْ مُفْطِرُونَ وَهُمْ صَاغَمُونَ * وَمَا يُطْعَمُونَ وَهُمْ فِي أَتَامِ
فَيَحْتَالُ بِخَلَا لَأَنَّ يُفْطِرُونَ * عَلَى رَقَّتِ الْقَوْلِ دُونَ الطَّعَامِ

وقال أحمد بن كُثَّاجِم

صَدِيقٌ لَنَا مِنْ أَرْبَعِ النَّاسِ فِي الْبَخْلِ * وَأَفْضَلُهُمْ فِيهِ وَلَيْسَ بِذِي فَضْلِ
دَعَانِي كَمَا يَدْعُو الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ * بَغْفَتٍ كَمَا يَأْتِي إِلَى مَثَلِهِ يَشْلِي
فَلَمَّا جَلَسْنَا لِلطَّعَامِ رَأَيْتُهُ * يَرَى أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ أَعْضَائِهِ أَكْثَلِي
وَيَنْتَظِرُ أَحْيَانًا وَيَسْتَمُ عِبْدَهُ * وَأَعْلَمُ أَنَّ النِّيطَ وَالشَّتَمَ مِنْ أَجَلِي
فَأَقْبَلْتُ أَسْتَلُّ الْفِدَاءَ عِثَاقَةً * وَالْحَظَازُ عَيْنُهُ رَقِيبٌ عَلَى فِعْلِي
أَمَدُ يَدِي سِرًّا لِأَتَرَقَّ لُقْمَةً * فَيَلْحَظُنِي شَرًّا فَاغْبِثُ بِالْبَقْلِ
إِلَى أَنْ جَنَّتْ كَفَّتِي لِحْفَى جَنَائِي * وَذَلِكَ أَمَدُ الْجُوعِ أَغْدَمَنِي عَقْلِي
بَغَرَّتْ يَدِي لِقَيْنِ رِجْلٍ دَجَابِيَةِ * بَغَرَّتْ كَمَا بَغَرَّتْ يَدِي رِجْلَهَا رِجْلِي
وَقَدَّمَ مِنْ بَعْدِ الطَّعَامِ حَلَاوَةً * فَلَمْ أَسْتَطِعْ فِيهَا أَمِيرًا وَلَا أَحْمَلِي
وَقُلْتُ لَوْ أَتَى كُنْتُ بَيْتُ نَيْبَةٍ * رِيحَتْ نَوَابِ الصَّوْمِ مَعَ عَدَمِ الْأَكْلِ

وقال آخر

تراهم خشية الأضياف تُحرماً * يُقيمون الصلاة بلا أذان



احتجاج البغلاء وتحسينهم للبغل على قبحه

• قالت الحكماء : لكن عنايتك بحفظ ما اكتسبته، كعنايتك باكتسابه .

وقال أبو الأسود الدؤليّ لابنه : لا تُجاودوا الله، فإنه أكرم وأجود، ولو شاء أن يُعني الناس كلهم لفعل، ولكنه علم أن قوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الفقر، وقوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الغنى .

وقال رجل من تغلب : أتيت رجلاً من كندة أسأله، فقال : يا أخا بني تغلب،
 ١٠ أتى لن أصلك حتى أحرم من هو أقرب إلى منك، وإنه لم يبق من مالي وبِعْرَضِي وأهل إلا ما منته من الناس .

وقيل : إن لقمان الحكيم، قال لابنه : يا بُنَيَّ، أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكت بهما : دِهْمِكَ لمعاشك، ودينك لمعادك .

وقال أبو الأسود : إمساكك ما تبذل، خير من طلبك ما يبذل غيرك، وأنشد
 ١٥ يلومونني في البغل جهلاً وضلّةً * وللبخل خير من سؤال بخيل

ونظيره قول المتنبيّ

وحسب المال أيسر من بُغاه * وضرب في البلاد بنير زاد
 وإصلاح القليل يزيد فيه * ولا يتقّ الكثير مع الفساد

وقال الجاحظ : قلت للزاي : يا بغيل ! قال : لا أعدمى الله هذا الاسم ، لأنه لا يقال لى : بغيل إلا وأنا ذو مال فسلم لى المال ، وسمى بلى أسم شئت ، قلت : ولا يقال لك : بعى ، إلا وأنت ذو مال ، فقد جمع الله لهذا الاسم المال والحمد ، وجمع لذلك المال والذم ، فقال : بينهما فرق عجيب ، وبؤن بعيد ، إن فى قولهم : بغيل ، سببا لمكث المال فى ملكى ، وفى قولهم : بعى ، سببا لخروجه عن ملكى ، وأسم البخل فيه حزم وذم وأسم السخاء فيه تضييع وحمد ، وما أقل غناه الحمد عنه إذا جاع بطنه وعيرى ظهره وضاع عياله وشمت به عدوه .

وقال محمد بن الجهم : من شأن من آستفى عنك ، أن لا يقيم عليك ، ومن أحتاج إليك أن لا يزول من عندك ، ومن حُبك لصديقك وصَّتكَ بمودته أن لا تبذل له ما يفتنه عنك ، وأن تتلطف له فيما يُحوجُه إليك .

وقد قيل فى مثل هذا : "أَجْعَ كُلَّكَ يَتَّبِعَكَ ، وَتَمْنَهُ بِأَكْلِكَ" ، فمن أغنى صديقه فقد أعانه على الفدر ، وقطع أسباب الشكر ، والمعين على الفدر شريك للغادر ، كما أن المزين للقُجُور شريك للفاجر .

وقال أبو حنيفة : لا خير فيمن لا يصون ماله ليصون به عِرْضَه ، ويَصِلَ به رِجْله ويستغنى به عن لئام الناس . قال عبد الله بن المعتز

أَعَاذِلْ لِبَسَ الْبَخْلِ مَنِّي سَحِيحَةً . • وَلَكِنْ وَجَدْتُ الْفَقْرَ شَرَّ سَبِيلٍ
لَمَوْتُ الْفَقْرِ خَيْرٌ مِنَ الْبَخْلِ لِلْفَقْرِ • وَلِلْبَخْلِ خَيْرٌ مِنْ سَوَالِ بَغِيلٍ

وكان داود بن علي يقول : لَأَنْ يَتْرَكَ الرَّجُلُ مَالَهُ لِأَعْدَائِهِ ، خَيْرٌ مِنْ الْحَاجَةِ فِي حَيَاتِهِ لِأَوْلِيَائِهِ ، قال الشاعر

مَالٌ يُخَفِّفُهُ الْفَقْرُ * لِلشَّامِتِينَ مِنَ الْيَدَا

خَيْرَ لَهُ مِنْ قَصْدِهِ * إِخْوَانُهُ مُسْتَرَفِدَا

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : لَأَنْ أُخَلِّفَ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ أَحَاسِبُ عَلَيْهَا ، أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَسْتَجِيعَ إِلَى النَّاسِ ، وقال : كَانَ الْمَالُ فِيَا مَضَى يَكْرَهُ ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَهُوَ يَزِينُ الْمُؤْمِنَ ، وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، تَمَسَّكَ هَذِهِ الدَّنَائِرُ ! فَقَالَ : أَسَكْتُ ، فَلَوْلَاهَا لَتَمَنَّدْنَا هَؤُلَاءِ الْمُلُوكَ ، وَلَكِنْ مِنْ كَانَ فِي يَدِهِ مِنْهَا شَيْءٌ فَلْيَصْلَحْهُ ، فَإِنَّهُ زَمَانٌ مِنْ أَسْتَجِيعَ فِيهِ كَانَ أَوَّلُ مَا يَبْدُلُ دِينَهُ .

وقال المنصور لمحمد بن مروان التميمي : إِنَّكَ لَسَيِّدٌ لَوْلَا جُودُكَ فَيْكَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي لِأَجِدُ فِي الْحَقِّ ، وَلَا أَذُوبُ فِي الْبَاطِلِ .

وكان محمد بن الجهم يقول : مَنْ وَهَبَ مِنْ عَمَلِهِ ، فَهُوَ أَحَقُّ ، وَمَنْ وَهَبَ بَعْدَ الْعَزْلِ ، فَهُوَ مَجْنُونٌ ، وَمَنْ وَهَبَ مِنْ جَوَائِزِ مَلُوكِهِ أَوْ مِيرَاثِهِ ، فَهُوَ غَدُولٌ ، وَمَنْ وَهَبَ مِنْ كَسْبِهِ وَمَا اسْتَفَادَهُ بِحِيلَةٍ ، فَهُوَ الْمَطْبُوعُ عَلَى قَلْبِهِ ، الْمَأْخُوذُ بِبَصَرِهِ وَسَمْعِهِ .

وسأل رجل زياد بن أبيه ، فَأَعْطَاهُ دِرْهَمًا ، فَقَالَ : صَاحِبِ الْإِرَاقَيْنِ أَسْأَلُهُ فَيُعْطِينِي دِرْهَمًا ؟ فَقَالَ لَهُ زِيَادُ : مَنْ يَبْدُو نِزَائِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّمَا رَزَقَ أَخَصَّ عِبَادَهُ عِنْدَهُ وَأَكْرَمَهُمْ لَدِيهِ الْقَرَّةَ وَاللَّقْمَةَ ، وَمَا يَكْبُرُ عِنْدِي أَنْ أَصِلَ رَجُلًا بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَلَا يَصْغُرُ أَنْ أُعْطِيَ سَائِلًا رَغِيْفًا ، إِنَّكَ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَعَلَ ذَلِكَ .
قال الشاعر

يَا رَبَّ جُودٍ جَرَّ قَسْرَ أَمْرِي * قَامَ لِلنَّاسِ مَقَامَ الذَّلِيلِ

فَاشْدُدْ عُرَى مَالِكَ وَأَسْقِيقِهِ * فَالْبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ سَوَالِ الْبَخِيلِ

وقال الشريف بن الحبارية

لأصونَ درمي * فهو لا شك صائغ
لم يُعنى أبَنُ والدي * وصحبي أعاتي

وقال أيضا

له در درامي * فمَنى أعلت مكاني
لولا النني عن صاحبي * لأحطني دار الموان

وقال آخر

كن بما أوتيته مُغتبطا * تستديم عيش القنوع المكثي
إن في نيل المني وشك الردى * واجتناب القصد عين السرف
كسراج دهنه قوت له * فإذا حرقه فيه طفي

ومن ذلك رسالة كتبها سهل بن هارون، وقد عيب عليه أمور من البخل، فاعتذر عنها وأصح فقال: أصلح الله أمركم، وجمع شملكم، وعلمكم الخير، وجعلكم من أهله، قال الأحنف بن قيس: يا بني تميم، لا تُسرِعوا إلى الفتنة، فإن أسرع الناس إلى القتال، أفلهم حياء من الفرار، وكانوا يقولون: إذا أردت أن ترى العيوب جمّة، فتأمل حياء فإنه يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب، ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بسبب، وقبح أن تنهى مرشدا أو تُفري مُشفقا، وما أريد بما قلت إلا هدايتكم وتقويمكم وصلاح فسادكم، وإبقاء النعمة عليكم، ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم، فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم، ثم قد تعلمون أنا ما أوصيناكم إلا بما آخترناه لأنفسنا قبلكم، وشيّرنا به في الآفاق دونكم، ثم تقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه: (وما أريدُ

أَنْ أَحَاقَكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) فما كان أحقكم في كريم حرمتنا بكم أن ترعوا حق قصدنا بذلك إليكم، على مارعيناه من واجب حقكم، فلا العذر المبسوط بلفتهم، ولا بواجب الحرمة فتم، ولو كان ذكر العيوب براً ونفراً، لرأينا في أنفسنا عن ذلك شغلاً،

عَبْتُمُونِي بِقَوْلِي لِحَادِي : أجيدي العجين فيكون أطيب لطعمه، وأزيد في ريعه، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أملكوا العجين فإنه أحد الرعين، وعبتُمُونِي حين ختمت على سَلِّ عَظِيم، وفيه شيء ثمين من فاكهة قهسة، ومن رطبة غريبة، على عبد نعيم، وصبي جشع، وأمة لكهاء، وزوجة مضبعة، وليس بين أهل الأدب، ولا في ترتيب الحكم، ولا في عادات القادة، ولا في تدبير السادة، أن يستوى —

١٠ في نفوس المأكول، وغريب المشروب، وثمين الملبوس، وخطير المركوب — التابع والمتبوع، والسيد والمسود، كما لا تستوى مواضعهم في المجالس، ومواقع أسمائهم في العوانات، ومن شاء أطم كلبه الدجاجة السمينة، وعلف حماره السُمِيمَ الْمُقَشَّرَ، وعبتُمُونِي بالحنم، وقد ختم بعض الأئمة على مُدَّ سَوِيق، وختم على كيس فارغ، وقال طينة خير من ظنة، فامسكتم عن ختم على لا شيء، وعبتم على من ختم على شيء، وعبتُمُونِي أيضاً، أن قلت للغلام : إذا زدت في المرق، فزد في الإنضاج،

١٥ ليجتمع مع التاتم بالهم طيبُ المرق، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا طبخ أحدكم لحماً، فليزد من الماء. فمن لم يصب لحماً أصاب مرقاً، » وعبتُمُونِي بِمُخَصَّف النمل، وبتصدير القميص، وحين زعمت أن المخصوفة من النمل أبقى وأقوى وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، والتفريق من التضييع، والاجتماع مع الحفظ،

وقد كانت النبي صلى الله عليه وسلم يَحْصِفُ نَمْلَهُ ، وَيُرْقِعُ ثَوْبَهُ ، وَيَقْلَعُ أَصَابِعَهُ ، ويقول : «لَوْ أَهْدَيْتَنِي إِلَى مُخْرَاجِ لِقَبْلَتِ ، وَلَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعِ لَأَجَبْتُ» وقال صلى الله عليه وسلم «مَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ الْخِلَالِ ، خَفَتْ مَشُونَتُهُ ، وَقُلَّ كِبَرُهُ» . وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يَلْبَسِ الْخَلْقَ ، وَبَعَثَ زِيَادٌ رَجُلًا يَرْتَادُ لَهُ مُحَمَّدًا ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا ، فَأَنَاءَ بِهِ مَوَاقِفًا ، فَقَالَ لَهُ : أَكُنْتَ بِهِ ذَا مَعْرِفَةٍ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُهُ فِي يَوْمٍ قَاطَفٌ ، يَلْبَسُ خَلْقًا ، وَيَلْبَسُ النَّاسَ جَدِيدًا ، فَتَفَرَّسْتُ فِيهِ الْعَقْلَ وَالْأَدَبَ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْخَلْقَ فِي مَوْضِعِهِ ، مِثْلُ الْجَدِيدِ فِي مَوْضِعِهِ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، وَسَمِيَ لَهُ مَوْضِعًا ، كَمَا جَعَلَ لِكُلِّ زَمَانٍ حَالًا ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا ، وَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ بِالنَّسَمِ ، وَأَمَاتَ بِالْفَنَاءِ ، وَأَغْصَنَ بِالنَّاءِ ، وَقَتَلَ بِالِدَوَاءِ ، وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْإِصْلَاحَ أَحَدَ الْكَاسِبِينَ ، كَمَا زَعَمُوا أَنَّ قَلَّةَ الْعِيَالِ أَحَدَ الْبِسَارِينَ ، وَقَدْ جَبَرَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ يَدَ عَتَرَ وَأَمَرَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بِفَرْكِ الْبَعْرِ ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَكَلَ بَيْضَةً فَقَدْ أَصْكَلَ دَجَاجَةً ، وَلَيْسَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جِلْدَ أُخْصِيَّةٍ ، وَقَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الْحِكَمَاءِ : أُرِيدُ أَنْ أَهْدِيَ لَكَ دَجَاجَةً ، قَالَ : إِنْ كَانَ لَا بَدَّ ، فَاجْعَلْهَا بَيَوضًا ، وَعَبْتُمُونِي حِينَ قُلْتُ : مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَوَاضِعَ السَّرْفِ فِي الْمَوْجُودِ الرَّخِيسِ لَمْ يَعْرِفْ مَوَاضِعَ الْاِقْتِصَادِ فِي الْمُنْتَعِ النَّسَالِ ، وَقَدْ أَتَيْتُ بِمَاءٍ لِلْوَضُوءِ عَلَى مِبْلَغِ الْكِفَايَةِ ، وَأَشْفَ مِنْ الْكِفَايَةِ ، فَلَمَّا صَرْتُ إِلَى تَفْرِيقِ أَجْزَائِهِ عَلَى الْأَعْضَاءِ ، وَإِلَى التَّوْفِيرِ عَلَيْهَا مِنْ وَظِيفَةِ الْمَاءِ ، وَجَدْتُ فِي الْأَعْضَاءِ فَضْلًا عَنِ الْمَاءِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ لَوْ كُنْتُ مَكْنُتُ الْاِقْتِصَادَ فِي أَوَائِلِهِ لَخَرَجَ أَقُولُهُ عَلَى كِفَايَةِ آخِرِهِ ، وَلَكِنْ نَصِيبُ الْأَوَّلِ كَنَصِيبِ الْآخِرِ ، فَعَبْتُمُونِي بِذَلِكَ وَشَعْنْتُمُوهُ عَلَيَّ ، وَقَدْ قَالَ الْحَسَنُ وَذَكَرَ السَّرْفَ : أَمَا إِنَّهُ لِيَكُونَ فِي الْمَاءِ وَالْكَلَا ، فَلَمْ يَرْضَ

- بذكر الماء حتى أردفه بالكلإ، وعبتموني اني قلت : لا يترنن أحد بطول عمره، وتقويس ظهره، وورقة عظمه، ووهن قوته، وأن يرى دخله أكثر من رزقه فيدعوه ذلك الى إخراج ماله من يده، وتحويله إلى ملك غيره، أو تحكيم السرف فيه، وتسليط الشهوات عليه، فاعلمه أن يكون معتمرا وهو لا يدري ومعدودا له في السن وهو لا يشعر، وعلّمه أن يُرزق الولد على اليأس، وتُحدّث عليه آفات الكبر ما لا يخطر على باله، ولا يدركه عقله، فيسترّده ممن لا يردّه، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه، أضعف ما كان عن الطلب، وأقبح ما كان له أن يطلب، فعبتموني بذلك، وقال عمرو بن العاص : أعملّ لديّناك حملاً من عيش أبدا، وأعملّ لأتريك عملاً من يموت غدا، وعبتموني بأن قلت : إن التلف والتبذير إلى مال الموارث، وأموال الملوك، وإن الحفظ إلى المال المكتسب، والغنى المحتلب، وإلى ما يعرض فيه ١٠ بذهاب الدين، واهتضام العرض، ونصب البدن، واهتمام القلب أسرع، ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع المال، ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر، وطالب نفسا بالنلّ، وعبتموني بأن زعمت أن كسب الحلال، مُضمّنٌ بالإففاق في الحلال، وأن الخبيث يتزعج إلى الخبيث، وأن الطيّب يدعو إلى الطيّب، وأن الإففاق في الحقّ، حجاب دون الحقوق، ١٥ وأن الإففاق في الحقوق حجاب دون الحق، فعبتموني على هذا القول، وقد قال معاوية بن أبي سفيان : لم أر تبذيرا قطّ، إلا وإلى جنبه حقٌ مُضَيّع، وقال الحسن : إذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله، فانظروا في أيّ شيء ينفق، فإن الخبيث إنما يتفق في السرف، وقلت لكم بالشفقة عليكم، وحسن النظر مني إليكم، أتم في دار الآفات، والجوائع غير مأمونات، فإن أحاطت بمال ٢٠

أحدكم أفقاً، لم يرجع إلى ثقة، فاحذروا النِّمَّ، باختلاف الأمكنة، فإن البلية لا تجرى في الجميع، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العبد، والأمة، والشاة، والبحير: فترقوا بين المنياء، وأجعلوا الرأس رأسين، وقال ابن سيرين [لبعض البحرين^(١)]: كيف تصنعون في أموالكم؟ قالوا: نفرقها في السفن، فإن عطب بعض، سلم بعض، ولولا أن السلامة أكثر، ما حملنا أموالنا في البحر، فقال ابن سيرين: تحسبها خرقاء وهي صناع، وعبثوني بأن قلت لكم عند إشفاق عليكم: إن للفني سُكْراً، والمال تزوُّة، فمن لم يحفظ الفنى من سكره، فقد أضاعه، ومن لم يرتبط المال لطوف الفقر فقد أهمله، فعبثوني بذلك، وقد قال زيد بن جبلة: ليس أحدٌ أقصر عقلاً، من غنى آمن الفقر، وسكر الفنى أشد من سكر الخمر، وقد قال الشاعر في يحيى ابن خالد

وهو برب تلاد المال فيا ينوبه * متوَّع إذا ما مَتَّعَهُ كان أحرماً

وعبثوني حين زعمتم، أتى أقدم المال على العلم، لأن المال به يُغَاد العلم، وبه تقوم النفس، قبل أن يُعرَف فضل العلم، فهو أصل، والأصل أحق بالترفضيل من الفرع، فقلتم: كيف هذا؟ وقد قيل لبعض الحكماء: الأغنياء أفضل أم العلماء؟ فقال: العلماء، قيل له: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء، أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء؟ قال: ذلك لمعرفة العلماء بحق المال، وجهل الأغنياء بحق العلم، فقلت: حالهما هي القاضية بينهما، وكيف يستوى شيء حاجة العلماء إليه، وشيء يفتنى فيه بعضهم عن بعض، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء بالتخاذل، والفقرء بالتخاذل الدجاج، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إني

(١) الزيادة لازمة من كتاب البخل.

- لأبيض أهل البيت ينقون نفقة الأيام في اليوم الواحد، وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لولده : إذا بسط الله لك في الرزق فأسط، وإذا قبض فاقبض ، وعبثوني حين قلت : إن فضل النقي عن القوت ، إنما هو كفضل الآلة تكون في البيت ، إن احتيج إليها استعملت ، وإن استغني عنها كانت علة ، وقد قال الحصين بن المنذر :
 وحدث أن لي مثل أحد ذهباً لا أنتفع منه بشيء ، قيل له : فما كنت تصنع به ؟
 قال : لكثرة من كان يحتمني عليه ، لأن المال مخدوم ، وقال بعض الحكماء : عليك بطلب النقي ، فلولم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك ، ودل في قلب عدوك ، لكان الحظ فيه جسيماً ، والنع عظيماً ، ولست أدع سيرة الأنبياء ، وأدب الخلفاء ، وتعليم الحكماء ، لأصحاب الهوى ، فلستم على ترقون ، ولا رأي تفتدون ، فقدموا النظر قبل العزم ، وأذكروا ما عليكم من قبل أن تدركوا مالكم ، والسلام .



- ومن نوادر البخلاء ، قال رجل لبعض البخلاء : لم لا تدعوني إلى طعامك ؟
 قال : لأنك جيد المضع سريع البقع ، إذا أكلت لقمة هيأت أخرى ، قال : يا أحمق أريد إذا أكلت عندك أن أصلي ركعتين بين كل قمتين ؟
 وقال آخر لبخيل : لم لا تدعوني إلى طعامك ؟ قال : لأنك ثعلق ، وتشتق ، وتحمق ، أي تحمل واحدة في يدك ، وأخرى في شذقك ، وتظهر إلى الأخرى بعينك .

وقال بعض البخلاء : أنا لا آكل إلا نصف الليل ، قيل له : ولم ؟ قال يبرد الماء ، ويتجمع الثياب ، وأمن بغاة الداخل ، وصرخة السائل .

وطبخ بعض البخلاء قِدرًا ، وجلس يأكل مع زوجته فقال : ما أطيبَ هذا الطعام ! لولا كثرة الزَّحام ، فقالت : وأى زحام وما ثمَّ إلا أنا وأنت ؟ قال : كنت أحبُّ أن أكون أنا والقِدر .

وقال بعض البخلاء لفلانته : هاتِ الطعامَ ، وأغلقِ الباب ، فقال : يا هـ ولاى ، ليس هذا بِحِزْم ، وإنما أَغْلِقُ الباب ، وأُقَدِّمُ الطعامَ ، فقال له : أنت حُرُّ لوجه الله .

وعزم بعضُ إخوانِ أَشْعَبَ عليه ليا كلَّ عنده ، فقال : إني أخاف من ثقيل يأكل معنا فينْقُصُ لَدُنَّا ، فقال : ليس عندي إلا ما تُحِبُّ فغضى معه فبينما هما يأكلان ، إذا بالباب قد طُرق ، فقال أَشْعَبُ : ما أَرَأَانا إِلا صِرْنَا لِمَا نَكْرَهُ ، فقال صاحب المنزل : إنه صديق لى ، وفيه عشرُ خصال ، إن كرهتَ منها واحدة لم أَدْنِ له ، فقال أَشْعَبُ : هاتِ ، قال : أولها ، أنه لا يأكل ولا يشرب ، فقال : التسعُ لك ودَعَهُ يَدْخُلُ ، فقد أَمِنَّا منه ما نخافه .

ذكر ما قيل في التطفيل

ويتصل به أخبارُ الأكلة والمؤاكلة

والتطفيل من اللُّوم ، وهو التمرُّض إلى الطعام ، من غير أن يدعى إليه ، وسنذكر تلو هذا الفصل آدابَ الأكل ، والمؤاكلة ، والاقتصاد في المطاعم ، والعفة عنها ، وما يجري هذا المجرى ، وإن كان خارجا عنه ، وإنما الشيء يُذكر بالشيء ، والعرب تقول للتطفيل : الوارِيش ، والرايشن ، قيل : هو مشتق من الطَّفُل ، وهو الظلمة لأن الفقير من العرب كان يحضر الطعام الذى لم يُدْعَ إليه مستترا بالظلمة ، لئلا يُعرَف . وقيل : سُمِّيَ بذلك ، لإظلام أمره على الناس ، لا يدري مَنْ دعاه . وقيل : بل

من الطَّغْل لمجومه على التامس كهجوم الليل على النهار، فيكون من الظامة، ولذلك قيل: "أطفل من ليل على نهار"، وأقل من سمى بهذا الاسم: طُغَيْل العَرَّاس، وإليه ينسب الطُّغَيْلُونَ، وكان يقول لأصحابه: إذا دخل أحدكم عُرْساً، فلا يلتفت ظفَّت المريب، ويختير المجالس، وإن كان العُرس كثير الزحام، فليمض ولا ينظر في عيون الناس، ليظنَّ أهل المرأة أنه من أهل الرجل، ويظنَّ أهل الرجل أنه من أهل المرأة، وإن كان البواب غليظاً فاحشاً، فليبدأ به، وبأمره وينهاه من غير أن يُعَنَّف عليه، ولكن بين النصيحة والإدلال .

- وأشهر من تُسب إليه هذا الاسم، وكثرت عنه الحكايات، بُنَّان الطُّغَيْل، وهو عبد الله بن عثمان، ويكنى أبا الحسن، ولقبه بُنَّان، وأصله مَرْوَزِي وأقام ببغداد، وكان نقشُ خاتمِه، "مَالِكٌ لَا تَأْكُلُون". حكى أن رجلاً سأله أن يدعوه، فقال: ١٠
ألهم أرزقه صحة الجسم وكثرة الأكل، ودوام الشهوة، ونقاء المعدة، وأمتعه بضرر طحون، ومعدة هضوم، مع السعة والدعة، والأمن والعافية؛ وقال يوصي بعض أصحابه: إذا قدمت على مائمة وكان موضعك ضيقاً فقل للذي يليك: لعل ضيقك عليك فإنه يتأخر إلى خلف، ويقول: موضعي واسع، فيتسع عليك موضع رجل؛ وقال له طغيلي: أوصني، فقال: لا تصادق من الطعام شيئاً، تفرغ يدك عنه وتقول: ١٥
لعل أصادف ما هو أطيب منه، فإن هذا عجز ووهن، قال: زدني، قال: إذا وجدت خبزا فيه قلة، فكل الحروف، فإن كان كثيرا فكل الأوساط، قال: زدني، قال: لا تكثر شرب الماء وأنت تأكل، فإنه يصنك عن الأكل، ويمنعك من أن تستوفي، قال: زدني، قال: إذا وجدت الطعام، فكل منه أكل من لم يره قط، وتزود منه زاد من لا يراه أبداً، قال: زدني، قال: إذا وجدت الطعام، فأجعله زادك إلى الله تعالى، ٢٠

وقال : إذا دعاك صديق لك ، فاقصد يَمَنَةَ البيت فإِنَّكَ تَرى ما تُحِبُّ ، وتسودم في كُلِّ شئٍ ، وتسبقهم إلى كُلِّ خيرٍ ، وأنتَ أَوَّلُ من يَسلُ يدُه والمِنْدِيلُ جافٌ ، والماءُ واسعٌ ، وانلِوانَ بينَ يديكَ يوضعُ ، والنبيذُ أَوَّلُ القِنينَةِ ورأسُها تُشربُه ، والنقلُ مُتخَبٌ ، يوضعُ بينَ يديكَ ، وتكونُ أَوَّلُ من يَتَبَخَّرُ ، فإذا أردتَ أنْ تقومَ لحاجةٍ لم تَحْتَجْ أنْ تَخطَّاهُم ، وأنتَ في كُلِّ سرورٍ إلى أنْ تُتَصَرَّفَ . قال البديعُ الهمدانيُّ في طفليَّينِ يشبههُم بُنَّانَ

خَلَفْتُم بُنَّاناً فَمَنْ مِنْ أَدِيبٍ * مِنَ الْقَيْظِ عَصَّ عَلَيْكُمْ بُنَّاناً

إِذَا مَا النَّهَارُ بَدَأَ ضُوءُهُ * فَدَوَّعْتُمْ نَحْاصِداً وَرُحْمٌ يَطَّاناً

ومِنْهُم : عِثَّانُ بْنُ دِرَاجٍ ، قِيلَ لَهُ : كَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا لَمْ يَدْخُلْكَ أَهْلُ الْعُرْسِ ؟ قَالَ :
أَنُوحَ عَلَى الْبَابِ ، فَيَتَطَلَّيُونَ فَيَدْخُلُونِي . وَحَكَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ : أَنَّ عِثَّانَ
هَذَا ، كَانَ يَلْزِمُ سَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْخَطَّابِيَّ أَحَدَ وَلَدَيْهِ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ لَهُ :
وَيَحْكُ ! إِنِّي أَبْغُلُ بِأَدَبِكَ وَعِلْمِكَ ، وَأَضْرُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ مِنَ التَّطْفِيلِ وَلِي وَظِيفَةٍ
رَاتِبَةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَالْزِمْنِي وَكُنْ مَدْعَوْاً ، أَصْلَحَ لَكَ مِمَّا تَفْعَلُ ، فَقَالَ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَإِنِ
لَدَّةُ الْجَدِيدِ ، وَطِيبَ التَّنْقِلِ كُلِّ يَوْمٍ إِلَى مَكَانٍ ؟ وَأَيْنَ هُوَ يَأْكُ وَوُظِيفَتِكَ مِنْ أَحْتِمَالِ
الْعُرْسِ ؟ وَأَيْنَ أَلْوَانُكَ مِنْ أَلْوَانِ الْوَلِيمَةِ ؟ قَالَ : فَأَمَّا إِذَا نِمْتُ ذَاكَ : فَإِذَا ضَاغَتْ
عَلَيْكَ الْمَذَاهِبُ فَأَنْتَ قَالَ : أَمَّا هَذَا فَنَمٌ ، قَالَ : وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : مَا هَذِهِ الصُّغْرَةُ
الَّتِي فِي لَوْحِكَ ؟ قَالَ : مِنَ الْفَتْرِ الَّتِي بَيْنَ الْقَصْعَتَيْنِ ، وَمِنْ خَوْفِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ نَفَادِ
الطَّعَامِ قَبْلَ أَنْ أَشْبِعَ ، وَقِيلَ لَهُ مَرَّةً : هَلْ تَعْرِفُ بَسْتَانَ فَلَانٍ ؟ فَقَالَ : إِي وَآلِهِ ،
وَإِنَّهُ لِمَجْنُونٌ الْحَاضِرَةُ فِي الدُّنْيَا ، قِيلَ لَهُ : فَلِمَ لَا تَدْخُلُ إِلَيْهِ فَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهِ ، وَيَقْبِلُ

تحت أشجاره، وتسبح في أنهاره؟ قال: لأن فيه كلبا لا يتعمض إلا بدماء عراقيب الرجال، وعشان هذا الذي يقول

لَذَّةُ التَّطْفِيلِ دُومِي • وَأَقْيَمِي لَا تَرِي

أَنْتِ تَشْفِينِ غَلِيلِي • وَتُسَلِّينِ هُمُومِي

- ولم أخبر وحكايات، منها: ما نقل عن نصر بن علي الجهضمي أنه قال:
- كان لي جار طفيل، إذا دعيت إلى مدعاة ركب معي وجلس حيث أجلس، فياكل وينصرف، وكان نظيفا عطرا، حسن اللباس والمركب، وكنت لا أعرف من أمره إلا الظاهر، فاتفق بلعفر بن القاسم الهاشمي^{١٠} حق^{١١} دعا له أشراف البصرة ووجوهها، وهو يومئذ أمير البصرة، فقلت في نفسي: إن تبغى هذا الرجل إلى دار الأمير لأخزيته، فلما كان يوم الحضور، جاءني الرسول، فركبت، وإذا به قد تبغى حتى دخل بدخولي، وأرتفع حيث أجلس، فلما حضرنا الطعام، قلت: حدثنا دُرُسْتُ
- أبن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن أبن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دخل إلى دار قوم بغير إذنهم، دخل سارقا، وخرج مُغبرا، ومن دُعي ولم يُجب فقد عصى الله ورسوله»، فظننت أني قد أشرفت على الرجل وقصرت من لسانه، فأقبل علي وقال: أعينك بالله من هذا الكلام في دار الأمير، فإن الأشراف لا يحتملون التعريض باللوم، وقد حَظَرَ الدينُ التعريضَ، وعزَّرَ عليه عمر رضى الله عنه، ووليمة الأمير دعاء لأهل مِصره فإنه سَلِيلُ أهل السقاية، والرفادة، والمطعمين الأفضلين الذين هَشَمُوا الثَّرِيدَ، وأبرزوا الحَفَّانَ لمن غدا إليهما، ثم لا تُوزع وأنت في بيت من العلم معروف من أن تحتك عن درست بن زياد وهو ضعيف عن أبان
- أبن طارق وهو متروك الحديث بحكم رفعه الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والمسلمون

على خلافه، لأن حكم السارق القطع، والمغير يُعزَّر على ما يراه الإمام، وهذان حكمان لا ينفذان على داخلي دارا في جمع فيتناول لثما من فضل الله الذي آتى أهلها ثم لا يُحدث حدثا حتى يخرج عنها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة»، حدثنا بذلك أبو عاصم النبيل عن ابن جريح عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإني أنت عن هذا الحديث الصحيح الإسناد والمتن؟ قال نصر: فأصابتني شجالة شديدة، فلما نظر الرجل إلى ما بي أكل ونهض قبل، فلما خرجت وجدته واقفا على دابته بالباب، فلما رأيته، ولم يكلمني ولم أكلمه، إلا أنني سمعته يقول

وَمَنْ ظَنَّ مِنْ بِلَاقِ الْحُرُوبِ • بَأْنُ لَا يُصَابُ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا

وقيل: مرة طفيل بسكة النخع بالبصرة على قوم، وعندهم وليمة، فاقفهم عليهم، وأخذ مجلسه مع من دُعي، فأنكره صاحب المنزل، فقال له: لو تأملت أو وقفت حتى يؤذن لك، أو يبعث إليك، فقال: إنما أخذت البيوت ليدخل إليها، ووضع المواثد ليؤكل ما عليها، وما وجهت بهدية فأتوقع الدعوة، والحشمة قطيعة، وأطراحتها صلبة، وقد جاء في الأثر: «صل من قطعك، وأعط من حرمك»، ثم أنشد

كُلُّ يَوْمٍ أَتَوْرُ فِي عَرَسَةِ الدَّاءِ • رَأَيْتُ الْقَتَارَ شَمَّ الدُّبَابِ

فاذا ما رأيت آثار عرس • أودعنا أو دعوة الأصحاب

لم أعرج دون التقم لا أر • هب شتما وكثرة البواب

مستيتا بمن دخلت عليه • غير مستأذن ولا هياب

فتراني ألفت بالرغم منه • كل ما قدموه لفت المقاب

ووصف طفيل نفسه فقال

نَحْنُ قَوْمٌ إِذَا دُعِينَا أَجَبْنَا * وَمَنْ نُسَّ يَدْعُنَا التَّطْفِيلُ
قَوْلًا : مَلْنَا دُعِينَا فَعِينَا * أَوْ أَتَانَا فَلَمْ يَجِدْنَا الرِّسُولَ

وقال آخر

نَحْنُ قَوْمٌ يُحِبُّ هَذَى رَسُولِ اللَّهِ هَذَبًا بِهِ الصَّوَابُ أَصَبْنَا
فَادْعُنَا كُلًّا بَسَطْتَ فَوَانًا * لَوْ دُعِينَا إِلَى كُرَاجِ أَجَبْنَا

وقال آخر

نَحْنُ قَوْمٌ إِنْ جَفَا النَّاسُ * نُسَّ وَصَلْنَا مِنْ جَفَانَا
لَا نُبَالِي صَاحِبَ الدَّنَا * رَقَسِينَا أَمْ دَعَانَا

وقال آخر وقد أقبل إلى طعام، من غير أن يدعى إليه فقال له صاحب الصنيع :

مَنْ دَعَاكَ ؟ فَأَنْشِدْ

دَعَوْتُ نَفْسِي حِينَ لَمْ تَدْعُنِي * فَالْحَمْدُ لِي لَا لَكَ فِي الدَّعْوَةِ
وَكَانَ ذَا أَحْسَنَ مِنْ مَوْعِدٍ * إِخْلَافُهُ يَدْعُو إِلَى جَفْوَةٍ

وقد مدح أبو رَوْح ظفر بن عبدالله الهَرَوِيُّ طفيلياً ولم يسبق إليه، فقال

إِنَّ الطَّفِيلَ لَهُ حُرْمَةٌ * زَادَتْ عَلَى حُرْمَةِ نَدْمَانِي
لِأَنَّهُ جَاءَ وَلَمْ أَدْعُهُ * مَبْتَدَأًا مِنْهُ بِإِحْسَانٍ

ودخل طفيل إلى قوم فقالوا له : مادعونك ! فما الذي جاء بك ؟ فقال :

إذا لم تدعوني ولم آت، وقعت وحشة، فضحكوا منه وقربوه .

وقيل : مرّ طفيلٌ على قوم يتفَتّون ، فقال : سلام عليكم معشر اللّام ، فقالوا : لا والله ، ! بل كرام ، فتى ركبته ونزل ، وقال : اللهمّ أجعلهم من الصادقين ، وأجعلني من الكاذبين .

قال هشام أخوذى الرمة لرجل أراد سفرا : إن لكل رُقعة كلبا يشركهم في فضلة الزاد ، فإن أستطعت أن لا تكون كلب الرّفاق فأفعل .

ونظر طفيلٌ إلى قوم من الزنادقة يُسار بهم إلى القتل ، فظنهم يُدّعون إلى صنيع ، فتلطّف حتّى دخل في لقيفهم وصار كواحد منهم ، فلما بلغوا صاحب الشرطة ، أمر بضرب أعناقهم ، فقدّموا واحدا بعد واحد حتّى أتوا إلى الطفيل- فلما قدّم للقتل ألتفت إلى صاحب الشرطة ، فقال له : إني والله ما أنا منهم ، ولا أعلم بما يدينون ، وإنما أنا طفيلٌ ظننّهم يُدّهبُ بهم إلى صنيع ، فتلطّفت حتّى دخلت في جملتهم ، فقال ليس هذا مما ينبغيك ، أضربوا عنقه ، فقال : أصلحك الله ، إن كنت عزمت على قتل ، فأمر السيف أن يضرب بطنى بالسيف ، فإنه هو الذى أوقنى في هذه الورطة ، فضحك ، وكشف عنه ، فأخبر أنه طفيلٌ معروف ، تغلّى سبيله .

وحكى أن المأمون أمر أن يُجمل إليه عشرة من الزنادقة سُموا له من أهل البصرة ، بجمّعوا ، فأبصرهم طفيلٌ ، فقال : ما أجمعوا إلا لصنيع ، فدخل في وسطهم ومضى بهم الموكّثون ، حتّى أتوا إلى زورق قد أُعدّ لهم ، قال الطفيل : هي نُرعة ، فدخل معهم الزورق ، فلم يكن بأسرع من أن قُبِدُوا ، وقُبِدَ معهم الطفيلٌ ، ثم سِير بهم إلى بغداد ، فأدخِلوا على المأمون ، فجعل يدعوهم بأسمائهم رجلا رجلا ، ويأمر بضرب أعناقهم ، حتّى وصل إلى الطفيل- ، وقد استوفى العدة ، فقال للوكّنين : ما هذا ؟ قالوا : والله ما ندرى ، غير أنّا وجدناه مع القوم ، فجئنا به ، فقال له المأمون :

- ما قصتُكَ؟ ويليكَ! فقال يا أمير المؤمنين: أمرأتى طالق إن كنت أعرف من أقاويلهم شيئاً ولا عما يدينون به وإنما أنا رجل طفليّ، رأيْتُهم مجتمعين، فظننتُ صنيعاً يُدْعَوْنَ إليه، فضحك المأمون وقال: يُؤدَّب، وكان إبراهيم بن المهديّ قائماً على رأس المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي أدبه، وأحدثك بحديث عجيب عن نفسي، قال: قل يا إبراهيم، قال: يا أمير المؤمنين، خرجتُ من عنديك يوماً، فطُفْتُ في سِكَكِ بغداد متطرِّفاً، حتّى انتهيت إلى موضع كذا، فشمنت من قُتَارِ أَبَازِيرِ قُدُورٍ قد فاح، فتأقت نفسي إليها، وإلى طيب ريحها، فوقفْتُ إلى خياط، فقلت له: لمن هذه الدار؟ فقال: لرجل من التجار، قلت: ما اسمه؟ قال: فلان بن فلان، فرميت بطرق إلى الدار، فإذا شُبَّاك فيها مطلٌّ، وإذا كُفٌّ قد خرج من الشُبَّاك ومِعْصَمٌ، فشغلني حسنُ الكُفِّ والمعصم عن رائحة القُدُور، فبُيْتُ ساعة، ثم أدركني ذهني، فقلت للخياط: أهو يمين يشربُ النبيذ؟ قال: نعم، وأحسب أن عنده اليوم دعوة، وهو لا يتادم إلا تجاراً مثله مستورين، فإني لكذلك، إذ أقبل رجلان نيّيلان راكبان من رأس الدُوب، فقال لي الخياط: هؤلاء منادماه، فقلت: ما اسماهما وما مكانهما؟ فقال: فلان وفلان، فخرَّكتُ دابتي وداخلتُهما، وقلت: جُعِلْتُ فِدَاكِ، قد استَبَطَاكِ أبو فلان، وسارتهما حتّى بلغنا الباب فاجلَّاني وقمتاني، فدخلتُ ودخلا، فلما رآني صاحب المنزل معهما، لم يشك أني منهما، فَرَحَّبَ بي وأجلسني في أفضل المواضع، رَفَى يا أمير المؤمنين بمائدة عليها خبزٌ نَظِيفٌ وأُتِينَا بتلك الألوان، فكانت طعمها أَطْيَبَ من ريحها، فقلت في نفسي: هذه الألوان قد أكلتها، بقيت الكُفُّ، كيف إلى صاحبتهما؟ ثم رُفِعَ الطعام، وجرى بالوضوء، ثم صرنا إلى مجلس المنادمة، فإذا أشكل منزل، وجعل

صاحب المثل يلطف بي ، ويميل عليّ بالحديث ، حتى إذا شربنا أقداحا ، خرجت علينا جارية ، كأنها بدر ، لتني يا أمير المؤمنين كالخيزان ، فأقبلت ، وسلمت غير تجلّة وثبت لها وسادة ، بغلست عليها ، وأتى بالعود فوضع في حجرها ، بغسته فاستبينت حذقها في جسدّها ، ثم أندفعت تُفني

توهمها طرفي فأصبح خدّها * وفيه مكان الوهم من نظري أثر

تصافحها ككتي فتؤلّم كفها * فمن مسّ كتي في أناملها عقر

فهيجت يا أمير المؤمنين بلالي ، وطربت لحسن شعرها ، ثم أندفعت تُفني

أشرتُ إليها هل عرفت مودتي ؟ * فردت بطرف العين إني على العهد

فكنتُ عن الإظهار عمدا لسرها * وحادث عن الإظهار أيضا على عمد

فصحت يا أمير المؤمنين ، وجاءني من الطرب مالم أملك نفسي معه ، ثم أندفعت

ففتت الصوت الثالث

أليس عجيبا أن يتايضمني * وإياك لا نخلو ولا نتكلم !

سوى أعين تشكو الهوى يحفونها * وتقطع أجاد على النار تُقرم

إشارة أفواهٍ وتحمز حواجب * وتكسير أجفان وكف تُسلم

فحدثتها والله يا أمير المؤمنين على حذيقها ومعرفتّها بالفناء ، وإصابتها لمعنى الشعر ،

فقلت : بقي عليك يا جارية ، فضربت بالعود على الأرض ، وقالت : متى كنتم تُحضرون

بجالسكم البُغضاء ؟ فندمتُ على ما كان مني ، ورأيت القوم قد تغيروا لي ، فقلت :

أما عنديكم عود غير هذا ؟ قالوا : بلى ، فأثبت بعود ، فأصلحت من شأنه ثم غنيت

ما للنازل لَا يُجِيبَ حَرِينَا * أَصَمَّنَ أَمْ قَدِمَ الْيَلَّ فَيَلِينَا؟

راحوا السَّيِّئَةَ رَوْحَةً مذكورة * إِنَّ مُتَنَ مُتْنَا أَوْ حَيَّيْنِ حَيِّنَا

فَمَا اسْتَقَمَّتْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَتَّى قَامَتِ الْجَارِيَةُ، فَابْكَتْ عَلَى رَجُلٍ تَقْبَلُهَا،
وقالت : مَعْدِرَةٌ يَا سَيِّدِي، فَوَاقَهُ مَا سَمِعَتْ أَحَدًا يُغْنِي هَذَا الصَّوْتُ غِنَاءَكَ، وَقَامَ

مَوْلَاهَا وَأَهْلُ الْمَجْلِسِ، فَعَمَلُوا كَعَمَلِهَا، وَطَرِبَ الْقَوْمُ وَاسْتَحْشَوْا الشَّرْبَ فَشَرَبُوا، ثُمَّ
أَنْدَفَعْتُ أَغْنَى

أَيُّ الْحَقِّ أَنْ تَمْنِي وَلَا تَذْكُرْنِي * وَقَدْ هَمَمْتُ عَيْنَايَ مِنْ ذِكْرِهَا الدِّمَا

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بُحْلَهَا وَسِمَاحِي * لَهَا عَصَلٌ مِنِّي وَتَبَذَلَ عَقْلًا

فَرُدِّي مُصَابَ الْقَلْبِ أَنْتِ قَتْلِي * وَلَا تَتْرَكِي ذَاهِلَ الْعَقْلِ مُقْرَبًا

فَطَرِبَ الْقَوْمُ حَتَّى نَرْجِعُوا مِنْ عَقُولِهِمْ، فَامْسَكَتْ عَنْهُمْ سَاعَةً حَتَّى تَرَاوَعُوا، ثُمَّ
غَنَيْتُ الثَّالِثَ

هَذَا يُحْيِيكَ مَطْوِيًّا عَلَى كَبِدِهِ * عَبْرَى مَدَامُهُ تَجْرِي عَلَى جِسَدِهِ

لَهُ يَدٌ تَسْأَلُ الرَّحْمَنَ رَاحَتَهُ * مِمَّا بِهِ يَدٌ أُخْرَى عَلَى كَبِدِهِ

بِفَعْلَتِ الْجَارِيَةِ تَصِيحُ: هَذَا الْفَنَاءُ وَاللَّهُ يَا سَيِّدِي، لَا مَا نَجَّأَ فِيهِ مِنْذُ الْيَوْمِ، وَسَكَّرَ

الْقَوْمُ، وَكَانَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ حَسَنَ الشَّرْبِ، صَحِيحَ الْعَقْلِ، فَامَرَ غُلَامَانَهُ أَنْ يُخْرِجُوهُمَا
وَيَحْفَظُوهُمَا إِلَى مَنْزِلِهِمْ، وَخَلُوتُ مَعَهُ، فَلَمَّا شَرِبْنَا أَقْدَاحًا، قَالَ : يَا سَيِّدِي، ذَهَبَ

مَا مَضَى مِنْ أَيَّامِي ضَيَاعًا، إِذْ كُنْتُ لَا أَصْرُقُكَ، فَمَنْ أَنْتَ ؟ وَلَمْ يَزَلْ يُلْعَلُ عَلَيَّ، حَتَّى

(١٥٦)

أَخْبَرْتُهُ الْخَبْرَ، فَقَامَ وَقَبَّلَ رَأْسِي، وَقَالَ : وَأَنَا اعْجَبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَدَبُ إِلَّا لِلْمَلِكِ !

وَأَنِّي بِلِحَاسٍ مَعَ الْخِلَافَةِ وَلَا أَشْعُرُ، ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ قِصَّتِي، فَأَخْبَرْتُهُ حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى

صَاحِبَةِ الْكَفِّ وَالْمَعْمَرِ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ : قَوْمِي قَوْلِي لِفُلَانَةِ تَنْزِلَ، فَلَمْ تَزَلْ تَنْزِلُ

جواريه واحدةً واحدةً، فانظر إلى كَفَّها ومَصَمَّها، وأقول : ليس هي هذه ! حتى قال : والله ما بقى غير أختي وأُمِّي، والله لأنزِلها إليك، فنجبتُ من كرمه وسعة صدره، فقلت : جُعِلْتُ فداك، أبداً بالأخت قبل الأُم فَعسى أن تكون هي، فبرزتُ، فلما رأيتُ كَفَّها ومَصَمَّها، قلت : هي هذه فأمر ! غلبانه، فساروا إلى عشرة مشايخ من جِلَّة جيرانه، فأقبلوا بهم، وأمر سِتْرَتَيْن فيهما عشرون ألف درهم، ثم قال للشيخ : هذه أختي فلانة، أشهدكم أني قد زَوَّجتها من سيدي إبراهيم بن المهدي، وأمورتها عنه عشرين ألف درهم، فَرَضِيْتُ وَقَّيْتُ النكاح، فدفع إليها بَدْرَةً، وفزق الأخرى على المشايخ وصرفهم، ثم قال : ياسيدي، أمهد بعض البيوت قنّام فيه مع أهلك، فأحشمني ما رأيت من كرمه، فقلت : أحضر عَمَّارِيَّةً وأحملها إلى منزلي، ففعل، فوافقه يا أمير المؤمنين، لقد أتبعها من الجَهَّاز ما ضاقت عنه بيوتنا، فأولدتها هذا القائم على رأس أمير المؤمنين، يشير إلى ولده، فعجب المأمون من كرم الرجل وألحقه في خاصة أهله، وأطلق الطفيل وأجازه .

ومن إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني وهو الذي حاز قصبات السبق في فن الأدب على أتباعه، وفاز من البلاغة بِقَدْحِها المَعْلَى في عُنُقِها شابه، رسالة وضعها في هذا الفن، وصار له بها على أهله غاية المنّ، مع نزاهة نفسه الأنيّة، وارتفاعه عن المطامع الدنية، وإنما وضعها تجربة لحاظه، وضمها إلى فوائد دقّاته، وهي :

هذا عهد عهده زارِد بن لاقم، لبالع بن هاجم، استفتحته بأن قال : الحمد لله مسهل أوقات اللذات وميسرها، وناظم أسباب الخيرات ومكثِّرها، وجاعل أسواق الأفراح قائمة على ساق، جارية لمن ورد إليها بأنواع الإرفاد وأجناس الإرفاق، أحمدته

- على أن أحلنا في منازل السادات ، أرفع الدرجات ، وأحل لنا من الأطعمة الفاتحة
الطيبات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تهبنا إلى المقام الرفيع ،
وتخصنا بالمحل الحسيم المنيع ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رب المكارم الجسام ،
ومعدن الجسارة والإقدام ، الجامع بين فضيلتي الطعان والطعام ، صلى الله عليه وعلى
آله أهل السباحة والكرم والإكرام ، صلاة تحل قائلها في عُرفَات الجنان في دار
السلام ، وبعد ، فإن صناعة التطفيل صناعةٌ مهبوبة ، وحرقة هي عند الظروف
محبوبة ، لا يلبس شعارها إلا كل مقدام ، ولا يرفع خافق عليها إلا من عُدَّ في حرقة
من الأعلام ، ولا يتلو أساطير شهامتها إلا من ارتضع أفويق الصفاقة ، ولا يهتدى
لمنار علاليها إلا من نزع عن منكيه رداء الرقاعة والحماقة ، وكنت والقود غدا في
الإهاب ، والغصن ريان من ماء الشباب ، والقند يمس في حلة النشاط ، والقلم
تدفع الأرض ذرع الاختباط ، لا يقام سوقٌ وليمة إلا وأنا الساعي إليها ، ولا ترفع
أعلام نار مادبة إلا وكنت الواقف لديها ، اتخذ الدروب شبكا للأصطياد ، وجائل
أبلغ بها لذيق الأزداد ، قد جعلت المطس حليف الهواء ، والقلب نزيل الأهواء ،
لحيث عبت روائح الأباير من أعلى تلك القصور ، وتمندت تلك الشوارع
بزعفران البرم والقصور ، أقيت عصا المسير على الباب ، وتحت بحسن أدبي
قلب البواب ، وأوسعت في وصولي ألف حيلة ، وجعلتها على ما عندي من حسن
فنونها تحيلة ، فلا دعوة ، إلا وكنت عليهم دعوة ، ولا وليمة ختان ، إلا وقد طلعت
على أرجائها مثل الجان ، ولا سحاط تأنيب ، إلا وكنت إليه الساعي المنيب ، ولا يجمع
ضيافة ، إلا وكنت عليه أشد آفة ، ولا ملاك عرّس مشهود ، إلا وانتظمت في سلك
الشهود ، يحسن في قول القائل

لو طُبِّعَتْ قَدْرٌ بِمَطْمُورَةٍ * مَوْقُنْهَا الشَّامُ وَأَعْلَى الثَّنُورِ

وَأَنْتَ فِي الصِّينِ لَوَافِتِيهَا * يَا عَالَمَ الْغَيْبِ بِمَا فِي الْقُدُورِ

واليوم قد مال القويم إلى الأعوجاج، وعزّ بازي الشهب غُرَابِ الشَّعْرِ الدَّاجِ،

وقيد الزمَنُ أقداما، ومنمت الشيخوخة إقداما، وصرت لهما على وَصَمٍ، بعد أن كنت

نارا على عِلْمٍ، وقد أفادتني التَّجَرُّبَةُ من هذه الصناعة فنونا، وتلت على من محاسنها متونا،

وقد أبقيت لكل مجمع بابا، وقد لُكِّتْ لكل مشهد حسابا، وقد اقتضى حسن الرأي

أن أفوض إليك أمرها، وأودع تأمورا قليلك وحسبك سِرَّها، علمي بأنك الكَيْسُ

الْقَعْلَنُ، بل الأَلْمَنِيُّ الدَّرِبُ المَرِينُ، لو عقدت أكلةً الولائم يقاب وجهه، وأحسن بتأنيبه

الجميل مدخله ومخرجه، وقد شاهدت من أعمالك الصالحة، ما يقال عند ذهابي:

ما أشبه الليلة بالبارحة، وقد عَهِدْتُ إِلَيْكَ، واستخرت الله في التحويل عليك،

(١٤)

فمثلك من يُحْطَبُ للناصب، ويتسَمَّ ذُرُوءُ المراتب، ودونك ما أُعْطِيَ به من الوصايا،

وأحفظ ما يَرُدُّه لسانُ القلم من جميل المزاي، إياك وموائد اللثام، وأزول بساحات

الكرام، وأتخذ الشروع في الشوارع حرفة، وأظهر على مشيك صَلافةً وعِفَّةً، وميّز

بينك حُسْنَ المساطب ونقش السُّتُور، وجمال الخدم وقعود الصدور، وأقصد

الأبواب العالسة، والأكلة المنقوشة الجالية، فإن دُلِّلت على مَأْدَبَةٍ نصبتها بعض

الأعيان، وجمع إليها أصحابه الإخوان، فالتبس من ثيابك الجميلة قشيبها، وضوع

بالمئذيل الرطب طيبها، وأخبر خُبرَ صاحب الدار وأخباره، وقف في صدر الشارع

من الحار، فإذا رأيت الجمع وقد تهادوا بالهوادى والأقدام، وتهادوا فيما بينهم لذية

الكلام، تقدّم إليهم بقلب قلب الأمور، وعلم بحسن تطاعه وتضلمه داء الجمهور، وقل

لهم: رب الدارق استبطاكم، فإ الذي أبطلاكم. حتى إذا قاربوا صعود العتبة،

٢٠

- ولم تبقَ هناك مَعْبَةٌ ، تَهْدَمُ رافعا لم السور ، ومعزفا بمقدار أولئك الصدور ،
 فالأضياف ، يعتقدون أنك غلام المضياف ، وربُّ الحِلَّةِ ، يعتقد أنك رفيق السادة
 الحِلَّةِ ، وإن وُلِّيتَ مجتمع ختان ، وقد نُصِبْتَ فيه ، وائِدُ الألوان ، وذُرِفَتِ الأبواب ،
 وأكْفِهَرَتْ وجوهُ المُجَنَّبِ ، فأجعل تحتِ ضَهْنِكَ المجمع ، وأخدع قلوبهم فمثلك من
 يَتَخَدَّع ، وقل : رفيق الأستاذ ومعيته ، ورجله التي يسعى بها بل يمينه ، حينئذ تَرْفَعُ
 السُّور ، وتُقدِّمُ لك أطايبُ القُدور ، وإن رماك القَدَرُ على باب غفل عنه
 صاحبه ، وسها في غفلة حاجبه ، وقد مدُّوا في أوانيهِ سِمْطًا ، وجعلوا لأوائل من
 يخدمه فِرَاطًا ، وقد تقاربت الزيادة ، وأمتدت الأيادي ، ورأيت السَّيَّاطَ رَوْضَةً
 تخالفت ألوانها ، وأمتدت أفنانها ، والموائد فيما بينها أفلاكٌ تدور بصحونها ، بل
 بروج ثابتة تُشِيرُ بسكونها ، فُلِّجَ على غُفْلَةٍ من الرقيب ، وأبسطَ بَنانَ الأكل وكُفِّ
 لسان الحبيب ، فإن قيل لك : أما عُقِّي دونك باب ؟ فقل : ما على الكرماء من حِجَابِ ،
 وإِيَّاكَ والإِطْلَافَةَ على الموائد ، فإنها مصائدُ الشوارد ، وإِيَّاكَ والقَدَّارَةَ عليها ، فإنها إمارة
 الحِرْمان لديها ، وإن وقعت على وليمة كثيرة الطعام ، قليلة الأزدحام ، كَبُرَ اللِّقْمَةُ ولا تطل
 عَلَئُكُمَا ، ومُرَ الفُكِّ في سرعة أن يَفُكَّهَا ، فإنك ما تدري ما تُحدث الليالي والأيام ، خِيفَةً
 أن يَمُتَّ عَلَيْكَ بعض الأتوم ، فتكتسى حُلَّةُ المَجْهَلِ ، وتظهر على وجهك صُفْرَةٌ
 الوَجَلِ ، وأجعل من آدابك ، تطلُعك الى أبوابك ، ولا ترفع لمسجَلِ وجهها وجهها ،
 وقل لمن يحادثك : إِيه ولا تَقُلْ : إِيها ، وجلوب بنم ، فإنها مُعِينَةٌ على اللُّقْمِ ، وأجعل
 لكل مقام ما يناسبه من الحيلة ، ومِلْ على أهل الولائم والمآدب مِيلَةً وَأَتَى مِيلَةً ،
 وأسأل عمن ورت من آباته مالا ، وقد جمعه بوعثاته السفر وعثاته حراما وحلالا ،
 أهل يَفْقِدُ مقاما ؟ أم يبلغ من دنياه بالقصص مراما ؟ فإن قيل : فلان الفلاني رَبَّ

هذه المثابة، وصاحب الدعوة المحبابة، فكن ثالثة الأثافي ليأيه، وانتظم في سلك
عشرائه وأترابه، وتفقد الأسواق خصوصاً الخامين، ومواطن الطبع ومساطب
المطربين، وتجمع القراء ومعاهد محال الوعاظ، وكل بقعة هي مظنة فرح يعود عليك
نعمه وكن أول داخل وآخر خارج، ومل إلى الزوايا، فهي أجمل مالهذه الحرفة من
الزوايا، وتقل ركابك في كل يوم، فسارة في سوق اللحم وتارة في سوق الثوم، وغير
الحلية، وقصر الخفية، وأبرز كل يوم في لباس، فهو أكثر للكتاس، وجدد البهت
حتى تقيده عصاك، وتجعله ذريعة لمن عصاك، وأتقن الفنون المحتاج إليها من غنى
ونجامة، وطب وشهامة، وتاريخ وأدب، وكرم أصل وحسب، وحاشي التوقيت
والتزليل، فاجعلها دأبك، فإذا عرفوك، وحضر الجمع وكشفوك، فقلز كل عطل
بجائز أقوالك، وكلل جيد كل مادية بجواهر أفعالك، وأعلم أنها صنعة دثرت
معالمها، وقل عالمها، ولو لم أر على وجهك غائل بشرها، وعلى أعطاف أردافك روايح
نشرها، لما أقيت إليك كتاب عهدا، ولا حملت لبابك راية مجدها، فتلق راية
هذا العهد بسايد مساعد، وعضد في الوكوج على الأسمطة معايد، فوضت إليك أمر
من تحل بجواهرها المنظومة، وليس حللها القشبة المرقومة، وبسطت لسان
قلبك في رقم عهدها، وأذنت لك أن تحجهم على سن معهودها، وإياك أن تعهد
إلا لمن ملك خصلها، وجاس خلاها، وأستجلى هلالها، وأتقن أحوالها، ولاية
عامة، وكلاسة مبرمة تامة، حرس الله بك معقل الأدب واللطافة، ومحاك معالم
النحالة والكثافة.

ذكر آداب الأكل والمؤاكلة

قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ) وَرَوَى أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ مُنَادِيَهُ فَنَادَى : أَيُّهَا النَّاسُ ،
اجْتَمِعُوا لِأَعْلَمِكُمُ التَّقْوَى ، فَاجْتَمِعُوا فَقَامَ فِي عِجْرَابِهِ ، فَبَكَى ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،
ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَدْخُلُوا هَاهُنَا إِلَّا طَيِّبًا ، وَلَا تُخْرِجُوا مِنْهُ إِلَّا طَيِّبًا ، وَأَشَارَ
إِلَى فِيهِ . قِيلَ : أَوَّلُ آدَابِ الْأَكْلِ ، مَعْرِفَةُ الْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ ، وَالْخَبِيثِ مِنَ
الطَّيِّبِ .

وَأَمَّا الْآدَابُ فِي هَيْئَةِ الْمُؤَاكَلَةِ وَأَفْعَالِهَا ، فَقَدْ رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَاعَابَ طَعَامًا قَطُّ ، إِنْ أَشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ . وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « لَا تَسْمُوا الطَّعَامَ كَمَا تَسْمُهُ الْبَهَائِمُ ، مِنْ أَشْتَهَى شَيْئًا فَلْيَاكُلْ ، وَمَنْ كَرِهَ
فَلْيَدَعْ » . وَقَالَ أَنَسٌ : قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ ،
وَدَخَلْتُ دَارَنَا ، فَحَلَبْنَا لَهُ شَاةً ، فَشَرِبَ ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ يَسَارِهِ ، وَأَعْرَاجِي عَنْ يَمِينِهِ ، فَقَالَ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَعْطَى أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْإِيمَنُ
فَالْإِيمَنُ » وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الشَّاعِرُ

صَدَدْتُ الْكَأْسَ عَنَّا أُمُّ عَمْرٍو ۝ وَكَانَ الْكَأْسُ يَجْرَاهَا إِيَّيْنَا

وَرَوَى عَنْ أَنَسٍ : أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ جُرْعَةً ، ثُمَّ قَطَعَ ،
ثُمَّ سَمَّى ، ثُمَّ شَرِبَ جُرْعَةً ، ثُمَّ قَطَعَ ، ثُمَّ سَمَّى ، ثُمَّ قَطَعَ الثَّلَاثَةَ ، ثُمَّ جَرَعَ مَضًا ، حَتَّى
فَرَّخَ ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ . وَقَدْ نَدَبَ إِلَى غَسْلِ الْيَدِ قَبْلَ الْأَكْلِ فَإِنَّهُ يَنْفِي الْفَقْرَ ، وَيُنَقِّي اللَّعْمَ ،
وَمِنْ السُّنَّةِ : الْبِدْءُ بِاسْمِ اللَّهِ ، وَحَمْدِهِ عِنْدَ الْإِشْتِهَاءِ .

رَوَى عن عمر بن أبي سلمة أنه قال : مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يأكل ، فقال « اجلس يابني وممّ الله ، وكلّ يمينك مما يليك » .

وقال بعض السلف : إذا جمّع الطعام أربعة ، فقد كلّ كلّ شيء ، إذا كان حلالاً ، وذَكَرَ اسمُ الله عليه ، وكَثُرَتْ عليه الأيدي ، وُحِدَ الله حين يُفْرَغُ منه .

• وَرَوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال عند مَطْعَمِهِ ومَشْرَبِهِ بِاسْمِ اللَّهِ خَيْرَ الْأَسْمَاءِ رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ لَمْ يَضُرْهُ مَا أَكَلَ وَمَا شَرِبَ » وفي حديث عائشة رضي الله عنها ، عنه صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أكل أحدكم فَلْيَذْكُرْ اسمَ الله فإنَّ نَبِيَّيَ في أَمَلِهِ ، فَلْيَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ في أَمَلِهِ وَآخِرِهِ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا أكل أحدكم فليأكل يمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله » . ١٠

وَرَوَى : أن المسيح عليه السلام كان إذا دعا أصحابه قام عليهم ، ثم قال : هكذا فاصنعوا بالفقراء .

ووصف شاعر قوما فقال

جُلُوسٌ في مجالسهم رِزَانٌ • وإن ضَيْفُ أَلَمٍ بِهِمْ وَوُقُوفٌ

قال سَهْلُ بنِ حُصَيْنٍ : شهدت الحسن في وليمة ، فطعمهم ثم قام ، فقال : مد الله لكم في العافية ، وأوسع عليكم في الرزق ، وأستعملكم بالشكر . ١٥

وَرَوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تَحَلَّلُوا فإنه نظافة والنظافة من الإيمان ، والإيمان مع صاحبه في الجنة » .

وفي حديث عمر رضي الله عنه : عليكم بالتحشيتين : يعني السَّوَالِكَ وَالْحَلَالَ .

وكان بعضهم يقول لولده إذا رأى حرصه في الطعام : يَا بُنَيَّ، عَوِّدْ نَفْسَكَ الْآخِرَةَ،
ومجاهدة الشهوة، وَلَا تَهْتَسِ نَبَسَ السَّبَاعِ، وَلَا تَخْضَمْ خَضَمَ الْبَرَاذِينِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ
إِنْسَانًا، فَلَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ بَيْعَةً .

وحكى عن بعض الكلاب قال : تفديت مع المأمون فالتفت لى وقال : خلال
قبيحة عند الجلوس على الطعام : كثرة مسح اليد، والانتكاب على الطعام، وكثرة أكل
البقل، ومعنى ذقه هذه الخلال الثلاث: أنه إذا أكثر مسح اليد فإنا ذلك من غمسها
في الطعام، والانتكاب يدل على شدة الحرص وزيادة الشره والتهم . قال الشاعر
لقد سترت منك الإخوان عمامة * دجوجية ظلماتها ليس تقلع
وأما البقل، فإن الحاجة إلى البقلة منه، وفي الإكثار منه تشبه بالبهائم، لأنه مرعاها .

وقيل : الأكل ثلاثة : مع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع أبناء
الدنيا بالأدب .

وقيل لبعض الحكماء : أى الأوقات أحمد للأكل ؟ فقال : أما مَنْ قَدَّرَ فإذا
أشتهى، وأما مَنْ لَمْ يَقْدِرْ فإذا وجد .

ذكر الاقتصاد في المطاعم والعفة عنها

قال الله عز وجل : (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« مَنْ زَارَهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فَقَرَّبَ إِلَيْهِ مَا تيسر غفر له وجعل في طعامه البركة، ومن
قُرَّبَ إِلَيْهِ مَا تيسر فاستحق ذلك كان في مقته من الله حتى يخرج » . وقالت عائشة
رضي الله عنها : أَوْفَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ مُدَيْنٍ مِنْ شَعِيرٍ .

وقيل : كان عيسى بن مريم صلوات الله عليه يقول : أعملوا ولا تعملوا لبطونكم ، وإياكم وفضول الدنيا ، فإن فضولها رجزٌ ، هذه طير السماء تغدو وتروح ، ليس معها من أرزاقها شيء ، لا تحرث ولا تحصد ، والله يرزقها ، فإن قلت : بطوننا أعظم من بطونها ، فهذه الوحش تغدو وتروح ، وليس معها من أرزاقها شيء والله يرزقها .

وروى أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه : لما دخل شهر رمضان كان يقطر ليلة عند الحسن ، وليلة عند الحسين ، وليلة عند عبد الله بن جعفر ، لا يزيد على لقمتين أو ثلاث ، ف قيل له : فقال : إنما هي أيام قلائل يأتي أمر الله وأنا نعيم ، فقتل من ليلته .

وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من قل طعمه صح بدنه وصفا قلبه ، ومن كثر طعمه سقم جسمه وقسا قلبه" . وعنه صلى الله عليه وسلم قال : "ما زين الله رجلا بزينة أفضل من عفاف بطنه" . قال حاتم

أبيت نعيم البطن مضطجرا الحشا * من الجوع أخشى الدم أن أتضلعا
فإنك إن أعطيت بطنك سُؤله * وفرجك نالا منتهى الدم أجمعا

وقال بعضهم : رأيت مجنونا ببغداد ، وهو على باب دار فيها صنيع والناس يدخلون ، وكنت من دُعي ، فقلت : ألا تدخل فتأكل ؟ فإن الطعام كثير ، قال : وإن كثر فإني ممنوع منه ، فقلت : كيف والباب مفتوح ، ولا مانع من الدخول ؟ فقال : أكل طعاما لم أدع إليه ؟ لقد أضطرنى إلى ذلك غير الجوع ، فقلت : ما هو ؟ قال : دناءة النفس وسوء الغريزة ، قال شاعر

وإني لآعف عن مطامير جمّة * إذا زين الفمشاء للنفس جوعها

وقال أنس

وأعيرَ من عن مطاعٍ قد أراها • فأتركها وفي البطن أنطاؤه
فلا وأبيك ما في العيش خيرٌ • وفي الدنيا إذا ذهب الحياءُ!

قال الجعيد : مرةً في الحارث بن أسد المحاسبي ، فرأيت فيه أثر الجوع ، فقلت :

- يا عم ، تدخل الدار وتناول شيئاً ؟ قال : نعم ، فدخل ، وقدمت إليه طعاماً حُل
إلى من عرس ، فأخذ لقمة فلا كلها وتَهَضَّ فالتقاها في الدهليز ومضى ، فالتقيت به
بسد أيام ، فقلت له في ذلك ، فقال : كنت جائعاً ، وأردت أن أسرك بأكل ،
ولكن بيني وبين الله تعالى علامة ، أن لا يسوغني طعاماً فيه شبهة ، فمن أين كان
ذلك الطعام ؟ فأخبرته ، ثم قلت له : تدخل اليوم ؟ قال : نعم ، فقدمت إليه كسراً
كانت لنا فأكل وقال : إذا قدمت لفقر شيئاً ، فقدم مثل هذا .

رُوي أن عمرو بن العاص قال لأصحابه يوم الحكيين : أَكثَرُوا لِمِ الطعام ، فواته
ما يَظُنُّ قوم إلا فقدوا بعض عقولهم ، وما مضت عَزَمَةٌ رجل بات بطينا ، فلما وجد
معاوية ما قال صحيحاً ، قال : البَطْنَةُ تُكْهِبُ الفِطْنَةَ .

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تُبْتِوا القلوب بكثرة الطعام
والشراب ، فإن القلوب تموت كالزروع إذا كثر عليه الماء » .

ودخل عمر رضي الله عنه على ابنه حاصم وهو يأكل لحماً فقال : ما هذا ؟ قال : قرمنا
إليه ، قال : ويحك ! قَرِمْتَ إلى شيء فأكلته ، كفى بالمرء شَرَمًا أن يأكل كل ما يشتهي .

قال ابن دريد : العرب تُعَيِّرُ بكثرة الأكل ، وأنشد

لستُ بأَكالٍ كأكل العبد • ولا بَنَوَامٍ كَنَوَامِ الفهد

وقال عمر رضى الله عنه : ما أجمع عند النبي صلى الله عليه وسلم إدامان إلا أكل
أحدهما وتصلق بالآخر .

وقال أبو سليمان الداراني : خير ما أكون إذا لَصِقَ بطنى بظهرى ، أُجوعُ الجوعَ
فأخرج تَرَحُّمِي المرأةَ فما ألفت إليها ، وأَشْبَحَ الشَّبْعَةَ فأنرج فأرى عيني تطمعان .

ذكر أخبار الأكلة

قد نُسِبَ ذلك إلى جماعة من الأكابر وذوى الهِمَم ، فمن ذلك ما حكاه الحمطوني
في تذكرته : أن معاوية بن أبي سفيان أتى بِعَجَلٍ مَشْوِيٍّ ، فأكل معه دستا من
الخبز السميد ، وأربع فَرَّانِي^(١) ، وَجَدِيًّا حَارًّا ، وَجَدِيًّا بَارِدًا ، سوى الألوان ، وَوُضِعَ بين
يديهِ مَائَةٌ رطل من الباقلاء الرطب ، فَأَتَى عليه ، وقيل : إنه كان يأكل كل يوم أربع
أَكَلَاتٍ آخرهنَّ أَشَدَّهنَّ ، ثم يقول : يا غلام ، أرفع ، فوالله ما شِيعَتْ ، ولكنى مَلَكْتُ .

ومنها عُمَيْدُ الله بن زياد ، كان يأكل في اليوم خمسَ أَكَلَاتٍ آخرها جنبنة
بغل ، وَيُوضَعُ بين يديه بعد ما يفرغ من الطعام عَنَاقٌ^(٢) أو جَدَى فيأتى عليه وحده .

ومنها الجُحَّاجُ بن يوسف ، قال سالم بن قُتَيْبَةَ : كنت في دار الجُحَّاجِ مع ولده ، وأنا
غلام ، فقالوا جاء الأمير ، فدخل الجُحَّاجُ وأمر بَتْنُورَ ، فَغُصِبَ ، وأمر رجلا بِخَبْزِ خبز الماء
ودعا بِسَمَكٍ ، فأكل حتى أتى على ثمانين جاما من السمك ثمانين رغيفا من خبز الماء .

ومنها سليمان بن عبد الملك ، رُوِيَ أَنَّهُ شَوَّى لَهُ أَرْبَعَةَ وَثَمَانُونَ نَرُوقًا ، فَجَدَّه
إلى كُلِّ واحد منها فأكل شحم أليته ونصف بطنه ، مع أَرْبَعَةَ وَثَمَانِينَ رَغِيفًا ، ثم أَذِنَ
للناس ، وَقُدِّمَ الطعام ، فأكل معهم أَكْلًا من لم يَنْقُ شيئا .

(١) الفَرَّانِي : خَبْزٌ يُشْوَى وَيُرْوَى سَمًا وَلَبَنًا وَسُكَّرًا .

(٢) العَنَاق : الأُنثَى من أولاد المَرْءِ .

وقال الشَّردَل ويكل عمرو بن العاص : قَدِمَ سليمان بن عبد الملك الطائف ،
فدخل هو وعمر بن عبد العزيز ، بغاء حتى أُلقي صدره إلى غصن ، ثم قال : يا شَمْرَدَل ،
ما عندك شيء تَطْعُمُنِي ؟ قلت عندى جَدْعٌ تَفْدُو عليه حَافِلٌ وتروح أخرى ، قال :
يَجَلُّ به ، فأتيته به كأنه عَصَا سِن ، فجعل يأكل ، وهو لا يدعو عمر ، حتى بقي منه نخذ ،
قال : يا أبا حفص ، هَلُمَّ ، قال : إني صائم ، فأتى عليه ، ثم قال : يا شمردل ويك !
ما عندك شيء ؟ قلت : دجاجات ست ، كأنهن رِيْلَانُ النعام ، فأتيته بهن فأتى عليهن ،
ثم قال : ويك يا شمردل ! ما عندك ؟ قلت : سَوِيْقٌ كأنه قُرَاضَةُ الذهب ، فأتيته
بِصُ^(١) يغيب فيه الرأس ، فشربه ، فلما فرغ نجشاً كأنه صارخ في جُبٍّ ، ثم قال :
يا غلام ! أفرغت من غدائنا ؟ قال : نعم ، قال : ما هو ؟ قال : نَيْفٌ وثمانون قِدرًا ،
قال : فات بقدر قدر ، وبقناع عليه رُقَاقٌ ، فأكل من كل قِدر ثلاث لقم ، ثم مسح
يده وأستلقى على فراشه ، فوضع الخوان ، وقعد يأكل مع الناس .

ومن المشهورين بالأكل ، هلال بن الأسعر المازني ، قال المعتمر بن سليمان :
سألته عن أكله فقال : جمعتُ مرةً ومعى بَيْرُكُ فَنَحَرْتُهُ وأَكَلْتُهُ إلا ما حَلَّتْ منه
على ظهري ، فلما كان الليل راوَدْتُ أمةً لى فلم أصل إليها ، فقالت كيف تصل إلى
وبينى وبينك جمل ؟ فقلت له : كم بلغت هذه الأكلة ؟ فقال : أربعة أيام .
وحكى أبو سعيد منصور بن الحسن الأبي في كتابه المترجم بنشر الدر : أن هلالا
هذا أكل بيرا ، وأكلت أَمْرَأَتُهُ فصيلا وجامعها ، فلم يتمكن منها ، فقالت له : كيف
تصل إلى وبنى وبينك بيران ؟ وله حكايات ذكرها الحمدوني في التذكرة ، والأبي
في ثر الدر تركها اختصارا .

(١) الْمُس : القَدَحُ العظيم .

ومنها محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ذكر الجاحظ : أنه أكل يوما
جني بكر شواء بعد طعام كثير .

- ومن المشهورين بالنهم ، أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون ، وكان
المأمون إذا وجهه في حاجة ، أمره أن يتفدى ويمضى فرُجِعَ إلى المأمون في المظالم :
إن رأى أمير المؤمنين أن يحرق على ابن أبي خالد نُزْلاً ، فإن فيه كلفة ، إلا أن
الكلب يحرس المنزل بكثرة ، وابن أبي خالد يقتل المظلوم ، ويُعين الظالم بأكله ،
فاجرى عليه المأمون في كل يوم ألف درهم لما تئذته ، وكان مع ذلك يشتره الى طعام
الناس . ولما أنصرف دينار بن عبد الله من الجبل ، قال المأمون لأحمد بن أبي خالد :
امض إلى هذا الرجل وحاسبه وتقدم إليه تحيل ما يحصل لنا عليه وأنفذ معه خادما
يُثْبِتُ إليه ما يكون منه ، وقال : إن أكل أحمد عند دينار عاد إلينا بما نكره ،
ولما اتصل خبر أحمد بدينار ، قال للطباخ : إن أحد أشره من نُفِخَ فيه الروح ، فإذا
رأيت قتل له : ما الذي تأمر أن يتخذ لك ؟ ففعل الطباخ ، فقال أحمد : فراريج
كسرية بماء الرمان تقدم مع خبز الماء بالسמיד ، ثم هَاتِ بعدها ما شئت ، فابتدأ
الطباخ بما أمر ، وأخذ أحمد يُكَلِّمُ ديناراً ، فقال له : يقول لك أمير المؤمنين : إن لنا
قبلك ما لا قد حبسته علينا ، فقال : الذي لكم ثمانية آلاف ، قال فاحملها ،
قال : نعم ، وجاء الطباخ فاستأذن في نصب المائدة ، فقال أحمد : تحجل بها فإني
أجوع من كلب ، قُدِّمَتْ وعليها ما اقترح ، وقدم البجاج وعشرين فروجا كسرية
فاكل أكل جامع نهم ، ما ترك شيئاً مما قدم ، فلما فرغ وقدر الطباخ أنه قد شبع ،
لوح بطيورية فيها خمس سمكات شباييط كأنها سباتك الفضة ، فانكر أحمد عليه
إلا قدمها ؟ وقال : هاتها ، وأعاد أحمد الطباخ ، فقال دينار : أليس قد عمرتك

أن الباقي لكم عندي سبعة آلاف ألف؟ قال أحسبك أعترفت بأكثر منها، فقال: ما أعترفت إلا بها، فقال: هايت خطك بما أعترفت به، فكتب بستة آلاف ألف فقال أحمد: سبحان الله! أليس قد أعترفت بأكثر من هذا؟ قال: ما لكم قبلي إلا هذا المقدار، فأخذ خطه بها وتقدم الخادم، فأخبر المأمون بما جرى، فلما ورد أحمد تأوله الخط، فقال: قد عرفنا ما كان من الألف ألف بتناول الغداء، فما بال الألف ألف الأخرى، فكان المأمون بعد ذلك يقول: ما أعلم غداء قام على أحد بالني ألف إلا غداء دينار، واقتصر على الخط ولم يتعقبه كرمًا وتبلاً.

ومنها أبو العالية، حكى أن امرأة حملت فحلفت إن ولدت غلاما لأشيعر أبا العالية خبيصا، فولدت غلاما، فأطعمته، فأكل سبع جفان، فقيل له: إنها حلفت أن تشبعك خبيصا، فقال: وافقه لو علمت لما شيعت إلى الليل.

ومنها أبو الحسن بن أبي بكر العلاف الشاعر دخل يوما على الوزير المهملبي ببغداد، فأنفذ الوزير من أخذ حماره الذي كان يركبه من غلامه، وأدخل المطبخ وذبح وطبخ لحمه بماء وملح، وقدم بين يديه، فأكله كله وهو يظن أنه لحم بقر، فلما خرج طلب الحمار، قيل له: قد أكلته، وعوضه الوزير عنه ووصله، فهذا كافي في أخبار الأكلة.

ذكر ما قيل في الحب والفرار

ومن أقبح ما يهيج به الرجل أن يكون جبانًا فرارًا، وقد نهانا الله عز وجل عن الفرار، فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَعْلَمَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا زُحْمًا فَلَا تُؤَلُّوهُمْ الْاَدْبَارَ وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ



وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) . وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) . وقالت عائشة رضي الله عنها : إن الله خلقنا، قلوبهم كقلوب الطير، كلما خَفَقَتِ الرِّيحُ خَفَقَتْ معها ، فَأَفَّ الْجَبْنَاءُ ، أَفَّ الْجَبْنَاءُ .

وقال خالد بن الوليد عند موته : لقيت كذا وكذا زحفا ، وما في جسدي موضع إلا فيه طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم ، وهانذا أموت على فراشي خف أُنْهِ ، كما يموت العير ، فلا نامت أعين الجبناء .

وقيل كتب زياد إلى ابن عباس : أن صف لي الشجاعة والجن والجن والجنود والبخل فكتب إليه : كتبت تسألني عن طبائع ركبت في الإنسان تركيب الجوارح ، أعلم أن الشجاع يقاتل عن لا يعرفه ، والجناب يفر عن عرسه ، وأن الجواد يعطي من لا يلزمه ، وأن البخيل يمسك عن نفسه ، وقال شاعر
يَفِرُّ جَبَانُ الْقَوْمِ عَنْ عِرْسِ نَفْسِهِ * وَيَتَجَمَّعُ الْقَوْمُ مِنْ لَا يَنَاسِبُهُ
وقالوا : الجن غريزة كالشجاعة يضمها الله فيمن شاء من خلقه .

قال المتنبي

يرى الجبناء أن الجن حرم * وتلك خديعة الطبع اللئيم

وقالوا : حد الجن الضن بالحياة ، والحرص على النجاة .

وقالت الحكماء في القراسة : من كانت فزعته في رأسه ، فذاك الذي يفر من أمه وأبيه ، وصاحبه وأخيه ، وفصيلته التي تُؤويه .

ويقال : أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم حياء من الفرار . وقال هاني الشيباني لقومه يوم ذي قار يحرمهم على القتال : يا بني بكر ! هالك معذور ، خبر من نأج

١٥

٢١

فَرُور، المنيّة، ولا الدنيّة، استقبال الموت خير من استبداده، الثغر في ثغور النحور،
خير منه في الأعجاز والظهور، يأنّي بكر ! قاتلوا، فما من المنايا بُدّ، الجبان مَبْقُض
جَنّى لأُثمّه، والشجاع مُحَبَّبٌ حَتّى لعدوّه .

ويقال : الجُبْنُ خيرُ أخلاقِ النساءِ، وشَرُّ أخلاقِ الرجال .

- وقال يعلّى بن مُنيّة لقومه حين فروا من على يومِ صفّين : إلى أين ؟ قالوا : ذهب
الناس ، قال : أُنْفِ لكم ! فرارا واعتذارا ! قال : ولما قوتل أبو الطيّب المنهني
ورأى الغلبة عليه فر، فقال له غلامه : أترضى أن يُحدّث بهذا الفرار عنك ؟ وأنت
القائل

الخيْلُ والليلُ واليَسَاءُ تَمُرُّنِي * والعَلَنُ والضَرْبُ والقِرطاسُ والقَلَمُ

- ١٠ فكرت راجعا، وقاتل حتى قُتِلَ، وأستقيح أن يُعيّرَ بالفرار .

وقال المنصور لبعض الخوارج عليه وقد ظفّره : أخبرني عن أصحابي، أيهم كان
أشدّ إقداما في المبارزة، قال : لا أعرف وجوههم مقبلين وإنما أعرف أفضيتهم
مُدبرين، فقل لهم : يُدبروا لأعرفك أيهم كان أشدّ فرارا .

وقال ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر

- ١٥ قِرْنُ سُلَيْمَانَ قَدْ أَضْرَبَهُ * شَوْقٌ لِي وَجْهَهُ سَيَدْنُهُ

لا يعرف القِرْنَ وَجْهَهُ ويرى * قصاه من قَرَحٍ فيمِرُّهُ

وقال حسان بن ثابت يُعيّرُ الحارثَ ابنَ هشامٍ بفراره يوم بدر

إن كنتِ كاذبة الذي حدثتني * فنجوتِ منجى الحارثِ بنِ هشامٍ

ترك الأجيبة لم يُقاتل دونهم * ونجا برأس طيمرةٍ ولحامٍ

- ٢٠ ملأت به التمرجين فأرمدت به * وتوى أحبتسه بئر مقامٍ

وقال أبو الفرج الأصفهاني : وكانت أبو حية النخري وهو الهيثم بن الربيع
ابن زُرارة جباناً بخيلاً كذاباً ، قال ابن قتيبة : وكان له سيف يسميه : لُعَابِ المنيّة ،
ليس بينه وبين الخشب فرق ، قال : وكان أجبن الناس ، قال : فغدقني جاره ،
قال : دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصاً ، فأشرفت عليه ، وقد أنتضى سيفه ،
وهو واقف في وسط الدار يقول : أيها المُعْتَرِبُنا ، المجترئ علينا ، بئس والله
ما اخترت لنفسك ، خير قليل ، وسيفٌ صليل ، لعاب المنيّة الذي سمعت به ،
مشهورة ضربته ، لا تخاف نبوته ، أخرج بالفعو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة
عليك ، إني والله إن أدعُ قيساً إليك لا تم لها ، وما قيس ؟ تملأ والله القضاء خيلاً
ورجالاً ، سبحان الله ! ما أكثرها وأطيبها ! فبينا هو كذلك ، إذا الكلب قد خرج ،
فقال : الحمد لله الذي مسحك كلباً ، وكفانا حرباً . ١٠

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم ، قول الشاعر
ولو أنها عُصْفُورَةٌ لحسبتها * مسومةٌ تدعو عبيداً وأرئماً^(١)

ومثله قول عمرو بن الورد
وأشجعُ قد أدركتهم فوجدتهم * يخافون خطفَ الطير من كلِّ جانبٍ
وقال آخر ١٥

مازلت تخسبُ كلَّ شيءٍ بدمهم * خيلاً تكثرُ عليهم ورجالاً

وقول أبي تمام
مَوْكَلٌ بيفاع الأرض يشرفه * من خفة الخوف لا من خفة الطرب

وقال ابن الرومي

وفارس أجبن من صفر^(١) * يحول أو ينور من صفرة
لو صاح في الليل به صائح * لكأن الأرض له طفرة
يرحمه الرحمن من جبنه * فيرزق الجند به النصرة

(١٤٤)

ومن أخبار الفرارين الذين حسنوا القرار على قبعة

قال صاحب كلية ودمنة : إن الحازم يكره القتال ما وجد بدا منه ، لأن النفقة فيه من النفس ، والنفقة في غيره من المال .
وقالوا : من توى سلم ، ومن تهوّر ندم .

وقال عبد الله بن المقفع : الشجاعة متلفة ، وذلك أن المقتول مقبلاً أكثر من المقتول مذنباً ، فمن أراد السلامة فليؤثر الجبن على الشجاعة .
وليم بعض الجبناء على جبنه ، فقال : أول الحرب شكوى ، وأوسطها تجوى ، وآخرها بلوى .

١٠

وقال آخر : الحرب مقتلة للعباد ، مذبة للطارف والتلاد .

وقيل لجبان : لم لا تقاتل ؟ فقال : عند النطاح يئلب الكرش الأجم^(٢) .

١٥

وقالوا : الحياة أفضل من الموت ، والفرار في وقته ظفر .

وقالوا : الشجاع ملق ، والجبان موق . قال البديع الهمداني

ماذا في مما كالشجاع ولا خلا * بمسرة كالعاجز المتواني

وقالوا : الفرار في وقته ، خير من الثبات في غير وقته .

(١) الصفر : طائر يقال له : أبو الملح وهو طائر جبان .

٢٠

(٢) الأجم : الذي لا قرن له ، وهو مثل يضرب لمن غلبه صاحبه بما اعتد له .

- وقالوا : السِّلْمُ أَزْكَى لِّالسَّالِءِ ، وَأَبْقَى لِأَنْفُسِ الرِّجَالِ .
- وقالوا : الحِمَامُ فِي الْإِقْدَامِ ، وَالسَّلَامَةُ فِي الْإِحْجَامِ .
- وقال المتوكل لأبي الميثاء : إِنِّي لِأَفَرِّقُ مِنْ لِسَانِكَ ، قِطْعَةً : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الْكَرِيمِ ذُو فَرْقٍ وَإِحْجَامٍ ، وَاللَّيْمِ ذُو وَقَاحَةٍ وَإِقْدَامِ .
- وقيل لأعرابيٍّ : أَلَا تَعْرِفُ الْقِتَالَ ؟ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْرَكَ بِهِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَبْضِضُ الْمَوْتَ عَلَى فَرَأْسِي فِي عَاقِبَةٍ ، فَكَيْفَ أَمْضِي إِلَيْهِ رَكُضًا ؟ قَالَ شَاعِرٌ
- تَمِشُ الْمَنَاسِيَا إِلَى قَوْمٍ فَأَبْنِضُهَا * فَكَيْفَ أَعْدُو إِلَيْهَا حَارِيَّ الْكَفَيْنِ ؟
- وقيل ليزيد : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا رَأَيْتَ شَخْصًا بِاللَّيْلِ ، فَكُنِ لِلْإِقْدَامِ عَلَيْهِ أَوْلَى مِنْهُ طَلِكٌ » فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ قَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ قَبْلِي ، فَأَقْعُ مَعَهُ فِيهَا أَكْرَهُ ، وَإِنَّمَا الْمَرْبُ خَيْرٌ . ١٠
- وَسَمِعَ سُلَيْمَانَ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَارِئًا يَقْرَأُ (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ أَعْيَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ أُقْتِلَ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) فَقَالَ : ذَلِكَ الْقَلِيلَ نُرِيدُ .
- وَلَمَّا قَرَأَ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ بْنُ أَسَدٍ يَوْمَ مَرَدَاءَ هَجَرَ بِالْبَحْرَيْنِ مِنْ أَبِي قُدَيْكٍ الْخَارِجِيِّ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ أَهْلُهَا ، فَلَمْ يَدْرُوا كَيْفَ يَكَلِّمُونَهُ وَلَا مَا يَقُولُهُ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ ، أَيْهَتُونَهُ بِالسَّلَامَةِ أَمْ يَعْزُونَهُ بِالْفِرَارِ ، حَتَّى دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْأَهِمِّ ، فَاسْتَشْرَفَ النَّاسَ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : مَا عَسَى أَنْ يَقُولَ لِمَنْهَزِمٍ ؟ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ :
- مَرْحَبًا بِالصَّابِرِ الْمُخْذُولِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَظَرَ لَنَا عَلَيْكَ ، وَلَمْ يَنْظُرْ لَكَ عَلَيْنَا ، فَقَدْ تَمَرَضْتَ لِلشَّهَادَةِ جِهْدَكَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَلِمَ حَاجَةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَيْكَ فَأَبْقَاكَ لَهُمْ يَنْذِلَانِ مِنْ مَعَكَ لَكَ ، فَقَالَ أُمَيَّةُ : مَا وَجَدْتُ أَحَدًا أَخْبَرَنِي عَنْ نَفْسِي غَيْرَكَ .
- وقال الحارث بن هشام وَأَحْسَنُ فِي اعْتِزَالِهِ عَنِ الْفِرَارِ ٢٠

الله يَسْلَمُ مَا تَرَكْتُ قَتَلْتُمْ * حتى عَلَوْا مُهْرِي بِأَشَقَرِ مُزَيْدٍ
وَعَلِمْتُ أَنَّ ابْنَ أَقَاتِلٍ وَاحِدًا * أَقْتُلُ وَلَا يَضُرُّ عِدْوِي مَشْهَدِي
فَصَدَفْتُ عَنْهُمْ وَالْأَجْبَةُ فِيهِمْ * طَمَعًا لَمْ يَغَابَ يَوْمَ سَرْمَدٍ
وَقَالَ زُقَرْنَ الْحَارِثُ وَقَدْ فَرَّ يَوْمَ سَرْمَدٍ رَاهِطٌ عَنْ رَفِيقِهِ

• أَيَنْهَبُ يَوْمَ وَاحِدٍ إِنْ أَسَانَهُ * بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحَسَنِ بَلَايَا؟
فَلَمْ تُرْ مَنَى زَلَّةً قَبْلَ هَذِهِ * فِرَارِي وَتَرَكَ صَاحِبِي وَرَائِي

وهي أبيات نذرها إن شاء الله في التاريخ، ونظير ذلك قول عمرو بن معد يكرب
من أبيات يخاطب بها أخته ريمانة، وقد فر من بني عبس
أجاعة أم الثَّوِيرِ خَزَايَةً * عَلَى فِرَارِي إِذْ لَقِيتُ بَنِي عَبْسٍ
وليس يُعَابُ الْمَرْءُ مِنْ جِبْنٍ يَوْمِهِ * إِذَا عُرِفَتْ مِنْهُ الْحِمَايَةُ بِالْأَمْسِ ١٠

وعكس هذا البيت عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي، وكان قد فر يوم الحرّة
من جيش مُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ، فلما حاصر الحجاج عبد الله بن الزبير بمكة جصل يقاتل
أهل الشام ويرتجز

أَنَا الَّذِي فَرَرْتُ يَوْمَ الْحَرَّةِ * وَالشَّبِيخُ لَا يَفِرُّ إِلَّا مَرَّةً
فَالْيَوْمَ أَجْزَى كَرَّةً بِفَرَّةٍ * لَا بَأْسَ بِالْكَرَّةِ بَعْدَ الْفَرَّةِ ١٥

ولم يزل يقاتل حتى قُتِلَ، قال الفوار السلمي

وفواريس لَبَسَتْهَا بِفَوَارِسَ * حَتَّى إِذَا أَكْثَسَتْ أَمَلْتُ بِهَا يَدِي
وَتَرَكْتُهُمْ تَقْضِ الزَّمَانُ ظُهُورَهُمْ * مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وَلَتَرٍ مُسْنَدٍ
هَلْ يَنْفَعُنِي أَنْ يَقُولَ نِسَاؤُهُمْ * وَقُتِلْتُ دُونَ رَجَالِهِمْ : لَا تَبْعِدُ؟

وقال آنس

قامت تُسَجِّعُنِي هِنْدُ قُلْتُ لَهَا : * إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْمَغْلُوبُ
لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَاهُ * مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مَنْ لَهُ أَرْبُ
لِغَرِبِ قَوْمٍ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ * إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِعْمَانِهَا وَثَبُّوا

وقيل لبلبان في بعض الوقائع : تَقَدَّمَ ، قَالَ

وَقَالُوا : تَقَدَّمَ قُلْتُ : لَسْتُ بِفَاعِلٍ * أَخَافُ عَلَى تَفَارُقِي أَنْ تَحْطَمَ
فَلَوْ كَانَ لِي رَأْسَانِ أَتَلَفْتُ وَاحِدًا * وَلَكِنَّهُ رَأْسٌ إِذَا زَالَ أَغْمَا
وَأَوْتَمَّ أَوْلَادًا وَأَرْمَلَ نِسْوَةً * فَكَيْفَ عَلَى هَذَا تَرَوْنَ التَّقَدُّمَ ؟

ذكر ما قيل في الحق والجهل

قَالُوا : الْحَقُّ قِلَّةُ الْإِصَابَةِ ، وَوَضْعُ الْكَلَامِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَقِيلَ : هُوَ فَهْدَانٌ
مَا يُجِدُّ مِنَ الْعَاقِلِ ، وَقِيلَ لِعَمْرِ بْنِ هُبَيْرَةَ : مَا حَدِّثَ الْحَقُّ ؟ قَالَ : لَا حَدَّ لَهُ كَالْعَقْلِ .
وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الْأَحَقُّ أُنْفُسُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ ،
لَأَنَّهُ حَرَمَهُ أَعَزُّ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ وَهُوَ الْعَقْلُ » .

❦

وَقِيلَ : أَرَى اللَّهَ تَعَالَى إِلَى مُوسَى ، أَتَدْرِي لَمْ رَزَقْتُ الْأَحَقُّ ؟ قَالَ : لَا يَأْرَبُ ،
قَالَ : لِيَعْلَمَ الْعَاقِلُ أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لَيْسَ بِالْاجْتِهَادِ .

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُزِيلَ عَنْ عَبْدٍ نِعْمَةً ، كَانَ أَوَّلُ مَا يُعْذِمُهُ عَقْلُهُ .
وَقَالُوا : الْحَقُّ دَاءٌ دَوَاوُهُ الْمَوْتُ . وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى لِحَبِيبِهِ مَنْ لَمْ يَعْقِلْ بِقَوْلِهِ (لِيُنْفِذَ
مَنْ كَانَ حَيًّا) قِيلَ : عَاقِلًا ، وَبِقَوْلِهِ (لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) .

وَعَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أُمِّي قَوْمٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَالَتْهُمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَيْفَ عَقُلُ الرَّجُلِ ؟ » فَقَالُوا : مُخْبِرُكَ عَنْ أَجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَصْنَافِ الْخَيْرِ وَتَسْأَلُنَا عَنْ عَقْلِهِ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْأَحْمَقَّ يَصِيبُ بِحُكْمِهِ أَعْظَمَ مِنْ فَجْوَةِ الْفَاجِرِ ، وَتَرْتِفَعُ الْعِبَادَةُ غَدَاً فِي الْمَدْرَجَاتِ عَلَى قَدَرِ عَقُولِهِمْ » .

وَمِنْ كَلَامٍ لِقَهَّانَ لَاكِبَنَةِ : أَنْ تَكُونَ أَنْحَرَسَ عَاقِلًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ نَطُوقًا جَاهِلًا ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيلٌ ، وَدَلِيلُ الْعَقْلِ النُّقْلُ ، وَدَلِيلُ النُّقْلِ الصَّمْتُ ، وَكَفَى بِكَ جِهْلًا أَنْ تَهَيَّي النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ وَتَرْكِبَهُ .

وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : عَابِلْتُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ فَأَبْرَأْتُهُمَا ، وَعَابِلْتُ الْأَحْمَقَّ فَأَعْيَانِي ، قَالَ شَاعِرٌ

لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ يُسْتَطْبَقُ بِهِ • إِلَّا الْحِمَاقَةَ أَعْيَتْ مِنْ يُدَاوِيهَا

وَقَالَ آخَرُ

وَعِلَاجُ الْأَبْذَانِ أَيْسَرُ خُطْبٍ • حِينَ تَمْتَلِ مِنْ عِلَاجِ الْعُقُولِ

وَقَالَ آخَرُ

الْحَقُّ دَاءٌ مَا لَهُ حِيلَةٌ • تُرْبِحِي كَعْدِ النِّجَمِ مِنْ مَسِّهِ

وَقِيلَ : إِذَا قِيلَ لَكَ إِنْ فَقِيرًا اسْتَغْنَى ، وَغَنِيًّا اقْتَفَرَ ، وَحَيًّا مَاتَ ، أَوْ مَيِّتًا عَاشَ ، فَصَدَّقَ ، وَإِذَا بَلَغَكَ أَنْ أَحْمَقَّ اسْتِفَادَ عَقْلًا فَلَا تَصَدَّقْ .

وَقَالُوا : الْأَحْمَقُّ نَفْسِي أُمُّهُ أَنَّهَا بِهِ مُشْكَلَةٌ ، وَنَفْسِي زَوْجُهُ أَنَّهَا مِنْهُ أَرْمَلَةٌ ، وَيَتَقَى جَاؤُهُ مِنَ الْعِزَّةِ ، وَرَفِيقُهُ مِنَ الْوَحْشَةِ ، وَأَخُوهُ مِنَ الْفُرْقَةِ .

وقال سهل بن هارون: وجدتُ مودةَ الجاهل، وعداوةَ العاقل، أسوةً في الخطر،
ووجدتُ الأُنسَ بالجاهل، والوحشةَ من العاقل، سِيئَةً في السَّيبِ، ووجدتُ غشَّ
العاقل أقلَّ ضرراً من نصيحةِ الجاهل، ووجدتُ ظنَّ العاقل أوقعَ بالصواب من
يَقِينِ الجاهل، ووجدتُ العاقلَ أحفظَ لما لم يُستَكتمَ من الجاهل لما استُكتمَ .
وقال لقمان لابنه : لا تُعاشِرُ الأحمقَ وإن كان ذا جمال ، وأنظر إلى السيف
ما أحسنَ مَنظَرَه وأقبحَ أثرَه ! .

وقال عليُّ رضي الله عنه : قطيعةُ الجاهل تعدلُ صِلَةَ العاقل ، وقال : صديقُ
الجاهل في نصب .

وقال آخر : لَأَنَا لِلْعَاقِلِ الْمُدِيرِ ، أَرْجَى شَيْءٍ مِنَ الْأَحْمَقِ الْمُقْبِلِ ، وقال شاعر
مَدْلُوكٌ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنَ السَّعْدِيِّ لَكَ الْوَامِقِ الْأَحْمَقِ

والبيت المشهور السائر

وَلَا نَ يُعَادِي عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ • مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ

وقيل : الحق يسلبُ السلامة ، ويورث الندامة ، وقد ذقوا مَنْ له أدب
بلا عقل .

وصف أعرابي رجلاً قال : هو ذو أدب وافر، وعقل نافر، قال شاعر
فَهَبْكَ أَخَا الْأَدَابِ ، أَيُّ فَضِيلَةٍ • تَكُونُ لَدَى عِلْمٍ وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ ؟



ومن صفات الأحمق وعلاماته ، قيل : ما أَعْدَمَكَ مِنَ الْأَحْمَقِ فَلَإِ يَدْعُوكَ
منه كثرة الالتفاتِ وسرعة الجوابِ ، ومن علاماته الثقةُ بكلِّ أحد .

وَيُقَالُ: إِنَّ الْجَاهِلَ مَوْلَعٌ بِمَجْلَاوَةِ الْعَاجِلِ، غَيْرُ مَبَالٍ بِالْعَوَاقِبِ، وَلَا مُعْتَبِرٌ بِالْمَوَاقِظِ، لَيْسَ يُجِبُهُ إِلَّا مَا ضَرَّهْ، إِنْ أَصَابَ قَعْلَى غَيْرَ قَصِيدٍ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَهُوَ الَّذِي لَا يَحْسُنُ بِهِ غَيْرُهُ، لَا يَسْتَوْحِشُ مِنَ الْإِسَاءَةِ، وَلَا يَفْرَحُ بِالْإِحْسَانِ .

وَقَالُوا: سِتُّ خِصَالٍ تُعْرِفُ فِي الْجَاهِلِ، الْغَضَبُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَالْكَلَامُ فِي غَيْرِ نَفْعٍ، وَالْفِطْنَةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَلَا يَعْرِفُ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ، وَإِفْشَاءُ السِّرِّ، وَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ .

وَقَالُوا: غَضَبُ الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ، وَغَضَبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ، وَالْعَاقِلُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا مَثَلًا، وَالْأَحْمَقُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا خُلْفًا، الْأَحْمَقُ إِذَا حَدَّثَ ذَهَلًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ عَجِلَ، وَإِذَا أُحْمِلَ عَلَى الْقَبِيحِ قَعَلَ .

وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ: إِبْتِاثُ الْحِجَةِ عَلَى الْجَاهِلِ سَهْلٌ، وَلَكِنْ إِقْرَارُهُ بِهَا صَعْبٌ .

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مَنْبِهٍ: كَانَ يَقَالُ لِلْأَحْمَقِ إِذَا تَكَلَّمَ: فَضَحَهُ حَقُّهُ، وَإِذَا سَكَتَ فَضَحَهُ عَيْبُهُ، وَإِذَا عَمِلَ أَفْسَدَ، وَإِذَا تَرَكَ أَضَاعَ، لَا عِلْمَ يُبَيِّنُهُ، وَلَا عِلْمَ غَيْرِهِ يُنْفَعُهُ، تَوَدَّ أَمَّهُ أَنَّهُ تَكَلَّمَ، وَتَنَحَّى أَمْرَأَتَهُ أَنَّهُ عَدِمَتْهُ، وَيَتَنَحَّى جَارُهُ مِنْهُ الْوَحْدَةَ، وَتَأْخُذُ جَلِيسَتُهُ مِنَ الْوَحْشَةِ .

وَيُسْتَدَلُّ عَلَى الْأَحْمَقِ بِأَشْيَاءَ، قَالُوا: مِنْ طَالَتْ قَامَتُهُ، وَصَغُرَتْ هَامَتُهُ، وَأَنْسَدَلَتْ لَحِيَتُهُ، كَانَ حَقِيقًا عَلَى مَنْ يَرَاهُ أَنَّ يُقَرِّبَهُ عَنْ عَقْلِهِ السَّلَامَ .

وَيُقَالُ فِي التَّوْرَةِ: الْحَبِيَّةُ تَخْرُجُهَا مِنَ الدِّمَاغِ، هُنَّ أَفْرَطَ عَلَيْهِ طَوْلُهُمَا قَلَّ دِمَاغُهُ، وَمَنْ قَلَّ دِمَاغُهُ قَلَّ عَقْلُهُ، وَمَنْ قَلَّ عَقْلُهُ فَهُوَ أَحْمَقُ .

وَقَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ لِقَاضٍ قَضَى عَلَيْهَا: صَغُرَ رَأْسُكَ، فَبَعْدَ فَهْمِكَ، وَأَنْسَدَلَتْ

لَحْيَتُكَ، فَتَكُونُجَ عَقْلُكَ، وَمَا رَأَيْتَ مَيِّتًا يَقْضِي بَيْنَ حَيِّينِ غَيْرَكَ .

❦

وقال مسleme بن عبد الملك لجلسائه : يُعرف حق الرجل في أربع ، طول لحيته ، وبشاعة كنيته ، وإفراط شهوته ، وهش خاتمه ، فدخل عليه رجل طويلاً الحية ، فقال : أما هذا فقد أتاكم بواحدة ، فانظروا أين هو من الثلاث ؟ فقبل له : ما كنتك ؟ فقال : أبو الياقوت ، فقبل له : ما نقش خاتمك ؟ قال : (وَتَقَدَّ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْمُنْهَدَ) قيل : فأى الطعام أحب إليك ؟ قال : البلننجين^(١) ، فقال مسleme : فيه ما بعد كنيته ، مع طول لحيته ، مع نقش خاتمه ، شك ليُعتبر .

قال الشعبي : خطب الججاج يوم جمعة فأطال ، فقام إليه أعرابي ، فقال له : إن الوقت لا ينتظرك وإن الرب لا يندرك ، فأمر به فحبس ، فأتاه أهله يشفعون فيه وقالوا : إنه مجنون ، فقال الججاج : إن أقر بالجنون خلّيت سبيله ، فاتوه وسألوه ذلك ، فقال : لا والله ، لا أقول إن الله ابتلاني وقد عافاني ، فبلغ كلامه الججاج ، فعضم في نفسه وأطلقه .

وقال الأصمعي : قلت لفلامي من أبناء العرب : أيسرك أن يكون لك مائة ألف وأنت أحمق ؟ قال : لا والله ، قلت : ولم ؟ قال : أخاف أن ينجي على حق جناية ، فتذهب مني ، ويبقى حمقي .

والعرب تضرب المثل في الحمق بعجل بن جحيم ، ويرضون أنه قيل له : إن لكل فرس جواداً أسماً ، وإن فرسك هذا سابق فسمه ، ففقا حينه وقال : سميته الأعور ، وفيه يقول الشاعر

(١) قال صاحب أقرب الموارد : البلننجين : مجنون يسئل من الورد والمسل ، فارسي ممزج عن

كلمة "كل" ومعناها ورد ، وعن هبة "أنكبين" ومعناها حمل .

رَمَتْنِي بَنُو عَجَلٍ بِدَاءِ أَبِي سَمٍ * وهل أحدٌ في الناس أحمق من عجلٍ؟

أليس أبوهما عازٍ عَنِ جَوَادِهِ ؟ * فسارت به الأمثالُ في الناس بالجهلِ !

ويضربون المثل في الحق يَهْتَقَةُ الْقَيْسَى ، وهو يَزِيدُ بْنُ ثَرْوَانَ ، ويكنى أبا نافع ،

حكى أنه شَرِدَ له بعيرٌ ، فقال : من جاء به فله بَسِيرَان ، فقيل له : أتجعلُ في بعير

بَعِيرَيْن ؟ فقال : إنكم لا تعرفون فرحة الوجدان .

وقد رضى قومٌ بالجهل فقالوا : ضعف العقلُ أمانٌ من النَمِّ ، وقالوا : ما سرُّ

عاقلٍ قَطُّ ، قال أبو الطيب المنهني

ذو العقلِ يَشْقَى في النعمِ بعقلِهِ * وأخو الجهالةِ في الشقاوةِ يَنُعمُ

وقال حكيمٌ : ثمرة الدنيا السرورُ ، ولا سرورَ للعقلاء ، وقال المغيرةُ بنُ شعبة :

ما العيشُ إلَّا في إلقاء الحِسْمَةِ . وقال بكر بن المَعْتَمِر : إذا كان العقلُ سبعةَ أجزاءٍ

أحتاج إلى جزءٍ من جهلٍ ليقدم على الأمور ، فإنَّ العاقلَ أبداً مُتَوَانٍ مُتَرَقِّبٌ مُتَوَقِّفٌ

متخوِّفٌ ، قال النابغة الجعدي

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لم تكن له * بواذرُ تَحْيَى صفوه أن يُكْذَرا

وقال آخر

من راقب الناس لم يظفر بِمَاجَتِهِ * وقاز بالطيباتِ الفاتِكُ اللَّهيجُ

أخذه آخرُ فقال

من راقب الناس مات غَمًّا * وقاز باللذةِ الجَسورُ

وقالوا : الجاهلُ يَنَالُ أَغْرَاضَهُ ، وَيَظْفَرُ بِأَرَائِهِ ، وَيَطِيحُ قَلْبَهُ ، وَيَجْرَى في عَيْنَانِ

هَوَاهُ ، وهو يرى من اللومِ ، سليمٌ من العيبِ ، مَغْفُورُ الزَّلَّاتِ .

وقالوا : الجاهل ربح الذرع ، خلى البالي ، غاب الهمة ، حسن الظن ، لا يحطرك خوف الموت بغيره ، ولا يجرى ألم الإشفاق على ذكره .

وقالوا : الجهل مطية المراج والمصرة ، ومسرحة المزاج والفكاهة ، وحليف الهوى والتصابي ، وصاحبه في ذمائم من عهدة اللوم والعتب ، وأمان من قوارص الذم والسب ؛ قال بعض الشعراء

ورأيت الموم في محبة العقل فداويتها بأمراض عقل

وقالوا : لو لم يكن من فضيلة الجهل ، غير الإقدام ، وورود الحمام ، إذ هما من الشجاعة والبسالة ، وسبب تحصيل المهابة والجلالة ، لكفاه ؛ قال أبو هلال العسكري : سألني بعض الأدياء أي الشعراء أشد حقا ، قلت الذي يقول

أنيبه على إنيس البلاد وبحثنا * ولو لم أجد خلقا تهمت على نفسي
أنيبه فلا أدري من أنيبه من أنا * سوى ما يقول الناس وفي جنسي
فإن صدقوا أني من الإنس متلهم * فما في عيب غير أني من الإنس

ذكر ما قيل في الكذب

قال الله عز وجل : (وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٌ) . وقال : (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) وقال في الكاذبين : (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الكذب مجانب

الإيمان . وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاثٌ من شئني فيه فهو منافقٌ ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلمٌ ، من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أُوْتِمِنَ خان » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يجوز الكذبُ في جد ولا هزل » وقال : « لا يكونُ المؤمنُ كذاباً » .

وقالت الحكماء : ليس لكاذبٌ مَرُوءةٌ .

وقالوا : من عُرِفَ بالكِذِبِ لم يَحَسُنْ صِدْقُهُ .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : خُلِفَ الوعدُ ثَلَاثُ النفاق .

وقال بعض الحكماء : الصدقُ مُنْجِيك وإِنْ خِفْتَهُ ، والكذبُ مُرْدِيك وإِنْ أَمَنْتَهُ . قال عمرو بن العلاء القارئ : سَادَ عُبَيْةُ بن ربيعة وكان مملقاً ، وساد أبو جهل وكان حَدَثًا ، وساد أبو سفيان وكان بَحَالًا ، وساد عامر بن الطفيل وكان عَاهِرًا ، وساد ١٠ كليب بن وائل وكان ظُلُومًا ، وساد عُيَيْنَةُ وكان مُتَحَمِّقًا ، ولم يَسُدْ قطُّ كُتَابٌ ، فصلح السُّؤْدُدُ مع الفقر والحداثة والبخل والمهر والظلم والحسق ، ولم يصلح مع الكِذِبِ ، لأن الكِذِبَ يَمُحُّ الأخلاقَ كُلَّهَا بالفسادِ .

وقال يحيى بن خالد : رأيتُ شَرِيبَ نَمِرْتَزَع ، ولصًا أَقْلَعَ ، وصاحبَ فَوَاحِشَ رَجَعَ ، ولم أَرِ كُذَّابًا رَجَعَ .

ويقال : الكذبُ مِفْتَاحُ كُلِّ كَبِيرَةٍ ، والنمرَجَمَاعُ كلُّ شَرٍّ .

وقيل : لَا تَأْمَنَنَّ مَنْ يَكْذِبُ لَكَ أَنَّ يَكْذِبَ عَلَيْكَ .

وقيل : الكِذِبُ والنفاقُ والحسدُ أَثَاثِي الدَّلَلِ .

وقال ابن عباس : حقيق على الله أن لا يرفع للكذب درجةً ، ولا يثبت له حجة .
وقال سليمان بن سعيد : لو صحبني رجلٌ وقال : لا تشترط على إلا شرطاً واحداً
قلت : لا تكذبني .

وقال أبو حيان التوحيدي : الكذب شعار خلق ، ومورد رفق ، وأدب سيء ،
وعادة فاحشة ، وقل من أسترسل فيه إلا ألقه ، وقل من ألقه إلا ألقه .

وقال غيره : الكذب أوضع الرذائل خطية ، وأجمعها للذمة والمحنة ، وأكبرها ذللاً
في الدنيا ، وأكثرها خزيًا في الآخرة ، وهو من أعظم علامات التفارق ، وأقوى الدلائل
على دناءة الأخلاق والأعراف ، لا يؤمن حامله على حال ، ولا يصدق إذا قال .
وقيل : لكل شيء آفة ، والكذب آفة النطق .

وقال بعض الكرماء : لو لم أدع الكذب تأثماً ، لتركته تكبراً .

وقال أرسطاطاليس : فُضِّل الناطق على الأخرس بالنطق ، وزين النطق الصدق ،
فإذا كان الناطق كاذباً ، فالأخرس خير منه .

وقال بعض الحكماء لولده : يا بني إياك والكذب ، فإنه يُزري بقائله ، وإن كان
شريفاً في أصله ، ويُذلُّه وإن كان عزيزاً في أهله .

وقال الأخنف بن قيس : آثان لا يجتمعان : الكذب والمروءة .

وقال بزرجهر : الكاذب والميت سواء ، لأن فضيلة النطق الصدق ، فإذا
لم يؤتى بكلامه بطلت حياته .

وقال معاوية يوماً للأخنف : أنت كاذب ؟ فقال : والله ما كذبتُ منذ علمتُ أن
الكذب شين .

وقيل : لا يجوز للرجل أن يكذب لمصالح نفسه ، فما عجز الصدق عن إصلاحه كان الكذب أولى بفساده . قال بعض الشعراء

ما أحسن الصدق والمضبوط قائله * وأقبح الكذب عند الله والناس

وقالوا : أحذر مصاحبة الكذاب ، فإن اضطرت إليها فلا تصدقه ولا تعلمه أنك كذبت ، فيقتل عن مودته ، ولا ينتقل عن كذبه .

وقال جرير : اجتنب مصاحبة الكذاب ، فإنك لست منه على شيء يحصل ، وإنما أنت معه على مثل السراب يلمح ولا ينفع .

وقيل : الكذاب شر من النمام ، فإن الكذاب يختلق عليك ، والتمائم ينقل عنك . قال شاعر

إن النمام أخطى دونه خبري * وليس لي حيلة في مقترى الكذب

وقال آخر

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو * كل خيل في فيه قيلة

ووصف أعرابي كذابا فقال : كذبه مثل عطاسه ، لا يمكنه رده .

وقال بعض الأعراب : عجبت من الكذاب المشيد بكذبه ، وإنما هو يدل الناس على عيبه ، ويتعرض للعقاب من ربه ، فالآثام له عادة ، والأخبار عنه متضادة ، إن قال حق لم يصدق ، وإن أراد خيرا لم يوفق ، فهو الجاني على نفسه بفعله ، والدال على فضيحتها بمقاله ، فما سمع من صدقه نُسب إلى غيره ، وما سمع من كذب غيره نُسب إليه .

ويقال : الكذب جماع النفاق ، وعماد مساوئ الاخلاق ، طار لازم ، وذلك دائم ، يخيف صاحبه نفسه وهو آمن ، ويكشف ستر الحسب عن لؤمه الكامن ، وقال بعض الشعراء

لا يكذب المرء إلا من مهاتته * أو عادة السوء أو من قلة الورع

وقال الأصمعي : قيل لرجل معروف بالكذب . هل صدقت ؟ قال : أخاف أن أقول : " لا " فأصدق . وآفة الكذب النسيان . قال شاعر

ومن آفة الكذاب نسيان كذبه * وتقاه ذا دعي إذا كان كاذبا

وقال علي بن الخاقم شاعر القيمة

تكذب الكذبة يوما * ثم تنساها قريبا

كن ذكورا يا أبا يحيى إذا كنت كذوبا

وقال أبو تمام

يا أكثر الناس وعدا حسوه خلف * وأكثر الناس قولاً حسوه كذب

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه

صبيغة أفئيت "ليت" بها و"عنى" * عنوانها راحة الرابي إذا يئسا

وعذله هاجس في القلب قد برمت * أحشاء صدرى به من طول ما هجسا

يراعة غرني منها ويمض سنا * حتى مدت إليها الكف مقتنسا

فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه عصا مومي لما أجهسا

وقال آخر

وتسول لي قولا أظنك صادقا * فأجىء من طمع اليك وأذهب

فإذا أجمعت أنا وانت يعلين * قالوا مسيلة وهذا أشعب

ذكر ما قيل في الغدر والخيانة

قال الله عز وجل: (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ) وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَيْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) .

(١١٣)

- وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أَمَنَ رجلا ثم قتله وجبت له النار وإن كان المقتول كافرا » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا جمع الله الأولين والآخرين رُفِعَ لكل غَادِرٍ لواءٌ وقيل : هذه غُدرة فلان » .

وقالوا : من نقض عهده، ومنع رُفده، فلا خير عنده .

وقالوا : الغالب بالغدر مغلول، والتاكت للمهد محقوت مخذول .

- ١٠ وقالوا : من علامات النفاق، نقضُ العهد والميثاق .

وقالوا : لا عذر في الغدر . والمذر يصلح في كل المواطن ، ولا عذر لفساد

ولا خائن .

وفي بعض الكتب المأثولة : إن مما تُعجل عقوبته من الذنوب ولا يؤخر : الإحسان يُكفر، والذمة مُحقر . قال شاعر

- ١٥ أَخْلَقَ بِنِ رَضَى الْخِيَانَةَ شَيْمَةً * أَنْ لَا يُرَى إِلَّا صَرِيحَ حَوَادِثِ
مَا زَالَتِ الْأَرْزَاءُ تُكَلِّحُ بَوَسَهَا * أَبْدَا بِغَادِرٍ ذِمَّةً أَوْ نَاكِثَ

وقالوا : الغدر ضامن العثرة، قاطع ليد النصرة .

ويقال : من تعدى على جاره، دلَّ على نُؤمٍ يجاره .

وذكر أن عيسى صلوات الله عليه مرّ برجل وهو يطارد حيةً وهي تقول له :
والله لئن لم تنهب عني ، لأنفخنّ عليك نفخةً أقطعك بها قطعاً ، فغضب عيسى
عليه السلام في شأنه ، ثم عاد فرأى الحية في جُونة الرجل محبوسة ، فقال لها :
ويحك ! أين ما كنت تقولين ؟ قالت : يا روح الله ، إنه حلف لي وغدر ، وإكّسّم
غدره أقتل له من سُبي .

ذكر أخبار أهل الغدر وغدراتهم المشهورة

أعرف الناس في الغدر آل الأشعث بن قيس بن معد يكرب ، وقد صدّت لهم
غُدرَات ، فمنها : غدر قيس بن معد يكرب بمراد ، وكان بينهم عهد أن لا يغزوه
إلى آقضاء شهر رجب ، فوافاهم قبل الأمد يَكْنَدَة ، وجعل يحمل عليهم ويقول
أقسمت لا أنزل حتى يُهْزَمُوا * أنا ابن معد يكرب فاستسلموا
* فارسٌ هيجاً ورئيسٌ مُصدّمٌ *

فَقَتِلَ قيس بن معد يكرب وأرند الأشعث عن الإسلام . وغدر الأشعث ببنى
الحارث بن كعب ، وكان قد غزاهم فَأَسْرَوْه ، فغدى نفسه بمائتي بعير ، فأعطاهم
مائة وبقى عليه مائة ، فلم يؤدّها ، وجاء الإسلام فهدم ما كان في الجاهلية .

وغدر محمد بن الأشعث بن قيس بمسلم بن عَقِيل بن أبي طالب ، وغدر أيضاً
بأهل طَبْرَمَتَان وكان عِيْدُ الله بن زياد ولأه إياها ، فصالح أهلها على أن لا يدخلها ورحل
عنهم ، ثم عاد إليهم غادراً ، فأخذوا عليه الشّعاب ، وقتلوا ابنه أبا بكر .

وغدر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالهجاج لما ولّاه نُرَاسَانَ ، ونعرج
عليه وأدعى الخلافة ، وكان بينهم من الوقائع ما نذكره في التاريخ في أخبار الهجاج

إن شاء الله تعالى ، وكانت الدائرة على عبد الرحمن ، وكلهم وروثوا الفدر عن معديكرب ، فإنه غدر مَهْرَة ، وكان بينه وبينهم عهد إلى أجل ، فغزاهم ناقضا لعهدهم ، فقتلوه وبقروا بطنه وملأوه بالحصا .

- وغدرت ابنة الضَّيْن بن معاوية بأبيها صاحب الحصن ودلت سابور على طريق فتحه ، ففتحته وقتل أباه وتزوجها ، ثم قتلها . وقد ذكرنا ذلك في الجزء الأول .
- من هذا الكتاب في المباني . ومن ذلك ما فعله النعمان يَسْنَار ، وقد ذكرناه أيضا في خبر بناء الخوَرَق :

ومن أشهر الفدر عمرو بن جرموز : غدر بالزبير بن العوام ، وقتله بوادي السباع ، ونذكر ذلك إن شاء الله تعالى في حرب الجبل .

- ومن الفدر الشنيع ما فعله عَضَل والقارة ، روى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عَضَل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاما وخيرا فابست معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويُقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام ، فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من أصحابه ، وهم مرثد بن أبي مرثد الفَنَوِي ، وخالد بن البَكَيْر حليف بنى عديّ ابن كعب ، وطاسم بن ثابت بن أبي الأَقْلَع أخو بنى عمرو بن عوف ، وخُثَيْب بن عديّ .
- أخو بنى خُجَيم بن ثُكْلَة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدَّيْثَة أخو بنى بِيَاضَة بن عامر ، وعبد الله بن طارق ، ومُعْتَب بن عبيد أخو عبد الله لأُمِّه ، وأمر عليهم مرثد ابن أبي مرثد ، وقيل أمر عليهم عاصما ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع : — ما هذيل — غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلًا ، فلم يرج القوم وهم في رحاهم إلا

الرجال في أيديهم السيوف، فأخذوا أسياقهم ليقاتلوا القوم، فقالوا : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، فأما مرثد وخالد وعاصم ومعتب فقالوا : والله ما نقبل من مشرك عهدا ولا عَقْدًا ، فقاتلوا حتى قُتلوا ، وأما زيد وخبيب وعبد الله فلانوا ودرغوا في الحياة ، وأعطوا بأيديهم ، فأسروهم وخرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بئر الظهران ، أترع عبد الله بن طارق يده من القرآن ، ثم أخذ سيفه وأستأخر عن القوم ، فرمَوْه بالجحارة حتى قتلوه ، وقَدِمُوا بخبيب وزيد إلى مكة فباعوهما فابتاع خبيبا جُحْرِيٌّ أَبِي إِيَّاهُ ابْنُ التَّيْمِيِّ حَلِيفُ بَنِي نُوْفَلٍ لُعْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نُوْفَلٍ لِيَقْتُلَهُ بِالْحَارِثِ ، وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ لِيَقْتُلَهُ بِأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ، وَرُوي أَنَّ خُبَيْبًا لَمَّا حَصَلَ عِنْدَ بَنَاتِ الْحَارِثِ اسْتَعَارَ مِنْ أَحَدِهِنَّ مُوسَى يَسْتَعِدُّ بِهَا لِمَا رَأَى الْمَرْأَةَ إِلَّا صَبَى لَهَا يَدْرُجٌ ، وَخُبَيْبٌ قَدْ أَجْلَسَ الصَّبِيَّ عَلَى نَحْضِهِ ، وَالْمُوسَى فِي يَدِهِ ، فَصَاحَتْ الْمَرْأَةُ ، فَقَالَ خُبَيْبٌ : أَتَحْسِبِينَ أَنِّي أَقْتُلُهُ ؟ إِنَّ الْفَدْرَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : مَا رَأَيْتُ بَعْدُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ ، وَأَنَّ فِي يَدِهِ قِطْفًا مِنْ عَنَبٍ يَا كَلَهُ ، إِنْ كَانَ إِلَّا رِزْقًا رَزَقَهُ اللَّهُ خَبِييَا ، وَلَمَّا أُخْرِجَ خُبَيْبٌ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ ، قَالَ : ذَرُونِي أَصِلِّي رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : لَوْلَا أَنْ يَقَالَ : جَزَعُ لَزِدْتُ ، وَمَا أَبَالِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ مِصْرَعِي ، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ نَذَرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا هُوَ أَوْسَطُ مِنْ هَذَا فِي السَّيْرِ النَّبَوِيِّ فِي سِيَرَةِ مَرْثَدٍ إِلَى الرَّجِيعِ .

قيل : أغار خَيْشَمَةُ بْنُ مَالِكِ الْجَنْفِيِّ عَلَى حَيٍّ مِنْ بَنِي الْقَيْنِ فَاسْتَأَقَ مِنْهُمْ إِبْلًا فَلَحِقُوهُ لِيَسْتَنْقِذُوهَا مِنْهُ ، فَلَمْ يَطْمَعُوا فِيهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ يَدَاكَ كَانَتْ لِبَعْضِهِمْ عِنْدَهُ ، نَقَلَ عَنْمَا كَانَ فِي يَدِهِ ، وَوَلَّى مُنْصَرَفًا ، فَنادوه وقالوا : إِنْ الْمَفَازَةَ أَمَامَكَ ، وَلَا مَاءَ مَعَكَ ، وَقَدْ فَعَلْتَ

جَيْلًا ، فَأَنْزَلَ وَلَكَ الدَّمَامَ وَالْجَبَاءَ فَتَزَلَّ فَلَمَّا أَطْمَأَتَ وَسَكَنَ ، وَاسْتَمَكْتُوا مِنْهُ غَدَرُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ ، فَفِي ذَلِكَ تَقُولُ صَمْرَةَ أَبْنَتُهُ

غَدَرْتُمْ بِنِي لَوْ كَانَ سَاعَةً غَدَرَكُمْ • بِكَفِّهِ مَفْتُوقُ الْفَرَارِينَ قَاضِبُ
أَذَادَكُمْ عَنْهُ بِضَرْبِ كَأَنَّهُ • سِهَامُ الْمَنَائِي كُلَّهَا صَوَائِبُ

- وَتَلَا حِي بنو مقرن بن عمرو بن محارب ، وبنو جهم بن مرة بن محارب ، على ما يهلم فطلبهم بنو مقرن فظهرت عليهم ، وكان في بني جهم شَيْخٌ لَهُ تَجْرِبَةٌ وَسَنٌ ، فَلَمَّا رَأَى ظُهُورَهُمْ ، قَالَ : يَا بَنِي مَقْرُونِ ، نَحْنُ بَنُو أَبٍ وَاحِدٍ ، فَلِمَ تَتَفَانَى ؟ هَلُمُّوا إِلَى الصَّلَاحِ ، وَلَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ تَعَالَى وَمِيثَاقُهُ وَذِقَةُ آبَائِنَا ، أَنْ لَا نَهْجَحَكُمْ أَبَدًا وَلَا تَزَاحِمَكُم فِي هَذَا الْمَاءِ ، فَاجَابَهُمْ بَنُو مَقْرُونِ إِلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَطْمَأَنَّاوُا وَوَضَعُوا السَّلَاحَ عَدَا عَلَيْهِمْ بَنُو جَهِمٍ فَتَالُوا مِنْهُمْ مَتَالًا عَظِيمًا ، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ
- أَبُو ظَلْفَرٍ الْحَارِثِيُّ

هَلَّا غَدَرْتُمْ بِمَقْرُونٍ وَأَسْرَيْتِهِ • وَالْبَيْضُ مُصَلَّتَةٌ وَالْحَرْبُ تَسْتَعْرِ
لِمَا أَطْمَأَنَّاوَا وَشَامُوا فِي سِيُوفِهِمْ • ثُرْتُمْ إِلَيْهِمْ وَعُرُّ النَّدَرُ مَشْتَهَرُ
غَدَرْتُمُوهُمْ بِأَيْمَانٍ مُؤَكَّدَةٍ • وَالْوَرْدُ مِنْ بَدَنِ الْغَادِرِ الْعَصْدَرُ

- هَذَا مَا قِيلَ فِي النَّدَرِ .
- وَأَمَّا الْخِلْيَانَةُ ، فَقَدْ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فَقَالَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ » .

- وَقِيلَ : مَنْ ضَيَعَ الْأَمَانَةَ ، وَرَضِيَ بِالْخِلْيَانَةِ ، فَقَدْ بَرَّيَ مِنَ الدِّيَانَةِ .

وقال حكيم : لو علم مُضَيِّعُ الأمانَةِ ، ما في النكث والخيانة ، لقصّر عنهما عِائَتَهُ .
وقالوا : من خان مان ، ومن مان هان ، وتبرأ من الإحسان .

قيل دخل شهر بن حوشب وهو من جِلَّةِ القزاة وأصحاب الحديث على معاوية ،
وبين يديه خرائط فيها مال ، قد جمعت لتوضع في بيت المال ، فقعد على خريطة
منها ، وأخذها ، ومعاوية ينظر إليه ، فلما رُفِعت الخرائط ، قُعد من عددها خريطة ،
فأعلم الخازنُ بذلك معاوية ، فقال : هي محسوبة لك فلا تسأل عن أخذها ، ففيه يقول
بعض الشعراء

لقد باع شهر دينه بخريطة • فن يامن القزاة بملك ياشهر ؟

وقال المنصور لعامل بلخ عنه خيائته : يا عدو الله ، وعدو أمير المؤمنين ، وعدو
المسلمين ، أكلت مال الله ، وخنت خليفة الله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن عيال
الله ، وأنت خليفة الله ، والمال مال الله ، فمن أين تأكل إذا ، فضحك وأطلقه ،
وأمر أن لا يؤلَّ عملاً بعدها .

وسرق رجل في مجلس أنوشروان جاماً من ذهب وهو يراه ، فتفقده الشرايط ،
فقال : والله لا يخرج أحد حتى يُقتش ، فقال له أنوشروان : لا تتعرض لأحد ،
فقد أخذه من لا يردّه ، ورآه من لا يثم عليه .

وحكى أن بعض التجار أودع عند قاض بجمرة النعمان ديمعة ، وغاب مدة ، فلما
رجع ، طالب بها ، فانكرها القاضى ، فتشفع إليه برؤساء بلده في ردها ، فما زالوا به
حتى أقربا ، وأدعى أنها سُرقَت من حرّزه ، فأستطاعه المودع خلف ، فقال ابن
الدويمة في ذلك

لا يصدق القاضى الخسوف إذا ادعى • عدم الديمعة من حصين المودع

(١٢)

إِنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فَيَصْدُقْ أَنَّهُا * ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ بَعْنِي لَوْ تَعَى !
أَوْ قَالَ قَدْ وَقَعَتْ فَيَصْدُقْ أَنَّهُا * وَقَعَتْ وَلَكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْقِعَ

وَقَالَ ابْنُ الْمُلْجَلِجِ

وَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْقَاضِي عَسَاءُكُمْ * إِذَا وَقَعَ الْيَمِينُ يُحَقِّقُونَ
وَأَضِيعُ مَا يَكُونُ الْحَقُّ عِنْدِي * إِذَا عَزَمَ الْغَرِيمُ عَلَى الْيَمِينِ

ذكر ما قيل في الكبر والعجب

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ) . وَقَالَ تَعَالَى : (قَادُوا أَبْوَابَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَيَقْسُ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) . وَقَالَ : (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى
لِلْمُتَكَبِّرِينَ) . وَقَالَ : (كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) . وَقَالَ : (سَاصِرُونَ
عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) .

وَنَاهِيكَ ههنا زجرًا .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَوْفٍ
مِنْ كِبَرٍ » . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَعَطَّمَ فِي نَفْسِهِ ، وَاحْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لِقَى
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانِ » . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ
لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ » .

• وَرَوَى : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ ، مَرَّ بِالسُّوقِ يَحْمِلُ حُرْمَةً حَطْبٍ ، فَقِيلَ لَهُ :
أَلَيْسَ قَدْ أَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْ هَذَا ؟ قَالَ : بَلَى ! وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقْعَ بِهِ الْكِبَرَ ،
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ
مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما وجد أحد في نفسه كبرا إلا من مهانة يبيدُها في نفسه .

وقالوا : مَنْ قَلَّ لُبُّهُ ، كَثُرَ عُجْبُهُ .

وقالوا : عُجِبَ المرء بنفسه ، أحد حساد عقله .

وقال أزدشير بن بابك : ما الكبر إلا فضل حُمي لم يدر صاحبه أين يضعه فصرفه إلى الكبر .

ومن كلام لابن المعتز : لما عَرَفَ أَهْلُ التَّصْصِيرِ حَالَهُمْ ، عِنْدَ أَهْلِ الْكَمَالِ اسْتَعَانُوا بِالْكِبَرِ لِيُعْظَمَ صَغِيرًا ، وَيَرْفَعَ حَقِيرًا ، وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ .

وقال أكرم بن صفي : من أصاب حظا من دنياه ، فإصابه ذلك إلى كبر وترفع ، فقد علم أنه نال فوق ما يستحق ، ومن أقام على حاله فقد علم أنه نال ما يستحق ، ومن تواضع وغادر الكبر ، فقد علم أنه نال دون ما يستحق .

وقال علي رضي الله عنه : عجبت للتكبر الذي كان بالأمس نطفة ، وهو غدا جيفة . وقيل : مر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يتخبط ، فقال له : يا بُنَيَّ ، لو خَفَضْتَ بعض هذه الخيلاء ! ألم يكن أحسن بك من هذه الشهرة التي قد شهِرَتْ بها نفسك ؟ فقال له الفتى : أو ما تعرف من أنا ؟ قال : بلى ! والله أعرفك معرفة جيدة ، أولئك نطفة مئذره ، وآخرك جيفة مئذره ، وأنت بين ذلك حامل مئذره ، فأرني الفتى رُديته وكَفَّ مما كان يفعله ، وطأطأ رأسه ، ومضى مستريلا .

وقال الواقدي : دخل الفضل بن يحيى ذات يوم على أبيه وهو يتبختر في مشيته ، فقال له يحيى : يا أبا عبد الله ، إن البخل والجهل مع النواضع ، أزيُن بالرجل من الكبر مع السخاء والعلم ، فيألفها من حسنة غطت على عيبتين عظيمين ، وألفها

من سيئة غطت على حسنتين كبيرتين، هم أوما إليه بالجلوس وقال: أحفظه يا عبد الله، فإنه أدب كبير أخذناه عن العلماء .

ومن الكبر المستهجن ما روى : أن وائل بن حجر أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأقطعه أرضا، وقال لمعاوية : أعرض هذه الأرض عليه وأكتبها له ، فخرج مع وائل في هاجرة شامية، ومشى خلف ناقته، وقال له : أردفتني على عجز راحتك ، فقال : لست من أرداف الملوك ، قال : فأعطني نعليك ، فقال : ما بجعل يمتنى يابن أبي سفيان، ولكن أكره أن يبلغ أقبال اليمن أنك لست نعل، ولكن أمتش في ظل ناقتي، فحسبك بها شرفا ، وقيل : إن وائلا أدرك زمن معاوية ودخل عليه فأقعدته معه على السرير وحدثه .

والعرب تجعل جذيمة الأبرش الغاية في الكبر، وروى : أنه كان لا يتادم أحدا ترغما وكبرا، ويقول : إنما يتادمني الفرقدان . ومنه قول مقيم :

« وَكَأَنَّكَ تَأْتِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ »

قيل : إنما أراد الفرقدين ، لا كما ذكره الرواة أنهما مالك وعقيل .

وقيل : كان أبو ثوبة أقبح الناس كبرا ، روى : أنه قال لثلامه أسقني ماء، فقال : نعم، قال : إنما يقول : ”نعم“ من يقدر على أن يقول : ”لا“ وأمر بضربه، ودعا أكارأ فكله ، فلما فرغ دعا بهاء، وتمضمض استقذارا لمخاطبته . قال عبيد الله بن عبد الله بن حبة بن مسعود

ولا تمجبا أن تؤتيا فنكلا . فما حشوا الأثوام شرأ من الكبر

قال الجاحظ : المذكورون بالكبر من قريش ، بنو مخزوم ، وبنو أمية ، ومن العرب ، بنو جعفر بن كلاب ، وبنو زُرارة بن عُدس ، وأما الأكاسرة فكانوا لا يعتدون الناس إلا عبيدا ، وأنفسهم إلا أربابا ، والكبر في الأجناس الذليلة أرفع ، ولكن القسلة والذلة مانعتان من ظهور كبرهم ، ومن قدر من الوضعاء أدنى قدرة ، ظهر من كبره ما لا يخفاء به ، ولم أر ذا كبر قط إلا من دونه ، إلا وهو يذل لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه .

قال : أما بنو مخزوم ، وبنو أمية ، وبنو جعفر بن كلاب ، واختصاصهم بالثب ، فإنهم أبطرتهم ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة ، ولو كان في قوَى عقولهم فضلٌ عن قوَى دواعي الحيية فيهم ، لكانوا كبنى هاشم في تواضعهم وإنصافهم من دونهم . وقال أبو الوليد الأعرابي

ولستُ بنبأٍ إذا كنتُ مُثريا * ولكنه خُلِّي إذا كنت مُعديما
وأن الذي يُعطى من المال ثروة * إذا كان نذل الوالدين تَعْظما

ومن المتكبرين ، عُمارَةُ بن حمزة ، حكي عنه : أنه دخل على المهدي ، فلما استقر به الجلوس ، قام رجل كان المهدي قد أعده له ليتهكم به ، فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ، قال : مَنْ ظلمك ؟ قال : عُمارَةُ غصبنى ضيعتي ، وذكر ضيعة من أحسن ضياع عُمارَةَ وأكثرها تراجا ، فقال المهدي لعُمارَةَ : قم فأجلس مع خصمك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما هو لي بخصم ، إن كانت الضيعة له ، فلست أنازع فيه ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مجلس شرفي به أمير المؤمنين ، فلما أنصرف المجلس ، سأل عُمارَةَ عن صفة الرجل ، وما كان لبأسه ، وأين كان موضع

- جلوسه ، وكان من يديه أنه إذا أخطأ يمر على خطئه تكبرا عن الرجوع ويقول :
تقضى وإبرام في ساعة واحدة ، الخطأ أهون منه .
- ومنهم من أهلكه الكبر وأذله . كان خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسريّ
أميرا على العراق ، وبلغ من هشام بن عبد الملك محلا رفيعا ، فافسد أمره العجب
والكبر ، وأدناه إلى الملكة ، وعُذِبَ حتّى مات ، وذلك أنه كان إذا ذُكر هشام
عنده ، قال : أبن الحمقاء ! فسمِعها رجل من أهل الشام ، فقال لهشام : إن هذا
البَطَرُ الأثير الكافر ليعمتك وضمة أبيك وإخوتك ، ذكرك بأسوأ الذكر ، قال :
لعله يقول : الأحمولُ ، قال : لا ، ولكنّه يقول : مالا تلقى به الثفتان ، قال : لعله
يقول : أبن الحمقاء ، فأمسك الشاميّ ، فقال هشام قد بلغني كلّ ذلك عنه ، وكان
خالد يقول : والله ما إمارة العراق مما تشرفني ، فبلغ ذلك هشاما ، فكتب إليه :
بلغني أنك يابن النصرانية تقول : إن إمارة العراق لأشرفك وأنت دعيّ ببجيلة القليلة
الذليلة ، والله إنني لأظن أن أول من ياتيكَ صيفي بن قيس فيشدّ يدك إلى عنقك ،
قال خالد بن صفوان بن الأهم : لم تزل أفعال خالد حتى عزله هشام وعذبه ، وقتل
أبنة يزيد بن خالد ، فرأيت في رجله شريطا قد شدّه به الصبيان يمزونه ، فدخلت
إلى هشام يوما ، فحدثته فاطلت ، فتعقّس ، وقال : يا خالد ! كان أحبّ إلى قُرْباً وألذّ
عندي حديثا منك ، يعني خالد القسريّ ، قال : فاتهمزتها ورجوت أن أشفع فتكون
لي عند خالد ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما يملك من استئثاف الصنيعة ، فقد
أذبتّه بما قرط منه ، فقال : هيهات ! إن خالد أوجفّ فأعجفّ ، وأدلى فأملّ ، وأفرط
في الإساءة ، فأقرطنا في المكافأة ، لحلم الأديب ، ونيل المخرج ، وبلغ السيل الزبى ،
والجزام الطيّبين ، ولم يبق فيه مستصحب ، ولا للصنيعة عنده موضع ، عدّ إلى حديثك .

ومنهم : من أفرط به الكبر إلى الكفر، حكى : ان سعيد بن زُرارة مرّت به امرأة فقالت له : يا عبد الله، كيف الطريقُ إلى مكان كذا؟ فقال لها : أمثلُ يكون مِن عبيد الله .

ومنهم : عُبيد الله بن زياد بن ظبيان، قال له رجل من قومه وقد رأى منه ما أعجبه : كثر الله فينا مثلك، فقال : لقد كلفتم الله شططا .

ومن أشعار المتكبرين التباهين قول بعضهم
• أتبه على جنّ البلاد وإنيها •

الآبيات، وقد تقلمت في الخنق .

وقال آخر

أَلَيْسَ فِي لَغْيٍ فَإِنْ أَحْرَقْتَنِي • فَيَقْنُ أَنْ لَسْتُ بِالسَّافُوتِ
صَنَعَ النَّسَجَ كُلَّ مَنْ حَاكَ لَكُنْ • لَيْسَ دَاوُدُ فِيهِ كَالْعَنْكَبُوتِ
قَالَ ابْنُ حُبَّارَةَ الْحَزَافِي الْمَجْنُونِي رَدَّ عَلَيْهِ

أَيُّهَا الْمَذْعَى الْفَخَّارَ دَعِ الْفَخْشَرَ لِذِي الْكِبَرِيَاءِ وَالْجَبْرُوتِ
نَسُجُ دَاوُدَ لَمْ يُفْسِدْ لَيْلَةَ الْغَا • وَكَانَ الْفَخَّارُ لِلْعَنْكَبُوتِ
وَبَقَاءُ السَّمْنِدِ فِي لَهَبِ النَّا • رِ مُزِيلُ فَضِيلَةِ الْيَاقُوتِ
وَكَذَلِكَ التَّعَامُ يَلْتَقِمُ الْجَمْرَ وَمَا الْجَمْرُ لِلتَّعَامِ بِقُوتِ !



ومما جُي به أهل التكبر، قول جُمَيْرَان يهجو سعيد بن مُسلم بن قُتَيْبَةَ

أَمْ سَعِيدٌ لَمْ وَلَدْتِهِ • مَلُوتًا بِالْكَبَرِ وَالْتِيهِ ؟

لَيْتَكَ إِذْ جِئْتَ بِهِ هَكَذَا • حِينَ تَعَرَّيْتَهُ أَكْتِيهِ



(١) السُّدَّ : طائر يسقط بالنادول ويمترق بها .

ذكر ما قيل في الحرص والطمع

قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَتْ بِهِ
أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) .

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَرِيعٌ مِنَ الشَّقَاءِ الْخ ... عُدُّ مِنْهَا الْحَرَصَ
وَالْأَمْلَ » وقال : « مَا ذَنْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ فَافْسَدَاهَا أَشَدُّ مِنْ حَرَصِ الْمَرْءِ عَلَى
الْمَالِ ^(١) » . وقال : « يُشَبَّهُ ابْنُ آدَمَ وَتَشَبَّ مِنْهُ آتْنَانِ : « الْحَرَصُ عَلَى الْمَالِ ،
وَالْحَرَصُ عَلَى الْعَمْرِ » وقال : « إِيَّاكُمْ وَالطَّمْعَ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ » .

- ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الطَّمْعُ مُؤِيدٌ غَيْرُ مُصِيدٍ ، وضامن
غير وافي ، وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه ، عظمت الرزية لفقده ، والأمانى تسمى
البصائر . أزرى بنفسه من آستشر الطمع ، وآستولت عليه الأمانى .

وقال بعضهم : الحرص ينقص من قدر الإنسان ، ولا يزيد في رزقه .

وقال قُتَيْبَةُ : إن الحريص آستجبل الذلَّةَ ، قبل إدراك البقية .

وقيل : لا راحة لحريص ، ولا غنى لذي طَمَعٍ .

وقيل : إن كُتِبَا لِقَى عبد الله بن سلام ، فقال : يا بن سلام ، مَنْ أَرْبَابُ الْعِلْمِ ؟

- قال : الذين يعملون به ، قال : فما أذهب العلم من قلوب العلماء بعد إذ عليموه
ووعوه ؟ قال : الطَّمْعُ ، وشَرُّهُ النَّفْسُ ، وطلب الحوائج إلى الناس . قال الأَصْمَهِيُّ :
سمعتُ أعرابياً يقول : عَجِبْتُُ لِحَرِيصِ الْمُسْتَكْبِرِ ، الْمُسْتَقِيلِ كَثِيرٍ مَا فِي يَدِهِ ، الْمُسْتَكْبِرِ

(١) هكذا في الأصل : والقي في الجامع الصغير : (ما ذَنْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ فَافْسَدَاهَا مِنْ حَرَصِ
الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِنَفْسِهِ) .

لقليل ما في يد غيره، حتى طلب الفضل، بذهب الأصل، فركبَ مفاوز البرارى،
وبلجج البحار، معرضاً نفسه للثأ، ومآله للآفات، ناظراً إلى من سَلِمَ، غيرَ معتبر
بمن عليم .

قال يزيد بن الحكم الثقفى

رَأَيْتُ السَّخِيَّ النَّفْسَ، يَأْتِيهِ رِزْقُهُ * هَنِيطاً، وَلَا يُسْعَى عَلَى الْحِرْصِ جَائِعٌ
وَكُلُّ حَرِصٍ لَنْ يُحَاوِزَ رِزْقَهُ * وَكَمْ مِنْ مُوقِفٍ رِزْقُهُ وَهُوَ وَادِعٌ

وقالوا : مصارعُ الألباب تحت ظلال الطمع . ويقال

الحر عبد ما طمع * والعبد حرُّ ما قنع

وقالوا : أخرج الطمع من قلبك، تحل القيد من رجلك . وقال عمرو بن مالك الحارثى
الْحِرْصُ لِلنَّفْسِ قَفْرٌ وَالْقَنُوعُ غِنَى * وَالْقَوْتُ إِنْ قَنِعْتَ بِالْقَوْتِ يُجْزِيهَا
وَالنَّفْسُ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ حَبِزَهَا * مَا كَانَ إِنْ هِيَ لَمْ تَقْنَعْ بِكَافِيهَا
وقال ابن هرمة

وَفِي الْيَاسِ عَنْ بَعْضِ الْمَطَامِيحِ رَاحَةٌ * وَيَارُبُّ خُسِرَ أَدْرَكَتْهُ الْمَطَامِيحُ

وقال هرمة بن خشرم

وَبَعْضُ رَجَاءِ الْمَرءِ مَا لَيْسَ نَائِلًا * عَنَاءٌ وَبَعْضُ الْيَاسِ أَعْنَى وَأَرْوَحُ

وقال مكشيف بن معاوية التيمي

تَرَى الْمَرءَ يَأْمُلُ مَا لَا يَرَى * وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ رَيْبُ الْأَجَلِ

وَكَمْ آيِسٍ قَدْ أَتَاهُ الرَّجَاءُ * وَذِي طَمَعٍ قَدْ لَوَاهُ الْأَمَلُ

وقال آخر

طَمِعْتَ فَمَا وَعَدْتُكَ الْمَنَى * وَلَيْسَ فِيمَا وَعَدْتَ مَطْمَعُ

وَيَقْتَبِطُ بِالْبَاطِلِ مِنْ قَوْلِهِمَا : « وَلَيْسَ حَقًّا كُلُّ مَا تَسْمَعُ »
وَإِنَّمَا مَوْعِدُهَا بَارِقٌ : « فِي كُلِّ حِينٍ خُلْبٌ يَلْمَعُ »

- وَيَضْرِبُ الْمَثَلَ فِي الطَّمَعِ "بِأَشْعَبَ" . قِيلَ لَهُ : مَا يُلْغِ مِنْ طَمَعِكَ ؟ فَقَالَ
لِلْقَائِلِ لَهُ : لَمْ تَقُلْ هَذَا إِلَّا وَفِي نَفْسِكَ خَيْرٌ تَصْنَعُهُ بِي ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ شَرِيفٌ
قَطْعًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَّا أَسْتَعْدَى أَشْعَبُ عَلَى وَصِيهِ أَوْ وَارِثِهِ وَقَالَ لَهُ : أَحْلَفُ
أَنَّهُ لَمْ يُوصِ لِي بِشَيْءٍ قَبْلَ مَوْتِهِ ، وَوَقَفَ عَلَى رَجُلٍ يَمْعَلُ طَبَقًا مِنَ الْخَيْزُرَانِ ،
فَقَالَ لَهُ : وَسَمِعَهُ قَلِيلًا ، قَالَ الْخَيْزُرَانِيُّ : كَأَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ
رَبِّمَا يَشْتَرِيهِ بَعْضُ الْأَشْرَافِ فَيَهْدِي إِلَيَّ فِيهِ شَيْئًا ، وَسَأَلَهُ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ طَمَعِهِ ، قَالَ : قُلْتُ لَصَبِيَّانَ مَرَّةً : أَذْهَبُوا ، هَذَا سَالِمٌ قَدْ قَتَعَ
بَيْتَ صَدَقَةٍ عَمَرٍ حَتَّى يُطْعِمَكُمْ تَمْرًا ، فَلَمَّا أَحْضَرُوا ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَمَا قُلْتُ لَهُمْ ، فَعَدَوْتُ
فِي إِثْرِهِمْ ، وَقِيلَ لَهُ : مَاذَا يُلْغِ مِنْ طَمَعِكَ ؟ قَالَ : أَرَى دِخَانًا جَارِيًّا فَأَتَرُدُّ عَلَيْهِ ؟
وَقِيلَ لَهُ أَيْضًا : مَا يُلْغِ مِنْ طَمَعِكَ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ عَرُوسًا بِالْمَدِينَةِ تُرْفَقُ إِلَّا كُنْتُ
بِئْتَى وَرَشَّتِهِ طَمَعًا أَنْ تُرْفَقَ إِلَيَّ ، وَقِيلَ لَهُ : هَلْ رَأَيْتَ أَطْمَعَ مِنْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ،
كَلْبٌ أُمُّ حَوْمَلٍ ، تَبْعَى فَرَسَخَيْنِ ، وَأَنَا أَمْضِغُ كُنْدَرًا ، وَلَقَدْ حَسَدْتُهُ عَلَى ذَلِكَ .

١٥ ذكر ما قيل في الوعد والمطل

- رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الْعِدَّةُ دَيْنٌ » .
وَقَالَ بَعْضُ الْأَثَرِيِّينَ : مَنْ خَافَ الْكَذِبَ ، أَقَلَّ مِنَ الْمَوَاعِيدِ .
وَقِيلَ : أَمْرَانِ لَا يَسْلُمَانِ مِنَ الْكَذِبِ : كَثْرَةُ الْمَوَاعِيدِ ، وَشِدَّةُ الْأَعْتِنَارِ .

(١) ثَرْدُ الْخَبَرِ : فَتْرَةٌ .

(٢) الْكُنْدَرُ : ضَرْبٌ مِنَ الْمَلِكِ وَهُوَ الْبَيَانُ الَّذِي ذَكَرَهُ .

وقالوا : خُلف الوعد، خُلِّقُ الوَعْد .

وقال المهلب لبنيه : يَا بَنِيَّ، إِذَا غَدَا عَلَيْكَ الرَّجُلُ أَوْ رَاحَ مُسَلِّمًا ، فَكُنْ بِذَلِكَ تَقَاضِيَا .

قال الشاعر

أروح لتسليم عليك وَأُخْدِي * فحسبك بالتسليم مني تقاضيا
كفى يطلّاب المرء ما لا يناله * عَنَاءٌ وباليأس المصْرَحُ ناهيا

وقيل : الوعد إذا لم يشفعه إنجاز يُحقِّقه، كان كلفظ لا معنى له ، وجسم لا روح فيه . وقالوا : انخلف الأُمُّ من البخل ، لأنه من لم يفعل المعروف، لزمه ذمُّ الأُمِّ ، وذمُّ الخلف ، وذمُّ العجز . قال بعض الشعراء

وعدتْ فأكذبت المواعيدَ جاهدا * وأقلعت إقلاع الجَهَامِ بلا وِيلٍ
وأجررتْ لى حَبَلًا طويلًا تَبِعْتُهُ * ولم أدْرِ أن اليأس في طَرْفِ الحَبْلِ

وقال أبو تمام

وما نفع من قدمات بالأمس صَادِيًا * إِذَا مَا سَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَتْ أَنْهَارُهَا
وما العُرْفُ بالتسويف الانكَلَةُ * تسَلَّيتَ عنها حين شَطَّ مَزَارُهَا

والعرب تضرب المثل بمواعيد عُرقوب ، وكان رجلا من المالبق وله في ذلك حكايات، فمنها : أَنَاهُ أَخْ لَه ، يسأله شوثا، فقال له عُرقوب : إِذَا أَطْلَمْتَ هَذِهِ النَخْلَةَ فَلَاكِ طَلْمُهَا ، فلما أطلعت، أَنَاهُ الرَّجُلُ لِلْعَدَةِ ، فقال : دعها حتى تصير بلحا، فلما أبلحت، أَنَاهُ ، فقال : دعها حتى تصير زَهْوًا ، فلما أزهرت، قال : دعها حتى

(١) في العقد الفريد : ذمُّ القوم وحده ، ومن وعد فأخلف لزمه ثلاث مذمات : ذمُّ القوم وذمُّ الخلف وذمُّ الكذب .

تصير رطباً ، فلما أرطبت ، قال : دعها حتى تصير تمراً ، فلما أتمرت ، عمد إليها عرقوب ، بغدّها ولم يسط أخاه منها شيئاً .

وفيه يقول الأصبغي

وعدت وكان الخلف منك محبة * مواعيد عرقوب أخاه يثرب^(١)

وقال كعب بن زهير بن أبي سلمى

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً * وما مواعيدها إلا الأباطيل

وقال السكيت للهدى : يا أمير المؤمنين ، لو كان الوعد يُستزَل بالإهمال والسكون ، لشكرتك القلوب بالضمير ، ولنظرت إلى فضلك العيون بالأوهام ، فقال المهدي : هذا جزء التفريط فيما يكسب الأجر ، ويدخر الشكر ، وأمر بقضاء حاجته .

وقال أعرابي : العُدْرُ الجليل ، أحسن من المَطْل الطويل ، فإن أردت الإناعام فأنجح ، وإن تمددت الحاجة فأنصح .

وقال بعض كرماء العرب : لأن أموت عطشاً ، أحب إلي من أن أخلف موعداً .

وقالوا : من وعد فأخلف ، لزمته ثلاث مذمات : ذم اللؤم ، وذم الخلف ، وذم الكذب ، وقال بعض الشعراء

ولا خير في وعد إذا كان كاذباً * ولا خير في قول إذا لم يكن فعل

فإن تجتمع الآفات فالبحل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل

قال بعض الأعراب : فلان له مواعيد وأقبحا المَطْل ، وعَمَارُها الخلف ، وعصومها

اليأس .

(١) كذا بالأصل ، التاء ، الخلف ، وقال في اللسان وفي القاموس : إنها التاء . الختاة وفتح الراء . وهي مصرية بالجماعة .

وقال آثر : فلات له وعد مُطِيع ، ومطلُّ مؤيس ، وأنت منه أبدا بين ياس
وطمع ، فلا بئله مُريج ، ولا منع صريج .

وقال التعالي : أقل من أخلف المواعيد ولم يف بشئ منها : إسماعيل بن صبيح
كاتب الرشيد ، وما كان الرؤساء يعرفون قبله المواعيد الكاذبة .

ذكر ما قيل في الهمي والحصر

قال الله عز وجل : (أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي آلِ حُلَيْيَةِ وَهُوَ فِي آلِ حَصَامٍ غَيْرِ مَيِّينٍ) وقال تعالى
إخبارا عن فرعون عند اختاره على موسى باليان : (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ
مَيِّينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) قال أهل التفسير : إن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول
قال : (رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي)
الآية ، فقال الله تعالى : (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) .

وقبل : حد الهمي معنى قصير ، يتحويه لفظ طويل . وقال أكتهم بن صيفي : هو أن
تتكلم فوق ما تحتضيه حاجتك . وقالوا : الفقير الناطق ، أغنى من الغني الساكت .
وقال كسرى : الصمت خير من عي الكلام .

وقالوا : فضل الإنسان على ما عداه من الحيوان باليان ، فإذا نطق ولم يفصح
عاد بهيما .

وقالوا : الهمي داء دواؤه الخرس . ومن علامات الهمي الاستعانة ، وهي أن ترى
المخاطب إذا كلَّ لسانه عند مقاطع كلامه ، يقول للمخاطب : اسمع مني ، أو سمعت
لي ، وأفهم عني ، وأشباه ذلك .

ومنهم من يقول : قول كذا ، أعني به كذا ، ولا يريد التفسير ، ولكنه بعيد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الأول ليفهم عنه .

ومن عيوب اللسان ، التَّمَنَّة ، والفَأْفَاءُ ، والمُعْلَّة ، والحُبْسَةُ ، واللفُّ ، والرَّثَّة ، والنَّمَمَةُ ، والطمْطمة ، واللُّكْنَةُ ، والفَنَّة ، والثَّقَّة . فالتَّمَنَّة ، قال الأصمعي : إذا تَمَنَّع في التاء فهو تَمَنَّم ، وإذا رتد في الفاء فهو فَأْفَاء ، قال الرازي .

ليس بِفَأْفَاءٍ ولا تَمَنَّم . ولا كثير المَجْرُوفِ في الكلام

والمُعْلَّة : آتواء اللسان عند الكلام ؛ والحُبْسَةُ : تعذر التلق ، ولم تبلغ حد الفأفأ ولا التمام ، ويقال : إنها تعرض أول الكلام ، فإذا مرَّ فيه آتقطعت . واللفُّ : إدخال بعض الكلام في بعض ، قال الرازي

كانَ فيه لَفًّا إذا تَلَقَّى . من طول تَحْيِيسٍ وَهْمٌ وأَرْقُ

والرَّثَّة : اتصال بعض الكلام ببعض دون إفادة ؛ والنَّمَمَةُ : أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف ، ولا تفهم معناه ؛ والطمْطمة : أن يكون الكلام شبيها بكلام العجم ، وهي خيرية ، وقالوا : هي إبدال الطاء بالتاء لأنهما من مخرج واحد ، فيقول : السَّاتان والسَّيَّتان ، وأشبه ذلك ، قيل : وكانت في لسان زياد بن سلمى ،

وكان خطيبا شاعرا كاتباً ، واللُّكْنَةُ : إدخال بعض حروف العرب في حروف العجم ، وتشتبك فيها اللغة التركية والنبطية ، وهي إبدال الهاء حاء ، وأقرب العين همزة ، وكانت في لسان عبيد الله بن زياد ، وصَّيَّب الرومي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن مولى لزياد ، قال له : أيها الأمير ، أهدوا لنا هِمَارَ وَهْشٍ : يريد : أهدوا لنا حماراً وحشياً ، فلم يفهم زياد عنه ، وقال : ويلي ! ماذا تقول ؟ قال : أهدوا لنا آيَراً : يريد عيراً ، فقال زياد : أرجئنا إلى الأول فهو خير ، والفَنَّة :

أن يشرب الصوت انخيشوم، والنفثة : ضرب منها ، والترخيم : حذف بعض الكلمة لتمذر النطق بها ، والثففة : إبدال ستة حروف بغيرها ، وهي الهمزة والراء والسين والقاف والكاف واللام ، فالتى تعرض للهمزة ، فهي لإبدالها عينا ، فإذا أراد أن يقول : أنت ، قال : عنتَ وهي مستعملة في لسان التكرور ، وأما التى تعرض في الراء ، فهي ستة أحرف ، فمنهم من يجعلها عينا معجمة فيقول (عُمنَ) : يريد عُمر ، وهي غالبية على لسان أهل دمشق ، وإذا اجتمعت الراء والنين في كلمة كقولهم : رغيْف ، قال : (غريف) ، وفقرت بمكان فرغت : فيبدلون كل حرف بالآخر ، قيل : وكانت في لسان محمد بن شبيب الخارجي ، وواصل بن عطاء المعتزى ، وكان لاقتداره على الكلام ، وغزارة مادته ، يتجنب النطق بها ، وفيه يقول الشاعر

من أبيات

ويحصل البرقعا في تصرفه * وجانب الراء حتى أحتال للشعر
ولم يطق مطراً والقول يسجله * فصاد بالقيث إشفاقا من المطر

ومنهم من يجعلها عينا مهملة ، فيقول في أزرق : أزعى ، وهي في لسان عوام أهل دمشق ، ومنهم من يجعلها ياء ، فيقول في عُمر : عُمى ، ومنهم من يبدلها بالظاء أخت الطاء ، ومنهم من يبدلها همزة ، فإذا أراد أن يقول : رأيت ، قال : أأيت ، وأما التى تعرض للسين ، فإنهم يبدلونها ثاء ، فيقولون : بسم الله ، ويثرة الله : إذا أرادوا بسم الله ، ويُسرة الله ، أو أشباه ذلك ، وهي مستعملة في الجوارى والغلمان . قال الشاعر

وأهيف كالهلل شكوتُ وجدي * إليه ليحسنه وأطلتُ بتي
وقلت له فدتك النفسِ صلتي * تحز في الشواب فقال بتي

وأما التي تعرض للقاف ، فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول : قال ، وقلت ، نطق : يقال ، وُكُلْتُ ، وهي نبطية ، وكانت في لسان أبي مُسلم صاحب الدعوة ، وعُيِّد الله بن زياد ، ومنهم من يجعلها كافا فيقول : كَال وكُلْتُ ، وأما التي تعرض للكاف ، فمنهم من يجعلها همزة ، فيقول : أَأَف ، ومنهم من يبدلها تاء ، فيقول : تَأَن ، إذا أراد : كان ، وأما التي تعرض في اللام ، فمنهم من يبدلها ياءً ، فيقول : أَعْتَيْتُ ، بمعنى : أعتلت ، ويقول في جَمَل : جَمِي ، وإذا أقسم بالله ، يقول : وَيَاه ، ومنهم من يبدل الخاء المعجمة حاءً مهمله ، فيقول في خوِخ : حُوح ، ويُستحسن في الغلمان والحواري ، ومنهم من يبدل الجيم ضاداً ، فإذا اجتمع لأحد في كلمة جيم وضاد ، مثل خمر ، ونضج ، قال : جضر ، ونجض . والحمد لله وحده !

كل الجزء الثالث

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الرابع منه :

”الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني في المجون والنوادر والفكاهات والملح“

والحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

وحسبنا الله ونعم الوكيل

